الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار



جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وجهوده في توحيد مصر والشام

(638-647هـ / 1240- 1249م)

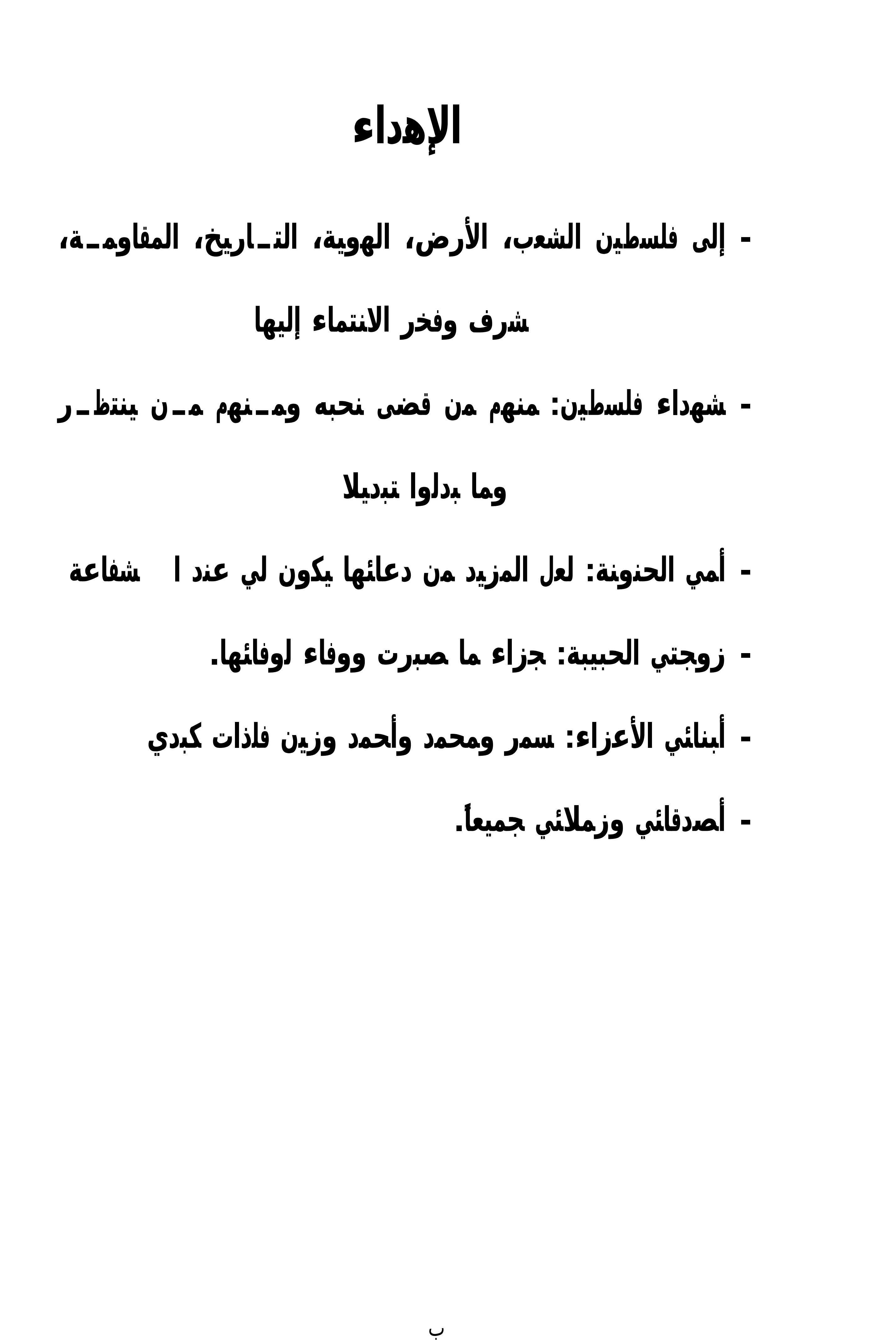
إعداد الطالب/
فريد وحيد صيدم

إشراف /
أ.د. رياض مصطفى شاهين

قُدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

1432هـ - 2010م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

- إلى فلسطين الشعب، الأرض، الهوية، التـاريخ، المقاومـة، شرف وفخر الانتماء إليها

- شهداء فلسطين: منهم من قضى نحبه ومـنهم مـن ينتظـر وما بدلوا تبديلا

- أمي الحنونة: لعل المزيد من دعائها يكون لي عند ا شفاعة

- زوجتي الحبيبة: جزاء ما صبرت ووفاء لوفائها.

- أبنائي الأعزاء: سمر ومحمد وأحمد وزين فلذات كبدي

- أصدقائي وزملائي جميعاً.

شكر وتقدير

بعد التوجه إلى ا بالحمد والشكر ، أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث وأخص بالشكر أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور/ رياض مصطفى شاهين، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على رسالتي هذه ، فضلاً عن أنه هون علي الصعاب ، وأمدني من فيض علمه، حتى أظهر هذا العمل للوجود، أسأل ا العلي القدير أن يديم عليه تمام الصحة والعافية، وجزاه عني كل خير .

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي الأفاضل الذين قاموا بتدريسي مساقات ومتطلبات الرسالة وأخص بالذكر الدكتور/ أحمد الساعاتي، الدكتور/ خالد الخالدي، الدكتور/ زكريا السنوار، الدكتور/ عدنان أبو دية، الدكتور/ زياد مقداد، جزاهم ا عني كل خير.

كما وأشكر الأستاذ / اجميعان شاوف (أبو بشير) ، والأستاذ/ زهير أبو عودة (أبو أحمد) على جهودهما في تدقيق الرسالة لغوياً، فلهما مني كل التقدير والاحترام، فضلاً عن تقديم خالص تقديري لزميلي وصديقي المهندس / شادي أبو الروس (أبو عمر) وذلك للجهد الذي بذله فيما يتعلق بطباعة الرسالة وتنسيقها.

أشكرهم هؤلاء جميعاً انطلاقاً من قول النبي صلى ا عليه وسلم: " من لا يشكر الناس لا يشكر ا ".

فهرس المحتويات

قائمة المختصرات والرموز

توفي: ت

الجزء: ج

مجلد: مج

صفحة: ص

السنة الميلادية: م

السنة الهجرية: هـ

الطبعة: ط

دون مكان نشر: د. م

دون تاريخ نشر: د. ت

دون طبعة: د. ط

دون ناشر: د. ن

ملخص الدراسة :

تناولت هذه الدراسة جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب و جهوده في توحيد مصر و الشام من سنة 638-647هـ / 1240-1249م حيث عاشت الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي فترة من الصراع و الانقسام، مما ترتب عليه إعادة الكثير من المناطق التي تم تحريرها إلى الصليبيين مرة أخرى، فكان وصول السلطان الصالح نجم الدين أيوب نقطة تحول تاريخية هامة حيث استطاع توحيد الجبهة الإسلامية مرة أخرى .

تناولت الدراسة في طياتها شخصية نجم الدين و توليه الحكم،مولده و صفاته و وفاته ، وأوضاع الدولة الأيوبية قبيل وصول نجم الدين للحكم، والمناصب التي تولها نجم الدين في عهد أبيه ، و توليه الحكم في مصر و أهم العوامل التي ساعدته على ذلك .

و كذلك تحدثت الدراسة عن دور نجم الدين في توحيد مصر و الشام ، و جهوده في تثبيت حكمه في مصر و الشام ، و موقف نجم الدين من التحالف الأيوبي الصليبي ، و علاقته مع الخوارزمية .

كذلك تكلمت الدراسة عن جهاد نجم الدين ضد الصليبيين في الشام ، حيث ركزت على أوضاع الإمارات الصليبية عند وصول نجم الدين للحكم ، و أهم الحملات الصليبية في بداية عهد نجم الدين ، و تحرير نجم الدين لبيت المقدس و المدن الفلسطينية الأخرى .

كما تحدثت الدراسة عن الحملة الصليبية السابعة و مواجهة نجم الدين لها و إبراز دور شجر الدر في مواصلة الجهاد والتصدي لهذه الحملة و إفشالها و انسحابها.

و انتهت الدراسة بخاتمة ذكر فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها ، إلى جانب إدراج قائمة المصادر و المراجع و الملاحق .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين معز المؤمنين و مذل الكافرين من المنافقين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد النبي الأمين و على آله و صحبه أجمعين ، أما بعد :

بعد انطواء صفحة الدولة الفاطمية عن مصر و بلاد الشام ، أسس صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية التي أكملت توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين ، و الذي بدأه آل زنكي و استطاعت الدولة الأيوبية في بدايتها أن تقوم بدور جهادي ضد الإمارات الصليبية في الشام حيث حصد صلاح الدين الأيوبي الكثير من الانتصارات الهامة و أعاد الطابع الإسلامي لكثير من المدن الإسلامية و خاصة مدينة بيت المقدس بعد أن غير الصليبيون معالمها الدينية و المدنية ، و لكن بعد وفاة السلطان صلاح الدين حدث صراع بين أبناء البيت الأيوبي ، الأمر الذي أدى إلى حدوث حالة من التفكك و الصراع مما ترتب عليه إعادة الكثير من المناطق التي تم تحريرها إلى الصليبيين مرة أخرى فكان وصول السلطان الصالح نجم الدين أيوب نقطة تحول تاريخية هامة حيث استطاع توحيد الجبهة الإسلامية مرة أخرى .

و لهذا فإن تاريخ الأيوبيين جدير بالبحث و الدراسة ، من أجل التعرف على مواطن القوة والضعف في هذه الفترة ، لأخذ العبرة ، و لتشخيص مواطن الخلل ، و لتسليط الأضواء عليها لعل في ذلك فائدة تمكن القارئ و الباحث دراستها ، و من ثم تكون للأمة نبراساً تهتدي به في طريق سيرها نحو المستقبل الأفضل .

فقد ركزت هذه الدراسة على فترة مهمة من تاريخ الدولة الأيوبية و هي فترة السلطان الصالح نجم الدين أيوب .

أما عن أهم الدوافع وراء اختيار موضوع الدراسة :

كان الدافع الذاتي لاختيار الموضوع هو البحث في العهد الأيوبي و خاصة فيما يتعلـق بشخصية السلطان نجم الدين أيوب و دوره الكبير في مجال الجهاد ضد الإمارات الصليبية في مصر و الشام بالإضافة للدوافع التالية :

1 ـ إبراز دور السلطان نجم الدين في إدارة الدولة الأيوبية .

2 ـ دراسة جهود السلطان نجم الدين في توحيد الجبهة الإسلامية بعد حدوث التفكك .

3 ـ قلة الدراسات التي تتعلق بالسلطان نجم الدين في التاريخ الأيوبي .

4 ـ يشمل البحث في هذا المجال موضوعاً جديداً يسهم في إثراء المكتبة العربيـة و القـارئ العربي .

تتركز أهداف الدراسة حول :

1 ـ تسليط الضوء على شخصية السلطان نجم الدين و دوره في جهاد الصليبين .

2 ـ معرفة دور نجم الدين في القضاء على الخلافات داخل الدولة الأيوبية.

3 ـ التعرف على العوامل و الأسباب التي أدت إلى تفكك الجبهة الإسلامية قبيل تـولى نجـم الدين الحكم.

4 ـ محاولة إظهار أهمية الجهاد في الوحدة الإسلامية .

5 ـ التعرف على العلاقات الخارجية للسلطان نجم الدين .

حـــدود الدراسـة :

تشمل حدود الدراسة ، معرفة دور السلطان نجم الدين فـي توحيـد الجبهـة الإسـلامية والجهاد ضد الإمارات الصليبية و الحملات الصليبية في مصر و الشام و تنحصر هذه الفترة ما بـين 638ـ647هـ /1240 ـ 1249م .

الدراسـات السابقـة :

حسب إطلاع الباحث على مواقع البحث المتخصصة في الشبكة العنكبوتية (الانترنت) و فهارس المكتبات المختلفة المحلية و العربية لم يعثر الباحث سوى على دراسة واحدة تناولت شخـصية الصالح نجم الدين أيوب ، و هي للباحث محمد محمد أمين على بعنوان السلطان الملك الـصالح نجـم الدين أيوب 1240 ـ 1249 م ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، لعام 1968م .

وحاولت الحصول على هذه الدراسة للاستفادة منها، ولكنني لم استطع الحصول عليها بالكامل ، وكل ما حصلت عليه هو فهرس الموضوعات، ومن خلال الاطلاع عليه تبين أنها تناولت شخـصية الصالح نجم الدين بشكل عام، ووقعت في ثمان فصول، لم تركز على موضوع معـين، فقـد تناولـت الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، بينما تميزت رسالتنا بالتركيز على موضـوع واحد، وهو دور الصالح نجم الدين في توحيد الجبهة الإسلامية في مـصر والـشام، وجهـاده ضـد الصليبيين.

وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة في تقسيم بعض فصول الدراسة.

منـهج الدراسـة :

خلال هذا البحث اتبع الباحث المنهج الوصفي و المنهج التحليلي .

المشاكل و الصعوبات :

تتلخص في صعوبة الحصول على بعض المصادر و المراجع التي تتحـدث عـن شخـصية الصالح نجم الدين ، و افتقار مكتبات قطاع غزة لهذه المصادر و المراجـع ، و تغلبـت علـى هـذه الصعوبات من خلال خالي العزيز أبو الهيثم ، الموجود في جمهورية مصر العربيـة ، و الـذي قـام بتصوير كثير من المصادر و المراجع التي تختص بهذا الموضوع.

تقسـيمات الدراسـة :

لقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول هي :

الفصل الأول : بعنوان شخصية نجم الدين و توليه الحكم ، و اشتمل على أربعة نقاط ، مولـده و صفاته ووفاته ، أوضاع الدولة الأيوبية قبيل وصول نجم الدين للحكم ، المناصب التي تولاها نجـم الدين في عهد أبيه ، توليه الحكم في مصر ، أهم العوامل التي ساعدته على ذلك .

أما الفصل الثاني : تحدث عن دور نجم الدين في توحيد مصر و الشام ، و اشتمل على ثلاث نقاط ، جهوده في تثبيت حكمه في مصر و الشام ، موقف نجم الدين من التحالف الأيوبي الصليبي ، و علاقته مع الخوارزمية .

أما الفصل الثالث : تكلم عن جهاد نجم الدين ضد الصليبين في الشام و اشتمل على ثلاث نقاط ، أوضاع الإمارات الصليبية عند وصول نجم الدين للحكم ، أهم الحملات الصليبية في بداية عهد نجم الدين ، تحرير نجم الدين لبيت المقدس و المدن الفلسطينية الأخرى .

أما الفصل الرابع : تحدث عن الحملة الصليبية السابعة و مواجهة نجم الدين لها ، و اشـتملت على أربع نقاط ، أسباب الحملة على مصر ، وصول الحملة إلى دمياط و المقاومة الشعبية لها ، وفـاة نجم الدين و دور شجر الدر في مواصلة مواجهة الصليبين ، فشل الحملة و انسحابها .

دراسة تحليلية لأهم مصادر الدراسة:

أ ـ المصادر التاريخية :

1 ـ سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر بن قزاوغلي بـن عبـدا (ت654هـ ـ / 1256م) : و هو حفيد أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، و قد ولد سنة 582هـ ـ / 1186م فـي بغداد ، و نشأ في كنف جده لأمه المؤرخ ابن الجوزي مؤلف كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملـوك، تنقل بين بغداد و دمشق و مصر ، عمل كاتباً و مدرساً و محدثاً ، حيث تلقى علومه على يد العديد من الشيوخ و العلماء [1] .

و يعتبر كتاب " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان " من أهم المصادر لموضوع البحـث ، ومـن أشهر الكتب التي وصلتنا خلال مرحلة الدراسة و هو تاريخ عام يبدأ من بدء الخليفة و ينتهي بعد نهاية سنة 654هـ /1256م أي نفس السنة التي توفى فيها المؤلف [2]

و قد اعتمد الباحث خلال الدراسة على القسم الثاني من الجزء الثامن و قد أفـاد البحـث فـي جميع فصول الدراسة .

2 ـ ابن العديم: كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة ا (ت 660هـ ـ/1261م) : و لد ابن العديم سنة 588هـ/1192م في حلب، و هو من أسرة عريقة ، نشأ بها و تعلم في مدارسها على يد العديد من العلماء، ورافـق والـده فـي بـبعض رحلاتـه إلـى دمـشق و بيـت المقـدس و العراق و الحجاز و جالس العلماء و أخذ عنهم [3] .

و من هنا جاءت أهمية كتابه " زبدة الحلب في تاريخ حلب " و قد أفاد البحث كثيراً مـن هـذا الكتاب ، و لاسيما في الفصل الأول عند دراسة الموقف في بلاد الشام بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ، كذلك في الفصل الثاني و الثالث .

---

(1) الغامدي ، علي محمد علي ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص15 .

(2) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي ، ج2 ، ص261 .

(3) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي ، ج2 ، ص261 .

3 ـ **أبو شامة :** شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بـن إبـراهيم المقدسـي الدمـشقي (ت665هـ / 1267م) : ولد بدمشق 599هـ /1203 م ، و عرف بأبي شامة لوجود شامة كبيـرة فوق حاجبه الأيسر ، تفقه على المذهب الشافعي [1] ، و هو مؤلف كتاب " الروضـتين فـي أخبـار الدولتين النورية والصلاحية " الذي حفظ منه أبو شامة كثيراً من روايـات البـرق الـشامي للعمـاد الأصفهاني ، المفقود أغلب أجزائه [2] .

و قد أفاد البحث من هذا الكتاب في الفصل الأول و قد ذيل أبو شامة على كتاب الروضـتين بكتاب آخر و هو " الذيل على الروضتين " إذ تحدث فيه من سنة 590هـ / 1193م ، و حتى وفاتـه سنة 665هـ /1267م ، و أكثر فيه من التراجم للعلماء و الفقهاء الذين عاشوا في بلاد الشام خلال تلك الحقبة ، و قد أفاد البحث كثيراً و لا سيما في الفصل الثاني و الثالث .

4 ـ **ابن واصل:** جمال الدين أبو عبد ا محمد بن سالم بن واصل ولد بحماه سنة 604هـ / 1207م و تلقى فيها علومه ، ثم رحل في طلب العلم إلى دمشق و حلب و بيت المقدس و القـاهرة و الكرك و بغداد و مكة و المدينة ، نبغ في علوم كثيرة ، مثل علم المنطق و الهندسة ، و أصول الدين و الفقه الإسلامي ، و علم الهيئة و التاريخ ، أقام في مصر مدة طوية ، و عاصر الحملات الـصليبية و سقوط الدولة الأيوبية و قيام الدولة المملوكية، توفى في سنة 697هـ /1298م[3] .

ويعتبر كتابه " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " من أهم المصادر العربية الهامة ، حيـث تناول تاريخ الدولة الأيوبية، ويذكر تفاصيل هامة ودقيقة عنهم ، لم تذكرها مـصادر أخـرى ، و قـد اعتمد عليه كل الذين أرخوا للدولة الأيوبية بعده [4] .

---

[1] السبكي ، طبقات الشافعية ، ج8 ، ص165ـ167.

[2] عبد القادر ،دريد ، سياسة صلاح الدين في بلاد الشام و الجزيرة ، ص35 .

[3] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، مقدمة المحقق ، ص4

[4] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، مقدمة المحقق ، ص6 .

و اتبع ابن واصل في سرده للأحداث على المنهج الحولي ، حيث أرخ فيه للحوادث من سـنة (681هـ / 1282م) ، و اعتمد ابن واصل على من سبقه من المؤرخين المعاصرين فنقل العديد مـن روايات القاضي الفاضل و ابن شداد و ابن الأثير (1).

و قد أفاد البحث كثيراً من مفرج الكروب في جميع فصوله.

5 ـ **أبو الفداء :** الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، كان جواداً شجاعاً عالماً في عدة فنون ، نظم الحاوي في الفقـه ، و نظـم الـشعر والموشحات ، و اقتنى كتباً نفيسة ، و لم يزال على ذلك إلى أن توفى سنة 732هـ / 1322م [2] .

ألف الكثير من الكتب و يأتي في مقدمتها كتابه " المختصر في أخبار البشر " و قد أفاد البحث كثيراً من هذا الكتاب في جميع الفصول و خاصة في الموضوعات السياسية التي تناولتها الدراسة .

6 ـ **المقريزي :** تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، ولد بحارة برجوان بمدينة القاهرة سـنة 766هـ / 1364م ، و توفى سنة 845هـ / 1442م و هـو بعلبكـي الأصـل ، مـصري المولـد والمنشأ ، عرف باسم المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك ، عكف على دراسة القرآن و علوم الدين و التاريخ و غير ذلك ، تقلد المقريزي العديد من الوظائف كان آخرهـا وظيفـة الحـسبة بالقاهرة .

و يعتبر من كبار المؤرخين المسلمين و له مؤلفات تاريخية كثيرة ، تميزت كتابات المقريـزي بالدقة في إيراد الحقائق و التخصص المتنوع ، و الاعتماد على مصادر ووثـائق لا تـزال أصـولها مفقودة [3] .

و قد استفاد البحث من كتاب المقريزي " السلوك لمعرفة دول الملوك " في جميع فصوله ، لما فيه من معلومات مهمة و كثيرة و قيمة .

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ، مقدمة المحقق ، ص3-5 .

[2] ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج1 ، ص371ـ372 .

[3] السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج2 ، ص21 .

7 ـ **ابن تغري بردي :** جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، (ت874 هـ / 1469م) : و يعد كتابه " النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة " موسوعة تاريخية عالجت الكثير من القضايا الإدارية و السياسية و الاجتماعية و العمرانية [1] .

و قد أفاد البحث كثيراً من كتاب " النجوم الزاهرة " في جميع فصول الرسالة لما فيه من معلومات كثيرة و قيمة فيما يتعلق بالموضوعات السياسية التي تناولتها الدراسة .

ب ـ كتب التراجم :

لكتب التراجم و الطبقات أهمية كبيرة للبحث العلمي ، حيث أنها تلقي الضوء على الجوانب الفكرية و الثقافية و المذهبية للأشخاص و تقدم بعض اللمحات الحضارية و الاجتماعية و الاقتصادية ، و كذلك الجوانب السياسية ، فهي متكاملة من الجوانب الموضوعية ، فبعضها تخصص في تراجم الساسة و القادة العسكريين ، و البعض منها في العلماء و الأدباء و الشعراء ، و القسم الثالث يختص بالقضاء و الأطباء و المحدثين و أهم كتب التراجم التي اعتمدت عليها الدراسة هي :

1 ـ **ابن خلكان :** شمس الدين محمد بن بكر ولد في أربيل سنة 608هـ / 1211م، تفقه بالموصل و الشام ، التقى كبار العلماء و سكن مصر مدة و ناب في القضاء ، ثم ولي قضاء الشام عشر سنين و كان إماماً فاضلاً بصيراً بالعربية ، و علامة في الأدب و التاريخ ، و توفي سنة 681هـ / 1282م [2] .

ويعتبر كتابه " وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان " من كتب التراجم الهامة، و تظهر أهميته ، لأن ابن خلكان اعتمد على مصادر متنوعة ، و ترجم لعدد كبير من سلاطين و ملوك الأيوبيين و المماليك بالإضافة لذلك ترجم لعدد من السياسيين و العلماء و الأدباء وغيرهم و قد أفادت الدراسة من هذه التراجم في الفصل الأول و الثاني .

---

(1) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص304 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج1، مقدمة المحقق، ص3ـ5 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص305 .

2 ـ **ابن العماد:** شهاب الدين أبي الفلاح بن العماد الحنبلي، توفي سنة 1089هـ/1678م[1].

وقد جمع ابن العماد في كتابه " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " بين التراجم و الحوادث ، مع التركيز على التراجم و ذكر فيه الوفيات حسب السنين ، من القرن الأول إلى نهاية القرن العاشـر الهجري ، القرن السابع إلى السادس عشر ميلادي ، و أدخل في كتابه معظم ما كتبه ابن رجـب فـي الذيل على طبقات الحنابلة ، و نقل عنه نقلاً حرفياً في كثير من الأحيان . و قد أفاد الدراسة في الفصل الأول و الثاني .

ت ـ كتب الجغرافيا :

ياقوت الحموي: أبو عبد ا ياقوت بن عبدا الحموي ، ولد في الفترة بـين سـنتي 574 – 575 هـ / 1178-1179 م ببلاد الروم ، و لكنه وقع في الأسر و هو صغير فاشتراه أحد تجار بغداد كي يعتمد عليه في تجارته و تنقل ياقوت بين كثير من الأمصار وتوفي بظـاهر مدينـة حلـب سـنة 626هـ/ 1228م[2] .

يعتبر كتابه " معجم البلدان " من أهم مؤلفاته ، فهو بمثابة موسوعة جغرافية قائمـة بـذاتها ، نظـراً لـوفرة المـادة التـي أوردهـا و تحـدث فيهـا عـن البلـدان و الأقـاليم و المـدن والجبال والأنهار ، وكتاب معجم البلدان مرتب وفق الحروف الأبجدية و لا غنى عنـه للباحـث فـي التاريخ والجغرافيا والأدب وتاريخ البلدان وخاصة في تحقيـق أسـماء المـدن و البلـدان و المعـالم الجغرافية [3]، و قد أفاد البحث في جميع فصوله، حيث كـان المـصدر الأول للتعريـف بالبلـدان والقلاع والقرى والحصون التي تناولها البحث .

---

(1) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج1 ، مقدمة المحقق ، ص5-8 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص127-129 .

(3) البيشاوي،سعيد،نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية، ص26 .

ث ـ كتب الرحالة الأجانب :

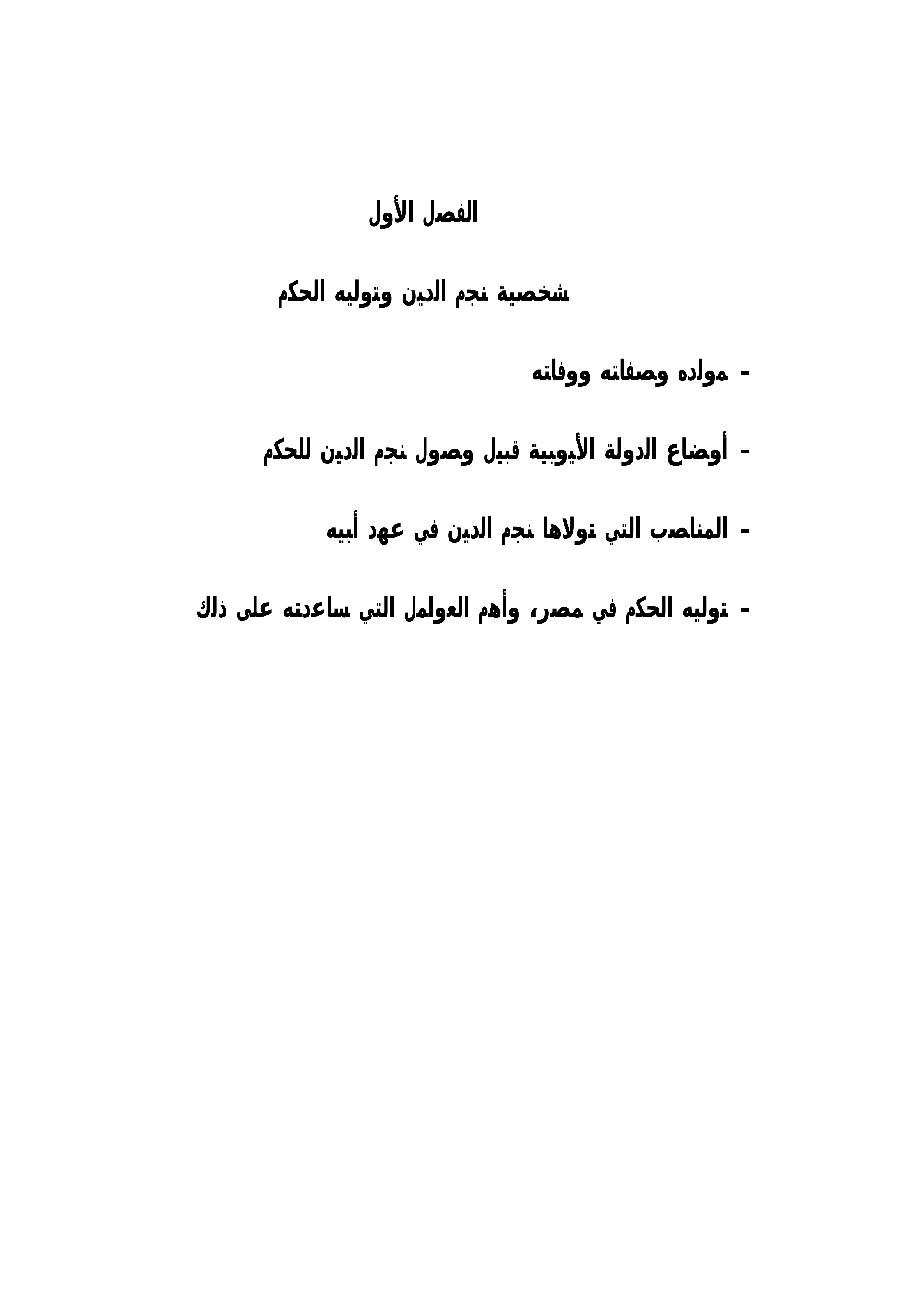
جوا نفيل: ولد جوا نفيل حوالي سنة 1224م، و توفي حوالي سنة 1318م عن عمر 95 سـنة تقريباً ، فقد كان جوا نفيل في أول الأمر يروي ذكرياته عن الحملة ولا يكتبها إلى أن توسلت إليه جين دي نافار ملكة شامبانيا وزوجة فيليب الرابع، أن يسجل هذه الأقاصيص في كتاب عن أقوال القـديس لويس التاسع وأفعاله تخليداً لذكراه، ولكن الملكة جين دي نافار ماتـت سـنة 1305م،أثنـاء كتابتـه لمذكراته، فأهدى جوا نفيل كتابه بعد فراغه منه إلى ابنها لويس العاشر في سنة 1309م،والذي أصبح ملكاً على فرنسا بعد وفاة أبيه فيليب في سنة 1314م [1] .

يعتبر كتابه " تاريخ القديس لويس " من أهم المصادر الأوروبية المعاصرة للحملـة الـصليبية (السابعة) على مصر ، و إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، فقد كان جوا نفيل أحد فرسان هذه الحملة و شاهد عيان لها ، كما كان موضع ثقة الملك الفرنسي حتى انه كثيراً ما كان يستـشيره فـي شـئون الحملة العامة و في أموره الخاصة أيضاً ، و قد رواها جوا نفيل من وجهة نظر أوروبية [2] ، و قـد أفاد الدراسة في الفصل الرابع الخاص بالحملة الصليبية السابعة على مصر .

---

(1) جوزيف نسيم،العدوان الصليبي على مصر، ص4.

(2) جوزيف نسيم،العدوان الصليبي على مصر،ص4.الغامدي،عبدا ،جهاد المماليك ضد المغول والصليبين،ص17-18.



الفصل الأول

شخصية نجم الدين وتوليه الحكم

- مولده وصفاته ووفاته
- أوضاع الدولة الأيوبية قبيل وصول نجم الدين للحكم
- المناصب التي تولاها نجم الدين في عهد أبيه
- توليه الحكم في مصر، وأهم العوامل التي ساعدته على ذلك

- **مولده وصفاته ووفاته:**

نسبه:

هو السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيـوب لقب بأبي الفتوح [1]، ولد بالقاهرة عام 603هـ/1206م، ونشأ بها[2].

أمه جارية سوداء اسمها ورد المنى[3] ، وهو سابع سلاطين بني أيوب بمصر، وكـان فـي الرابعة والثلاثين من عمره عندما تولى السلطنة [4].

زوجته:

شجر الدر[5]، أم ولده خليل، وهي أشهر زوجاته، وجاريته السابقة[6]، وهي تركية الأصل[7] وكان الصالح نجم الدين يحبها، وكانت لا تفارقه حضراً أو سفراً من شدة محبته لها[8]، وكانت

---

[1] المقريزي ، السلوك، ج1، ص402. ابن تغري بردي، النجـوم الزاهـرة، ج6، ص319. الحنبلـي، شـفاء القلوب،ص329-330. ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج1، ص269. ابن إياس ، جواهر السلوك، ص105. القرماني، أخبار الدول،مج2، ص261.

[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج5،ص193. ابن تغرى، النجوم الزاهرة، ج6، ص319. الحنبلي، شفاء القلوب، ص330. ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص269. ابن إياس، جواهر السلوك، ص105.

[3] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص181. المقريزي ، السلوك، ج1، ص441.

[4] ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص269. ابن إياس، جواهر السلوك، ص105.

[5] هي السلطانة الملكة شجر الدر بنت عبد ا جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجتـه وأم ولـده خليل ، وهي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، وكانت التواقيع تخرج من قلعة الجبل وعلامتها عليهـا "والدة خليل" ونقش اسمها على السكة، وخُطب لها على منابر مصر والقـاهرة وقتلـت عـام 655هـ / 1257م : المقريزي، السلوك، ج1، ص459.

[6] الصفدي، الوافي بالوفيات. ج16، ص70. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص199.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص199. حتي، فليب، تاريخ سوريا، ج2، ص266.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص199.

بارعة الجمال ذات رأي ودهاء وعقل، فكان الصالح نجم الدين يحبها، ويعتمد عليها[1].

أولاده:

كان للصالح نجم الدين من الأولاد أربعة؛ أكبرهم الملك المغيث فتح الدين عمر، ثم المعظم غياث الدين توران شاه، ثم الملك القاهر، وأصغرهم خليل ابنه من شجر الدر[2]، وقد مـات ثلاثـة منهم في حياة أبيهم، ولم يبق على قيد الحياة حتى وفاة الصالح نجم الدين سوى ابنه توران شاه[3].

صفاته:

كان لصفات الصالح نجم الدين الشخصية أثر كبير في نجاحه، فقد كان ملكاً شجاعاً حازمـاً ذا هيبة كبيرة[4]، حتى أن أحداً من خواصه لم يجسر على البدء بالكلام في مجلسه، أو تقديم مشورة أو نصيحة ما لم يكن ذلك ابتداء من السلطان[5] ، وكان عفيفاً ، طاهر اللسان، قليل الفحش في حال غضبه، ينتقم بالفعل لا بالقول[6]، ولا ينطق في حالة غضبه بكلمة قبيحة قط، وأكثر ما يقول إذا شتم أحداً "يا متخلف"[7] ، وكان شديد الحياء، لا يكاد يرفع طرفه إلى محدثه، ومع ذلك كان عظيم الكبر مترفعاً[8] .

---

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص70.

(2) المقريزي، السلوك، ج1، ص443.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص443.

(4) المقريزي، السلوك،ج1، ص442. القرماني، أخبار الدول، مج2، ص263.

(5) المقريزي، السلوك،ج1، ص442.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص293-294. علي، وفاء، دراسات فـي تـاريخ الدولـة الأيوبيـة، ص188. الجزار، هاني، النظام العسكري في دولة المماليك، ص21.

(7) المقريزي، السلوك، ج1، ص442. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص294.

(8) المقريزي، السلوك، ج1، ص442.ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص215.

اشتهر الصالح نجم الدين بحسن عقيدته، ومحبته لأهل العلم والـدين، دون أن يخـالطهم أو يجالس معهم[1]، ومن عوامل نجاح الصالح نجم الدين أنه كان وقوراً لا يؤثر الهزل، ولا العبث، فإذا اجتمع بندمائه لا يحصل عنده من الحمة والطرب ما يحصل عند غيره، فيظل صـامتاً لا يتحـرك وعليه السكينة والوقار[2].

وكان ملكاً مهيباً جباراً ذا سطوة وجلالة، وكان فصيحاً حسن المحاورة، عفيفاً عن الفواحش في القول[3].

ومما يؤخذ على الصالح نجم الدين ميله إلى العزلة، ورغبته في الانفراد، ولو أن ذلك لـم يمنعه من الاهتمام بشئون الدولة، فاتخذ التدابير اللازمة لنشر الأمن والطمأنينة بين الناس بالقـضاء على اللصوص والمفسدين ومثيري الفتن ومدمني الخمر والحشاشين[4]، وكانت البلاد في أيامه آمنة مطمئنة والطرق سابلة[5].

وحرص الصالح نجم الدين على المحافظة على أموال الدولة واشتهر بعزة النفس عن أموال الرعية[6]، ولا يؤخذ عليه في ذلك المجال سوى إسرافه على زخرفة قلعة الروضة، وبذلك استطاع توفير الأموال اللازمة لحروبه الطويلة، وإقامة المباني للتحصينات، فـضلاً عـن تكوينـه فـرق المماليك، رغم الغلاء الذي حدث في مصر في السنة الثانية من حكمه عام 639هـ/1241م[7]،

---

[1] المقريزي، السلوك،ج1،ص442. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص294.
[2] المقريزي، السلوك، ج1،ص442.
[3] المقريزي، السلوك،ج1،ص442. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص294.
[4] ابن إياس، بدائع الزهور،ج1، ص269.
[5] المقريزي، السلوك،ج1،ص442.
[6] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص179.
[7] المقريزي، السلوك،ج1، ص443.

والغلاء الذي حدث بدمشق في السنة السادسة من حكمه 643هـ/1245م[1].

وقد عزا رنسيمان جزءاً من أخلاق الصالح نجم الدين كعبوسه وميله إلى العزلة، بل وعدم شغفه بالعلم إلى ما كان يجري في عروقه من دماء سودانية؛ مما حمله إلى الابتعاد عن سائر أفراد أسرته الذين لم يخالط دماءهم الكردية شيء من الكدر[2].

واعتقد أن ذلك السبب غير مقنع، وأن رنسيمان قد خالف الصواب، فكثير من الخلفاء العباسيين والفاطميين كانت أمهاتهم روميات أو تركيات أو سودانيات، ولم يؤد ذلك إلى تأثير في سلوكهم.

وفاته:

توفي الصالح نجم الدين بالمنصورة ، يوم الاثنين ليلة النصف من شعبان 647هـ/22 نوفمبر 1249م، عن أربع وأربعين سنة[3]،وبعد أن حكم البلاد تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوماً[4] .وقد عهد بالحكم لولده توران شاه[5] ،

وقد أخفت زوجته شجر الدر خبر وفاته خوفاً من الفرنج، فغسله أحد الأطباء الذين أشرفوا على علاجه؛ لكي يخفي موته[6]، وقامت شجر الدر بنقل جثمانه سراً من المنصورة، إلى

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص294.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج3، ص456.

(3)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج8، ص774. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص37. بيبرس المنصوري، تاريخ الدولة الأيوبية، ص7. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص295. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص416. المقريزي، السلوك،ج1، ص441. ابن تغري بردي، النجوم الزهرة،ج6،ص295. السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص35.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص133.

(5) المقريزي، السلوك، ج1،ص441.

(6) المقريزي، السلوك، ج1، ص441. نصر ا ، سعدون، رحيل الصليبيين، ص24.

قلعة الروضة حيث دفن فيها، ولم يعلم أحد من الناس بوفاته[1].

وفي سنة 648هـ/ 1250م في عهد السلطان عز الدين أيبك[2]، نقل جثمان السلطان الصالح نجم الدين من قلعة الروضة إلى مدفنه في القبة التي بنتها له زوجته شجر الدر بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة[3].

وقد أقيمت مراسم دفن السلطان الصالح نجم الدين وصلي عليه بعد صلاة الجمعة، بمشاركة السلطان عز الدين أيبك، والملك الأشرف موسى، وسائر المماليك البحرية، ولبس الأمراء الزي الأبيض، وقص المماليك شعورهم تعبيراً عن الحزن، وأغلقت الأسواق، ووضع عند قبره سناجقه[4]، وبقجته[5]، وتركاشه[6]، وقوسه وأُقيم له عزاء دام ثلاثة أيام[7].

---

[1] المقريزي، السلوك،ج1، ص441. ابن إياس، بدائع الزهور،ج1، ص278. ابن إياس، جواهر السلوك،ص105.

[2] هو أيبك بن عبد ا الصالحي الملك المعز عز الدين المعروف بالتركماني، كان مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه في حياة أبيه الكامل، وتنقلت به الأحوال عنده ولازمه في الشرق وغيره وجعله جاشنكير، فلما قتل المعظم توران شاه ابن الملك الصالح، وبقيت الديار المصرية بلا ملك تشوق إلى السلطنة أعيان الأمراء فخيف من شرهم، وكان عز الدين أيبك معروفاً بالسداد وملازمة الصلاة ولا يشرب خمراً وعنده كرم وسعة صدر ولين جانب وهو من أوسط الأمراء، فاتفقوا وسلطنوه سنة 648هـ/1250م، وتزوج من شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب وقتل سنة 655هـ/ 1257م. أبو الفداء، المختصر، ج2، ص497.

[3] المقريزي، السلوك،ج1، ص441. انظر: الشيال، جمال الدين، تاريخ مصر الإسلامية، ج2، ص116.

[4] لفظ تركي استعمل بمعنى العلم أو الراية، وبمعنى الرمح، أو اللواء: دهمان، معجم الألفاظ،ص93.

[5] هي الصرة من القماش توضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة، وهي كلمة فارسية الأصل: المقريزي، السلوك،ج1،ص465.البستاني، كرم، المنجد في اللغة والأعلام،ص44. دهمان، معجم الألفاظ،ص36.

[6] لفظ فارسي الأصل ، معناه: الكنانة أو الجعبة التي توضع بها النشاب: المقريزي، السلوك،ج1، ص465. دهمان، معجم الألفاظ،ص44 .

[7] المقريزي، الخطط، ج1،ص210.

- أوضاع الدولة الأيوبية قُبيل وصول نجم الدين للحكم:

1) الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين:

لم تلبث الجبهة الإسلامية التي حقق صلاح الدين وحـدتها أن تفككـت بعـد وفاتـه عـام 589هـ/1193م[1]، حيث دخلت الدولة الأيوبية في صراع شديد بين خلفاء صلاح الـدين سـواء كانوا أبناءه أم إخوته، فقد أوصى صلاح الدين بالسلطة من بعده لابنه الأكبـر الأفـضل صـاحب دمشق، وجعل له السلطة العليا على بقية أجزاء الدولة الأيوبية[2].

ولكن الأفضل لم يكن أهلاً لتلك المسئولية الكبيرة؛ لسوء سـيرته، وانغماسـه فـي اللهـو والملذات[3]، وقام الأفضل بطرد معظم أمراء والده ومستشاريه، ووضع ثقته في وزير جديـد هـو ضياء الدين بن الأثير، واعتمد عليه في تصريف أموره، وقد أغضب هذا العمل معظـم الـوزراء والأمراء، فهاجروا إلى مصر[4]، حيث كان بها الابن الثاني لصلاح الدين وهـو الملـك العزيـز عثمان، فحرضوه على منازلة أخيه الأفضل، وانتزاع السلطنة منه، وإعادة الوحدة من جديـد بـين مصر والشام تحت قيادة العزيز[5] . فخرج العزيز عثمان من مصر عام 590هـ/1194م، متجهاً إلى دمشق وفرض عليها الحصار؛ فاستنجد الأفضل بعمه الملك العادل[6]. وكان الملك العادل أخـو

---

[1]انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص246. السيد، محمود، تاريخ القبائل العربية،ص84. شـاهين، ريـاض، المعظم عيسى، ص56.

[2] ابن واصل، مفرج الكروب،ج2،ص378. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص721. ملحق(1).

[3] انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7،ص121. غنيم، اسمت، الدولـة الأيوبيـة والـصليبيون، ص58. العريني، المماليك، ص35. زكار ، سهيل، الموسوعة الشاملة، تاريخ الحروب الصليبية،ج3، ص1336-1337.

[4] أبوشامة، الروضتين، ج2، ص228. أبو الفداء، المختصر، ج3، ص78.

[5] ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص39. أبو الفداء، المختصر، ج3، ص87-88.

[6] العيني، عقد الجمان، ج13، ص186. انظر: زيان، حامد، الصراع السياسي والعـسكري، ص103. عاشـور، سعيد، الأيوبيون والمماليك،ص73. شاهين، رياض، المعظم عيسى، ص61.

صلاح الدين يحكم الكرك[1] والأردن، إضافة إلى الجزيرة وديار بكر[2]؛ لذا استغل العادل الخلاف بين الأخوين الأفضل والعزيز عثمان؛ ليمد نفوذه إلى دمشق[3].

غير أن ذلك الصراع انتهى باتفاق على أن يعود العزيز عثمان إلى مصر، ويأخـذ بيـت المقدس، وما يتبعها من أعمال، في حين يحتفظ الأفضل بدمشق[4].

لكن أحوال دمشق اختلفت وساءت سيرة الأفضل، بعد أن استأثر وزيره ضياء الـدين بـن الأثير بالسلطة، وكثرت الشكوى من الأمراء لسوء تدبيره[5]، فاستغل العادل الفرصة واتفـق مـع العزيز عثمان لانتزاع دمشق من يد الأفضل، وإبعاده إلى صرخد[6]، وأن يتـولى حكمهـا العـادل بنفسه، وأن تكون السلطة العليا في الدولة الأيوبية للعزيز عثمان، ويحتفظ بلقب السلطنة[7].

وهكذا انتهى الصراع بين أبناء صلاح الدين، بعزل الأفضل نور الدين عن حكـم دمـشق وتولية العادل حكمها.

2) الدولة الأيوبية في عهد العادل وأولاده:

وقع الـصراع مـن جديـد بـين أبنـاء البيـت الأيوبي،بعـد وفـاة العزيـز عثمـان

---

(1) قلعة حصينة جداً تقع في طرق الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص453.

(2) نسبة إلى بكر بن وائل وحدها ما غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حـصن كيفـا وأمد وميافارقين: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص494 .

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص379.

(4) المقريزي، السلوك، ج1،ص231-232.

(5) حسين، حمدي، تاريخ الأيوبيين والمماليك،ص97. زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري، ص104.

(6) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة وواسعة: الحموي، معجم البلـدان، ج3،ص401.

(7) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3،ص60-61. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص116.

عام595هـ/1198م[1]، وبعد أن قرر الأمراء الصلاحية[2] تولية العادل مصر، إلا أن بقية الأمراء رفضوا ذلك، وفضلوا إحضار الأفضل من صرخد، وتوليته حكم مصر، وبالفعل تم إحضار الأفضل وتم توليته حكم مصر[3].

بعد ذلك اتفق الأفضل مع أخيه الملك الظاهر صاحب حلب والملك أسد الدين شيركوه صاحب حمص على استرداد دمشق من الملك العادل، وعندما بلغ الملك العادل ذلك، وقد كان خارج دمشق، عاد إليها قبل وصول الأفضل وحلفائه، واستعد لصد الهجوم،واستعان بولده الملك الكامل[4].

وبعد أن وصل الأفضل وحلفاؤه إلى دمشق، فرضوا عليها الحصار ستة أشهر دون أن يقوما بمحاولة جادة لاقتحامها، وقد استغل العادل ذكاءه ودهاءه لبذر بذور الخلاف بين الأفضل وحلفائه، إلى جانب استمالته أمراء الأفضل والظاهر، فانضموا إلى جانب العادل، وانتهى الأمر برفعهما الحصار عن دمشق والعودة إلى بلادهما[5].

وفي تلك الأثناء راسل العادل أمراء مصر، واتفق معهم على تسليمه مصر، وطارد العادل الأفضل حتى مصر وأوقع به هزيمة كبيرة بالقرب من بلبيس[6]، ثم لحق به إلى القاهرة وأجبره على التخلي عن حكم مصر، ودخلها العادل عام 590هـ/1194م، في حين فضل الأفضل الرحيل

---

(1) انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص82-83. أبو الفداء ، مختصر، ج3، ص95. العريني، المغول، ص89. غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، ص60. حسين حمدي، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص98. شاهين، رياض، المعظم عيسى، ص68.

(2) يقصد بالصلاحية أتباع صلاح الدين الأيوبي: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص123.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص722.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص257. أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 95.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص463. ابو شامة، الروضتين ، ج2، ص236. غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيين، ص60. زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري، ص106.

(6) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسيخ على طريق الشام: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 479.

إلى صرخد[1]. قام الملك العادل بتقسيم دولته قبل وفاته بين أبنائه، واحتفظ لنفسه بنوع من الـسيادة العليا[2]، فأعطى ابنه الكامل ناصر الدين حكم مصر، والمعظم عيسى من حمـص شـمالاً حتـى العريش جنوباً، وتدخل فيها مدن الساحل الإسلامية وبلاد الغور وأرض فلسطين والقدس والكـرك والشوبك وصرخد، وتولى ابنه الأشرف موسى البلاد الشرقية وهي الرها وحران، وأعطـى ابنـه الأوحد خلاط[3]، وميافارقين[4]، أما اليمن فكانت تحت حكم حفيده الملـك المـسعود يوسـف بـن الكامل[5].

وكان الملك العادل يتردد بين أولاده، وينتقل من مملكة إلى أخرى، وله الحرية المطلقة في تصريف الأمور، فضلاً عن الإشراف العام على باقي الأمراء الأيوبيين[6].

وهكذا استطاع الملك العادل توحيد الجبهة الإسلامية مرة أخرى، بعد أن فرقهـا الـصراع والانقسام ، وأصبحت دولته تمتد من بلاد الجزيرة شرقاً مروراً بالشام ومصر، وخطب لـه علـى منابرها، وضربت السكة فيها باسمه[7]. عاد الصراع مرة أخرى بين أبناء البيت الأيوبي بعد وفـاة الملك العادل عام 615هـ/1218م[8] ، وتشير المصادر إلى أن سبب الصراع يعود إلـى أطمـاع

---

[1] أبو شامة، الروضتين،ج2 ، ص235-236.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص163. ملحق (1).

[3] وهي في أرمينيا الوسـطى فيهـا الفواكـه ذات الخيـرات الواسـعة، والتجـارة اليانعـة: الحمـوي، معجـم البلدان،ج2،ص380.

[4] وهي أشهر مدن ديار بكر وأول من بناها وفارقين وسميت بهذا الاسم نسبة إليـه وهـو الخـلاف بالفارسـية: الحموي، معجم البلدان،ج5،ص235-236.

[5] المقريزي، السلوك،ج1،ص284. زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري،ص107..

[6] المقريزي، السلوك، ج1،ص312. العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص111.

[7] ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص178. انظر: شاهين، رياض، المعظم عيسى، ص72.

[8]انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص593. ابن العميد، أخبار الأيـوبيين، ص13. زيـان، حامـد، الصراع السياسي والعسكري، ص17. شاهين، رياض، المعظم عيسى، ص85.

الملك المعظم عيسى في أملاك أخيه الأشرف موسى وأملاك بقية أبناء البيت الأيوبي بالشام، مثـل: حماة وحمص[1].

فاضطر الملك الكامل إلى شن حروب عديدة على الأمـراء الأيـوبيين، وعلـى سـلاجقة الروم[2]، وقد خرج منتصراً في معظم حروبه، ونجح في توسيع أملاكه على حساب أخويه المعظم عيسى والأشرف موسى وسيطر على جنوب فلسطين ودمشق وحران والرها وغيرها[3].

واستغل الصليبيون تلك المنازعات بين الأيوبيين، وأعادوا احتلال معظم المناطق التي فتحها صلاح الدين الأيوبي، وخاصة المدن الساحلية، مثل: عسقلان ويافا وأرسوف وحيفا وعكا وصـور وصيدا وبيروت، وأمارتي أنطاكيا وطرابلس، فضلاً عن بعض المناطق الداخلية مثل طبريا وبيـت المقدس، التي سلمها الكامل إلى الإمبراطور فردريك الثاني في عام 626هـ/1229م بموجب عقد صلح يافا بين الطرفين حيث كانت مدته عشر سنوات[4].

لم تكن أحوال الصليبيين بأحسن من أحوال المسلمين، إذ تولى بوهيمنـد الخـامس عـرش أنطاكيا وطرابلس630-649هـ/ 1233م-1251م[5]، ووجه معظم اهتمامه إلى الصراع القائم مع السلاجقة و إمبراطورية نيقيا البيزنطية، أما مملكة بيت المقدس الصليبية فقـد تعرضـت للتفكـك والانقسام؛ بسبب الصراع بين البارونات المحليين وبين الإمبراطور فردريك الثاني صاحب السيادة

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب، ج4، ص117- 120.

[2] ينسب السلاجقة إلى زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق وهم إحدى القبائل التركية التي هاجرت من بلاد تركـستان (اسم جامع لبلاد الترك بين الصين والتبت) ، إلى ما وراء النهر واستقروا ما بين بخارى ونجد في أواخر القـرن الرابع الهجري وأقاموا ما بين السامانيين واعتنقوا الإسلام: القرماني، أخبار الدول، مج2، ص270 .

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص22-27.

[4] انظر: المقريزي، السلوك، ج1،ص354. حسين، حمدي، تاريخ الأيوبيين والمماليك،ص119. غوانمة، يوسـف، معاهدات الصلح والسلام، ص69.

[5] عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص810-811.

على مملكة بيت المقدس[1]، ومما زاد حدة ذلك الصراع، عدم وجود ملك قائم من الصليبيين المحليين، و اقتصر الأمر على وجود نائب للإمبراطور فردريك[2]؛ مما ترتب عليه بقاء صور تحت حكم قوات الإمبراطور، في حين خضعت بيروت وعكا لأمراء من أسرة أبلين، وظلت بيت المقدس مدينة مفتوحة تحت حكم الإمبراطور، أما بقية المدن الصليبية في الشام فقد ظلت مستقلة عن النفوذ الإمبراطوري[3].

أما في شمال الدولة الأيوبية فكانت دولة سلاجقة الروم بزعامة السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ 634-643هـ / 1237-1245م، الذي تحالف مع صاحب حلب وصاحب حمص ضد الملك الكامل[4]، وقد استمر ذلك التحالف بعد وفاة الملك الكامل لتأديب الملك المظفر صاحب حماة الذي اعترف بسيادة الملك الكامل، وفي الوقت نفسه عمل الملك الناصر صاحب حلب على توطيد علاقته بالسلطان كيخسرو عن طريق المصاهرة؛ فتزوج كل منهما من أخت الآخر[5].

وفي الشمال ظهرت قوة جديدة كان لها أكبر الأثر في سير الحوادث، وهي الدولة الخوارزمية، التي استطاع جلال الدين منكبرتي إعادة بنائها مرة ثانية، بعد أن حطمها المغول بقيادة جنكيز خان عام 618هـ/1221م، واتخذ من أصفهان عاصمة له[6]، ولكنها تفرقت مرة أخرى بعد مقتل سلطانها جلال الدين سنة 628هـ/1231م[7].

---

(1) باركر، أرنست، الحروب الصليبية، ص148.

(2) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2،ص806. باركر، أرنست، الحروب الصليبية،ص148.

(3) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية،ج2،ص808.

(4) المقريزي، السلوك، ج1،ص377-378.

(5) ابن العماد، شذرات الذهب،ج5، ص299. العريني، مصر في عصر الأيوبيين،ص128.

(6) المقريزي، السلوك، ج1، ص351.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص273. زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري، ص116.

أما الموصل فكانت تحت حكم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ[1] الذي استقل بالسلطنة في الموصل منذ عام 631هـ/1234م، وسار على نهج أتابكة الموصل[2]، فظل يخطب ويضرب السكة باسم السلاطين الأيوبيين، وعندما توفي الملك الكامل 635هـ/1238م، قطع الخطبة للأيوبيين، كما ألغى السكة، وسير جيشاً للاستيلاء على سنجار[3]، التي كانت من أملاك أتابكة الموصل ثم استولى عليها الملك الكامل[4].

وفي بغداد كان الخليفة المستنصر با العباس من 623هـ-640هـ / 1226-1243م على رأس الخلافة العباسية ولم يكن للخليفة العباس في تلك الفترة سوى السيادة الاسمية فقط على الدولة الأيوبية[5]؛ لذا لم يستطع القيام بأي دور في حل النازعات التي كانت قائمة بين أفراد البيت الأيوبي، واقتصر دوره على الاعتراف بالأوضاع القائمة، وإرسال التقليد بالسلطنة والخلع لكل من يصل إلى الحكم[6].

---

[1] هو بدر الدين لؤلؤ الأتابكي امتلك الموصل عام 631هـ، وتوفي سنة 657هـ بقلعة الموصل ودفن فيها: الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص323. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص184.

[2] تعني دولة أتابك زنكي صاحب الموصل وهو ابن الشهيد نور الدين صاحب دمشق وكانت قاعدتها الموصل: القلقشندي، صبحي الأعشى، ج2، ص150.

[3] مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاث أيام وهي في كهف جبل عالٍ: الحموي، معجم البلدان،ج3،ص262.

[4] المقريزي، السلوك، ج1،ص283.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص345.

[6] المقريزي، السلوك، ج1،ص416. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص345.

- المناصب التي تولّاها نجم الدين في عهد أبيه:

عهد الملك الكامل إلى ابنه الصالح نجم الدين بالسلطنة من بعده بالديار المصرية في عـام 625هـ/1228م، وأركبه بشعار السلطنة، وتداول الأمراء حمل الغاشية[1]، بين يديه، وأنزله بدار الوزارة، وكان عمر الصالح نجم الدين في ذلك الوقت اثنتين وعشرين سنة[2].

وكان الملك الكامل يريد بذلك وضع تقسيم مبدئي لمملكته بين أبنائه، كما أنه أراد وضع ولاية العهد لابنه الصالح نجم الدين تثبيتاً له و لأبنائه من بعده إذا حدث له مكروه، وقد يكون للعداء القائم بـين الملك الكامل وأخويه المعظم عيسى والأشرف موسى أثره في إعلان ولاية العهد لابنه الصالح نجم الدين في ذلك الوقت، كذلك كان الملك الكامل يخشى من عسكره، فقد أرسل المعظـم عيـسى فـي أواخر عام 624هـ/1227م، رسالة إلى أخيه الكامل ابلغه فيها أن "جميع عسكرك معي، وكتـبهم عندي، وأنا آخذك بعسكرك"[3]، الأمر الذي جعل الملك الكامل يخشى الخروج من مصر لمـساعدة أخيه الأشرف ضد خطر الخورازمية، ولم يخرج الملك الكامل مـن مـصر إلا بعـد أن حـصلت المراسلات مع الإمبراطور فردريك الثاني، ووفاة أخيه المعظم عيسى عام 624هـ/1227م[4].

يضاف إلى تلك الأسباب أن للصالح نجم الدين مكانة كبيرة عند والده لما اشتهر بـه مـن الفطنـة والذكاء وحسن التدبير[5]، في حين أن الملك الكامل كان يكره أكبر أبناءه الملك المـسعود؛ لتجبـره

---

[1] هي السرج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس فوق البردعة، وكان سلاطين الأيوبيين والمماليك بعدهم يخرجون في المواكب وبين أيديهم غاشية، وهي سرج من أديم مخرزة بالـذهب يخالهـا النـاظر جميعهـا مصنوعة من الذهب: القلقشندي، صبح الأعشى،ج4،ص7.

[2] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص26. المقريزي، السلوك، ج1،ص349.

[3] المقريزي، السلوك، ج1،ص345. العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص114-115.

[4] المقريزي، السلوك، ج1،ص345-349. عاشور، سعيد ، الأيوبيون والمماليك، ص105-106.

[5] العروسي، الحروب الصليبية، ص117.

وظلمه؛ لذا أبعده إلى اليمن[1]، أما العادل الابن الأصغر للكامل فلم يكن قد تجاوز الثامنة من عمره في ذلك الوقت[2].

كل ذلك دفع الملك الكامل لأن يوصي بولاية العهد من بعده في الديار المصرية لابنه الصالح نجم الدين.

وعندما خرج الملك الكامل إلى الشام عام 625هـ/1228م، أناب عنه بمصر ابنه الصالح نجم الدين، وأقام معه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ؛ ليقوم بالإشراف على جمع الأموال، وتسيير أمور المملكة[3] ،ولكن فخر الدين بن الشيخ خاف على نفسه من صرامة وحزم الصالح نجم الدين، فمضى إلى خدمة الملك الكامل[4].

ومنذ ذلك الوقت أخذ الصالح نجم الدين يواجه العقبات والصعوبات في سبيل المحافظة على مركزه، إذ لم تلبث أن وصلت الملك الكامل شكوى من زوجته، أم الملك العادل تشكو فيها الصالح نجم الدين، اتهمته فيها أنه يسعى إلى تولي العرش رغم أن والده ما زال على قيد الحياة[5]، وأنه اشترى ألف مملوك، واغتصب أموال التجار، فضلاً عما أسرفه من بيت المال، وأنه إذا لم يدرك الملك الكامل البلاد سيطر الصالح نجم الدين عليها وأخرجها هي وابنها العادل منها[6].

من الواضح أن تلك الشكوى الكيدية أرادت بها زوجة الملك الكامل أن يحول ولاية العهد بالديار المصرية إلى ولدها العادل، أما إكثار الصالح نجم الدين من شراء المماليك فكان لأنه أثناء

---

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ص333-342.

(2) ولد عام 617هـ/1220م: المقريزي، السلوك، ج1، ص383.

(3) ابن العميد،أخبار الأيوبيين،ص26.المقريزي،السلوك،ج1،ص349.حسين،حمدي،تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص115.

(4) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص26.

(5) ابن العميد، أخبار الأيوبيين،ص26. انظر: العبادي، أحمد، قيام دولة المماليك الأولى،ص92. خوري، ميخائيل، سيرة الملك السلطان الظاهر بيبرس، ص27.

(6) المقريزي، السلوك،ج1، ص360.

توليه نيابة مصر استاء من تصرفات بعض الأكراد، فعزل بعضهم، وأحل محلهم الأمراء الأتراك، تدعيماً لحكم والده، الذي لم يكن يثق هو الآخر في بعض أمرائه وعساكره[1].

لكن الملك الكامل انزعج من تلك الشكوى، فقرر العودة إلى مصر في رجب عام 627هـ/1230م، وأعلن خلع ابنه الصالح نجم الدين من ولاية العهد، وقبض على بعض الأمراء الذين اعتقد أنهم وقفوا إلى جانب ابنه، ويرجح أن أؤلئك الأمراء من المماليك الأتراك الذي قربهم الصالح نجم الدين إذ أنه لم يكن يثق في الأكراد في ذلك الوقت، وطالبهم برد الأموال التي فرط فيها ابنه، وأعاد إلى التجار ما اغتصبه ابنه من أموالهم[2].

وبذلك لم يعد الملك الكامل آمناً من جهة الصالح نجم الدين حتى أنه عندما خرج من مصر لصد خطر المغول سنة 629هـ/1232م، استجابة لنداء الخليفة العباس المستنصر، استناب ابنه العادل في مصر، واصطحب معه الصالح نجم الدين، وجعله على رأس الجيش الذي وجهه إلى المغول[3]، وعندما فتح الكامل آمد[4] وحصن كيفا[5]، قام بتعيين الصالح نجم الدين على إمارة حصن كيفا نائباً عنه عام 630هـ/1232م، ثم جعله نائباً عنه في البلاد الشرقية كلها عام 633هـ/1236م[6].

---

[1] العبادي، أحمد، قيام دولة المماليك الأولى،ص94. التونجي، محمد، بلاد الشام إبان الغزو المغولي، ص132.

[2] المقريزي، السلوك، ج1،ص360.

[3] العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص122.

[4] أعظم مدن ديار بكر، تحيط بها دجلة وبها عيون قريبة يتناول ماؤها باليد: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 56-57.

[5] حصن كيفا أو قلعة الصخرة، مدينة بأرض الجزيرة على الضفة اليمنى لنهر دجلة كانت بها قلعة حصينة، لها أهمية حربية وتجارية خاصة في العصور الوسطى وعندما ضعفت الدولة العباسية تتابع على حكمها الحمدانيون والمردانيون والآراتقة وظلت تابعة للسلاجقة حتى استولى عليها الأيوبيون عام 629هـ/1232م: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص233.

[6] المقريزي، السلوك، ج1،ص367. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 27.

أراد الكامل بذلك التعيين أن يبعد الصالح نجم الدين تماماً عن مصر حتى يخلو الجـو لـه ولولده العادل من بعده، وقد جرت العادة في الدولة الأيوبية أن يعهد بالحكم فـي الـبلاد الـشرقية البعيدة إلى من يراد إبعاده عن السلطنة، وذلك ما فعله صلاح الدين مع أخيه العـادل عنـدما أراد إزاحته عن ولاية العهد[1].

ومع أن الكامل قد أوصى بالسلطنة لابنه العادل من بعـده فـي الـديار المـصرية سـنة 630هـ/1232م ، وهو في الحادية عشرة من عمره[2]، بعد عزل الـصالح نجـم الـدين، إلا أن الصالح نجم الدين ظل وفياً لأبيه، ولم يشترك في الحلف الأيوبي المعادي بزعامـة عمـه الملـك الأشرف موسى، بل أنه أخذ الأذن من أبيه الكامل في استخدام بعض فلول الخوارزمية التي خرجت على طاعة سلطان الروم[3]، لتدعيم سلطانه وسلطان أبيه في منطقة الجزيرة، وبالفعل نجح في ضم سنجار ونصيبين[4] والخابور[5] إلى أملاكه[6]، ثم توجه على رأس قواته مـن الخوارزميـة إلـى الرحبة[7] وهي أملاك المجاهد شيركوه صاحب حمص، لمحاصرتها تنفيذاً لأوامر أبيه الملك الكامل، وعندما كان يحاصر الرحبة، جاء خبر وفاة أبيه ، فرفع الحصار عنها وغادرها[8].

(1) ابن واصل، مفرج الكروب؛ ج2، ص378-379.

(2) المقريزي، السلوك، ج1،ص367.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص378. العريني، المماليك، ص44. قاسم، عبد قاسم، الأيوبيين والمماليك،ص122.

(4) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام: الحموي، معجم البلدان، ج5،ص 288.

(5) اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص334.

(6) ابن العميد، أخبار الأيوبيين،ص27.المقريزي، السلوك،ج1،ص380.

(7) ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص330.

(8) المقريزي، السلوك،ج1،ص384.

3) الدولة الأيوبية في عهد العادل الثاني:

عندما توفي الملك الكامل عام 635هـ/ 1238م[1] ، اجتمع في دمشق كبار رجال الدولة الأيوبية، أمثال: سيف الدين علي بن قليح، وعز الدين أيبك، وركن الدين الهيجاوي، وعماد الدين وفخر الدين أبناء شيخ الشيوخ، واتفقوا على مبايعة الملك العادل الثاني بالسلطة باعتباره ولي عهد أبيه في سلطنة الديار المصرية[2]، وأن يكون عمه الملك الجواد بن مودود نائباً عنه بدمشق[3]؛ لأنهم رأوا أن لا يحكم دمشق إلا رجل من الأسرة الأيوبية، وأن يبقى الصالح نجم الدين بالبلاد الشرقية التي عهد له أبوه بها من قبل[4].

وكما يبدوا أن ذلك الاتفاق بين الأمراء هو الأساس الذي وضعه الملك الكامل في تقسيم دولته بين أبنائه، ولكن الأمر لم يخل من الأهواء الشخصية، لأن أؤلئك الأمراء لم يراعوا مصلحة الدولة الأيوبية، بل كانوا ينظرون إلى مصلحتهم الخاصة ضاربين بمصالح الدولة ووحدتها عرض الحائط؛ لذا مالوا إلى الملك العادل الثاني؛ لصغر سنه، ووقفوا إلى جانبه، وابتعدوا عن الصالح نجم الدين؛ خوفاً من بطشه[5].

وهكذا ازداد انقسام الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك الكامل، إذ قُسمت دولته بين ولديه العادل والصالح نجم الدين، فولي حكم مصر ودمشق الملك العادل الثاني، وولي حكم إقليم الجزيرة وحصن كيفا الملك الصالح نجم الدين، أما باقي الإمارات الأيوبية فظلت في أيدي أصحابها من الأمراء

---

[1] المقريزي، السلوك،ج1،ص382. زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري، ص13، علي، وفاء، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، ص153.

[2] ابن الوردي، تتمة المختصر، ج2، ص196. ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص268.

[3] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص23.ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص 176. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص192.

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص269.

[5] المقريزي، السلوك، ج1، ص394-397.

الأيوبيين، فكان في حلب الملك الناصر الثاني صلاح الدين بن يوسف بن الملك العزيـز بوصـاية جدته ضيفة خاتون[1]، وفي حمص الملك صلاح الدين شيركوه الثاني بن الملك القاهر.

و في حماة الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود [2] ، و في بعلبك و بـصرى والـسواد الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل الأول ، و في الكرك الملك الناصر داود بن الملك المعظـم عيسى [3].

لقد ساءت العلاقات بين أمراء الدولة الأيوبية و انتشرت بيـنهم روح العـداء و التنـافس؛ بسبب مطامعهم الشخصية [4]، و كان من الطبيعي أن يكره أعداء الملك الكامل مـن أبنـاء البيـت الأيوبي، سلطنة ابنه العادل الثاني، سيما و أنه صغير السن، فلم يعترف كل مـن المـلك الناصـر صاحب حلب، والملك أسد الدين شيركوه صاحب حمص بسلطنة الملك العـادل الثـاني، واسـتمر تحالفهما مع السلطان غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم [5]، أما الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ، و الناصر داود صاحب الكرك فقد طمع كل منهما في الاستيلاء علـى دمـشق لاعتقـاده بأحقيته في ملكها إذ إن الملك الكامل قد استولى عليها من الناصر داود عام 626هـ /1229م بعد وفاة الملك المعظم عيسى وأعطاها لأخيه الأشرف موسى [6] ، ثم استولى عليها الكامل مـرة أخرى من يد الصالح إسماعيل الذي وليها بعد وفاة أخيه الأشرف [7] .

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص334. انظر: عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص814.

[2] ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص177-178 .

[3] ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج3 ، ص246ـ247. القرماني ، أخبار الدول ، مج2 ، ص260 .

[4] ابن العميد ، أخبار الأيوبيين، ص23-24.

[5] ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص299. العريني ، مصر في عصر الأيوبيين، ص128 .

[6] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص657 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص350 .

[7] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص379 .

حاول كل من الناصر داود و الصالح إسماعيل الاستفادة من الصراع القائم بـين الأخـوين الصالح نجم الدين والعادل الثاني ، حيث كان الصراع الأساسي بين أبناء البيت الأيوبي هي محاولة الصالح نجم الدين انتزاع سلطنة الديار المصرية ودمشق من أخيه العادل الثاني؛ لاعتقاده أنه أحـق بالسلطنة من أخيه، وبزعامة البيت الأيوبي بعد أبيه الملك الكامل .

تولى الصالح نجم الدين أمر البلاد الشرقية نيابة عن والده ، و لم يجرؤ أحد على مهاجمته طوال حياة والده، عندما جاءه خبر وفاة أبيه و هو يحاصر الرحبة 635هـ ـ /1238م ، تمـردت عليه القوات الخوارزمية التي كان يقودها ، و حاولت القبض عليه، إلا أنه هرب إلـى سـنجار و احتمى بها [1] كذلك طمع غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم في أملاك الصالح نجم الدين و تصرف فيها و كأنها أصبحت جزء من دولته ، فقام بتوزيعها على حلفائه [2] ، فأعطى الناصـر صاحب حلب الرها و سروج[3]، و أعطى ناصر الدين الأرتقي صاحب ماردين سنجار و نصيبين ، كما أعطى أسد الدين شيركوه صاحب حمص عانة [4] ، و غيرها من بلاد الخابور ، و عزم على أن يأخذ لنفسه آمد و سميساط [5]، و بالفعل توجه إلى آمد[6] لمحاصرتها حيث كان بها توران شاه بن الصالح نجم الدين ، كما طمع أيضاً في الصالح نجم الدين الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، الذي سار بقواته و حاصر سنجار باعتبار أنها كانت من أملاك أتابكة الموصل ، فطلب الصالح نجم الدين منه الصلح لكنه رفض[7] ، و في النهاية استطاع الصالح نجم الدين بذكائه أن

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص135.المقريزي ، السلوك، ج1، ص384. العريني ، المماليك ، ص44 .

[2] ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص299 . العريني، مصر في عهد الأيوبيين ، ص128 .

[3] هي بلدة قريبة من حران من ديار مضر فتحت في عهد عمر بن الخطاب: الحموي، معجم البلدان، ج3،ص216.

[4] بلدة صغيرة على جزيرة في وسط الفرات يطوف بها خليج الفرات: الأصطخري ، المسالك و الممالك ، ص54.

[5] مدينة على شاطئ الفرات من ناحية الشام: الحموي، معجم البلدان، ج3، 258..

[6] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص384 .

[7] ابن كثير، البداية و النهاية ، ج13 ، ص135-136 .

يتخلص من تلك المحنة ، و أن يخرج من سنجار إلى حصن كيفا [1] .

تسليم دمشق إلى الصالح نجم الدين :

كانت دمشق تحت حكم الملك الجواد نيابة عن ابن عمه الملك العادل الثاني ، و لم يختلف الملك الجواد عن بقية أمراء الدولة الأيوبية في السعي نحو التوسع، و زيادة أملاكه على حساب غيره من أمراء البيت الأيوبي .

و قد استهل الملك الجواد حكمه بالانتصار على الناصر داود الذي حاول الاستيلاء على دمشق على اعتبار أنه أحق بها و عاد منهزماً إلى الكرك[2] .

أفزع هذا التطور الملك العادل الثاني الذي استشعر خطر قوة الملك الجواد المتزايدة ، فسارع إلى مكاتبة الملك الجواد يأمره بالرجوع إلى دمشق، و رد بلاد الناصر داوود إليه، فأفشل الملك الجواد أمر الملك العادل الثاني ، و لكن الملك العادل الثاني لم يكتف بذلك، و قرر صرف الملك الجواد عن النيابة في دمشق [3] ، فعرض عليه تسليم دمشق مقابل إقطاع بمصر [4] .

أدرك الملك الجواد أن دمشق لن تبقى له، وانه لا طاقة له بمقاومة الملك العادل الثاني ، وخشي من تسليم دمشق إليه، وأن العادل لن يعطيه على حد قوله"إلا خبزاً قليلاً بالديار المصرية"[5] لذا أرسل إلى الصالح نجم الدين، وعرض عليه أن يسلمه دمشق مقابل أن يعوضه عنها سنجار والرقة وعانة، و كان بيد الصالح نجم الدين آمد و بلادها، و ما كان بيد الملك الكامل و الملك الأشرف من بلاد الشرق [6] .

---

[1] ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص166 .
[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص384.
[3] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص193 .
[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص163 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص390 .
[5] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج3 ، ص200 .
[6] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص197. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص271.

فرح الصالح نجم الدين بذلك العرض ، و حلف لـه علـى الوفـاء ، و زاده الجديـدة [1]

و نتيجة لذلك الاتفاق ، رتب الصالح نجم الدين أوضاعه فجعل ابنه توران شاه على بـلاد الـشرق و أمره بالإقامة بحصن كيفا ،و أقام نواباً بآمد و ديار بكر[2] ، ثم توجه الملك الصالح نجم الـدين إلى دمشق لتسلمها من الملك الجواد الذي أصابه الندم بعد أن راودته الـشكوك فـي أن يـستولي الصالح نجم الدين منه على دمشق دون أن يعطيه شيئاً ، قال الذهبي:" ثم أكل الجواد يديه ندماً " [3] و لكن الصالح نجم الدين وفى له بما وعده ، فغادر الملك الجواد دمشق متجهاً إلى الشرق، و تـسلم سنجار و البلاد التي عينت له [4] و دخل الصالح نجم الدين دمشق أول جمادي الآخرة 636هـ ـ / 1239م [5] .

لم يكن تسلم الصالح نجم الدين دمشق سوى الخطوة الأولى نحو تحقيـق حلمـه واسـتعادة جميع البلاد التي جعلها له أبوه من قبل ، و تولي عرش السلطنة في مصر ، وكان الملك المظفـر صاحب حماة الحليف المخلص للصالح نجم الدين فدخل دمشق معه[6] .

أقلق استيلاء الصالح نجم الدين على دمشق الملك العادل الثاني ، و خاف منه خوفاً شديداً إذ أيقن أنه لابد و أنه سيتجه إلى مصر ، و لا سيما أن الرأي العام فيها مائلٌ إلى جانـب الـصالح نجم الدين ، إضافة أنه أكبر سناً، و أحسن سيرة ، و أعظم هيبة، و أجدر بالقيام بأعباء الدولة [7] .

---

[1] اسم قلعة في كورة بين النهرين التي بين نصيبين و الموصل ، و هي قديمة و حصينة جداً ، وأعمالها متصلة بأعمال حصن كيفا: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص115.

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص390. العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص129. طقوش، محمد، تاريخ الأيوبيين، ص355.

[3] الذهبي ، دول الإسلام ، ج2 ، ص141 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص269.

[4] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص204 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص163 .

[5] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص137 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص341.

[6] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص199 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص391 .

[7] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص207 .

و بالفعل جاء وفد من أمراء المصريين إلى الصالح نجم الدين، وطلبوا منه أن يسرع بالتقدم إلى الديار المصرية، ووعدوه بالمساعدة والوقوف إلى جانبه، و انضمام العسكر المصري إليه و جاء في قولهم له:" أنه متى دخل الرمل انفضت العسكر كلهم إليه" [1] .

واغتنم الناصر داود فرصة نجاح الصالح نجم الدين و انتصاره، وأراد تحقيق هدفين معاً : فيثأر من الملك العادل الثاني ، و في الوقت نفسه تعود إليه دمشق و جميع البلاد التي كانت بيد أبيه المعظم عيسى ، فراسل الملك الصالح نجم الدين يؤازره ضد أخيه العادل الثاني على أن يعيد إليه أملاك أبيه المعظم عيسى [2] ، فوعده الصالح نجم الدين بذلك عندما يتم له دخول مصر ، فلم يوافق الناصر داود على ذلك، وتوجه إلى القاهرة لمناصرة العادل الثاني ضد الصالح نجم الدين[3] .

و في الوقت ذاته توافدت على الصالح نجم الدين رسل المظفر صاحب حماة ، تدعوه إلى محاصرة حمص والاستيلاء عليها ، و كان المظفر يسعى لتحقيق أهدافه الشخصية بمحاصرة حمص انتقاماً من صاحبها شيركوه، ووقع الصالح نجم الدين في حيرة من أمره إما أن ينزل إلى حمص أو يتوجه إلى مصر التي جاءه رسلها يدعونه للقدوم عليهم على أن يقفوا بجانبه و يسهلوا له أمر الاستيلاء عليها[4] .

خرج الصالح نجم الدين من دمشق في 28 رمضان عام 636هـ /1239م ، على رأس خمسة آلاف جندي ، متوجهاً إلى مصر تاركاً وراءه في دمشق المغيث فتح الدين عمر ، و التقى في خربة اللصوص[5] بمن هب للقائه من عسكر مصر الذين أطمعوه في ملكها و قالوا له: " إن

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص206 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص391 .

[2] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص199-200.

[3] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص 200. انظر: العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ص130.

[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص391 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص199-200.

[5] تقع على الطريق بين دمشق و بيسان : الحموي، معجم البلدان، ج2، ص447. ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ج1، ص136.

الديار المصرية في يده ، و أنه إذا توجه إليها لا يـرده راد ، و أن جميـع عـساكرها إذا وصـل يدخلون في طاعته و يتخلون عن أخيه الملك العادل " [1] .

و قد استولى الصالح نجم الدين و هو في طريقه إلى مصر على أملاك الناصر داود الـذي كان قد توجه إلى مصر للوقوف بجانب العادل الثاني ضد الصالح نجم الدين الذي اختلف معه [2] .

لقد كان موقف العادل الثاني خطيراً جداً لانشقاق جيشه ، و زاد مـن خطـورة موقفـه أن الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أجل الأمراء لديه و أعظمهم عنده كاتب الصالح نجم الدين يدعوه إلى سرعة الوصول إلى مصر ، و كان الناصر داود قد اكتشف مراسلة فخر الدين للصالح نجـم الدين، وأخبر العادل الثاني بذلك، فغضب العادل الثاني على فخر الدين، واعتقله في قلعة الجبل [3]، ورأى الصالح نجم الدين أن يستعين بعمه الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبـك ، و طلـب منـه مساعدته على دخول مصر و انتزاعها من أخيه العادل الثاني ، إلا أن الصالح إسماعيل اكتفى بـأن وعده بالوصول إليه، و قام بإرسال ابنه الملك المنصور نور الدين محمود نائباً عنه، و قد أضـمر في نفسه استغلال الموقف للسيطرة على دمشق من الصالح نجم الدين [4] .

و في الوقت ذاته حاول الخليفة العباسي المستنصر با الإصلاح بين الأخوين ؛ العـادل الثاني و الصالح نجم الدين ، و أرسل من أجل تلك المهمة محي الدين يوسف بن جمال الدين بـن الجوزي رسولاً إلى الصالح نجم الدين [5] ، حيث حاول الخليفة العباسي إرضاء جميع الأطـراف على أساس أن تكون دمشق و بلادها التي كانت مضافة إليها زمن الملك الأشرف بن العـادل إلـى

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص214.

[2] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص200 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص392 .

[3] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص215 .

[4] ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص28 . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص216 .

[5] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص200 .

الصالح نجم الدين، و يرد إلى الناصر داود ما أخذ منه من البلاد ، و تكون الديار المصرية للملك العادل الثاني ، و يتفق الجميع ، و تنتهي الصراعات بينهم [1] .

و بالفعل قام محي الدين رسول الخليفة العباسي وولده شرف الدين بن محي الدين بدور كبير في إقرار تلك المصالحة ، و كادت المصالحة أن تتم لولا تطور الأحداث، و التي تسبب بها الصالح إسماعيل صاحب بعلبك الطامع في دمشق [2] .

ظلت رسل القوات المصرية تتوافد على الصالح نجم الدين بنابلس ، تستحثه على سرعة المجيء إلى مصر ، و لكنه فضل المكوث في نابلس منتظراً عمه الصالح إسماعيل ليتجها معاً إلى مصر حسب اتفاقهما ، إلا أن الصالح إسماعيل غدر به [3] و أخذ يقدم الأعذار للصالح نجم الدين ليمتنع عن المسير إليه ، و قام بإرسال ابنه المنصور نائباً عنه لخدمة الصالح نجم الدين ، حتى يصل هو بنفسه لخدمته [4] .

علم الملك المظفر صاحب حماة ، و الحليف المخلص للصالح نجم الدين بمؤامرة الصالح إسماعيل ، فرأى المظفر أن يرسل جماعة من عسكره بقيادة سيف الدين الهذباني إلى دمشق للوقوف إلى جانب الملك المغيث بن الصالح لحفظهما للصالح نجم الدين [5] ، و اتفق المظفر مع سيف الدين أن يتظاهر سيف الدين بالخروج على ولائه للمظفر بحجة أنه ينوي تسليم حماة للفرنج ، و لكن الحيلة لم تخف على شيركوه صاحب حمص الذي قبض على سيف الدين و بعض أتباعه من أكابر حماة، و قد ظل سيف الدين في سجنه بعد موت شيركوه [6] .

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص218 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص395.

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص395.

[3] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج8،ص726. انظر: حمد ، أسامة ، إقطاعية بيسان ، ص125 .

[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص200. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص396 .

[5] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص226 .

[6] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص396 .

استغل الصالح إسماعيل و شيركوه صاحب حمص خلو دمشق ممن يحفظهـا ، فـصاحب حماة الملك المظفر أصبح ضعيفاً ، و الصالح نجم الدين بعيد عن دمشق، و ليس في دمشق سـوى الملك المغيث عمر بن الصالح، و ليس في مقدوره الدفاع عنها ، فقام الصالح إسماعيل ، بمحاصرة دمشق في صفر عام 637هـ / سبتمبر 1239م [1] و دخلها بمساعدة حليفه شيركوه حيث توجهـا إليها من اتجاهين؛ الصالح إسماعيل من جهة عقبة دمر [2] ، أما شيركوه من ثنية العقـاب [3] ، و لم تستطع حامية دمشق الدفاع عنها و استسلمت ، و دخلها الصالح إسماعيل و شـيركوه ، و ظـل الصالح إسماعيل في دمشق نائباً عن الملك العادل الثاني ، و قال لأهل دمشق : " ادعوا للـسلطان الملك العادل، فأنا نائبه و غلامه " [4] .

اعتقال الصالح نجم الدين :

فشل الصالح نجم الدين في تدارك الأمر قبل سقوط دمشق في يد الصالح إسماعيل ، و تغير عليه عسكره ، و وردت إليهم مكاتبات من الصالح إسماعيل تـستميلهم ، حتـى فـسدت نيـاتهم، وعزموا على مفارقة الصالح نجم الدين؛ لوجود أهاليهم بدمشق [5] ،و ليأسهم من أن تقوم للـصالح نجم الدين بعد ذلك قائمة ، و أن أمره قد تلاشى بالكلية ، كما أرسل الملوك و الأمراء الذين كـانوا بصحبة الصالح نجم الدين يقولون: " إننا لا يمكننا القيام معك ها هنا ، و أهلنا و أولادنا بدمـشق ،

---

[1] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201. انظر: عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ص117 ، طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص356 . قاسم ، عبده قاسم، الأيوبيين و المماليك ، ص125 .

[2] مكان مشرف على غوطة دمشق من جهة الشمال في طريق بعلبك : الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص463 .

[3] فرجة في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص ، تقطعه القوافل المغربية إلى دمشق من الشرق : الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص85 . البكري ، معجم ما استعجم، ج3 ، ص826 .

[4] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص229 . الذهبي ، دول الإسلام ، ج2 ، ص141 . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص183 .

[5] ابن كثير،البداية والنهاية، ج13، ص138. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص273. الحنبلي، شفاء القلوب، ص333.

فأذن لنا بالسفر إلى دمشق فأذن لهم ، و كان من بين الذين رحلوا ابن واصـل" [1]، أمـا خادمـه شهاب الدين فاخر " فنهب شيئاً كثيراً من قماشه و خزائنه ، و اصطحب معه جماعة من مماليكـه الأصاغر وغلمانه و هرب مع العسكر بهم " [2] .

و هكذا ساءت أحوال الصالح نجم الدين بعد أن تركه معظم أنصاره، و رحلوا عنـه وهـو ينظر إليهم [3] و بقي معه من مماليكه ما دون المائة رجل و جاريته شجر الدر أم خليل [4] .

أقام الصالح نجم الدين ببيسان بقية يومه ، بعد أن تركه معظم جنده ، و لما وصل الليل أمر بألا تشعل الفوانيس و لا المشاعل ، ثم رحل بمن بقي معه من مماليكه [5] و انقـسم الـرأي بـين أصحابه، فمنهم من رأى التوجه إلى حصن الشقيف و التحصن به ، فلم يوافق خوفاً من أن يلاحقـه الصالح إسماعيل ، و منهم من أشار بالتوجه إلى حصن كيفا ، فلم يوافق أيضاً خوفاً من أن يلحـق به و لاسيما و أن المسافة بعيدة، و لكن الصالح نجم الدين فضل التوجه إلى ابن عمه الملك الناصر داود في نابلس [6] .

و في الطريق طمع فيه أهل الغور و القبائل، و كان مقدمهم شيخاً جاهلاً يقال له "تبل" مـن أهل بيسان قد سفك الدماء ، فأغار على عسكر الصالح نجم الدين، و نهب منه و استمر في إغارته عليهم حتى وصل إلى سبسطية ، فوقع بينهم قتال تمكن عسكر الصالح نجم الدين مـن هزيمتـه ،

---

[1] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص233 ، أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201 .
[2] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201 . ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص168 .
[3] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص233.
[4] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص726 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص397 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص273 . العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ص130.
[5] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص235 .
[6] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص235 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص333 .

و كان ذلك عام 637هـ / 1239م ، ثم مضوا إلى نابلس و نزلوا بظاهرها [1] .

عاد الناصر داود من مصر دون أن يتفق مع العادل الثاني [2] و علم بما حـل بالـصالح نجم الدين و ضياع دمشق ، و لم يكن الناصر داود قد نسى أن الصالح نجم الدين قد استولى علـى أملاكه ، و هنا التجأ إلى الحيلة و الخداع فتظاهر بالود و الصداقة للصالح نجم الدين بينما ضـمر في نفسه العداء و الانتقام [3] ، و انتهى الأمر باعتقال الصالح نجم الدين بعد حيلة بارعة ، قام بها الناصر داود ، حيث أرسل عماد الدين بن موسك ، و الظهير بن سنقر الحلبي ، و ثلاثمائة فارس فركب الصالح نجم الدين، و التقى بهم فسلموا عليه بالسلطنة و قالوا له: " طيب قلبك ، إنمـا إلـى بيتك جئت "، فقال الصالح: "لا ينظر ابن عمي فيما فعلت [4] ، فلا زال الملوك على هـذا ، و قـد جئت إليه أستجير به" ، فقالوا: " قد أجارك و ما عليك بأحسن" [5] ، و أقاموا عنده عدة أيام و فـي إحدى الليالي ضربوا البوق، و أشاعوا أن هنا هجوماً من الـصليبيين، فركـب ممالـيك الـصالح، ورحلوا جميعاً إلى سبسطية، و تقدم عماد الدين ابن سنقر على رأس قواتهما إلـى حيـث ينـزل الصالح نجم الدين، و قالوا له: "نطلع إلى الكرك فإن ابن عمك له بك اجتماع"، ثـم أخـذوا سـيف الصالح نجم الدين فظهرت الخدعة [6]، وكانت شجر الدر حاملاً فسقطت [7]، و ألقوا القبض علـى الصالح نجم الدين وتوجهوا به إلى الكرك فـي ربيـع الأول مـن عـام 636هـ / 1239م[8]

---

[1] ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص29 . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص727 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص397. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص273.

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص397 .

[3] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص726-727 .

[4] سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان ، ج8 ، ص727 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص397.

[5] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص727 .

[6] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص727 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص273.

[7] الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص333 .

[8] ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص29 . انظر: حمد ، أسامة ، إقطاعية بيسان ، ص125 .

و لم يكن مع الصالح نجم الدين سوى الأمير ركن الدين بيبرس، و زوجته شجر الدر أم ولده خليل[1].

و قد أحسن الناصر داود معاملة الصالح نجم الدين و بعث يقول له: " إنما فعلت هذا احتياطياً عليك لئلا يصل إليك مكروه من أخيك، و لا من عمك، ولو لم أسيرك إلى الكرك لقصداك و أهلكاك" [2] ، كما أمر شهاب الدين و نجم الدين بملازمة الصالح نجم الدين، و هما من أخلص أمراء الناصر داود ، كما كان أولاد الناصر داود في خدمة الصالح نجم الدين ، و يحضرون له كل ما يشتهيه من الطعام و الشراب و الملبس فكان لا يفتقد إلا الملك [3] ،و قد قال الصالح نجم الدين فيما بعد : " لقد أركبوني بغلة بغير مهماز[4] ولا مقرعة [5] و ساروا على الرمة [6] في ثلاثة أيام [7] وا ما كلمت أحداً منهم كلمة ، و لا أكلت لهم طعاماً حتى جاء خطيب الرمة ، و معه بردة و عليها دجاجة فأكلت منها ، و أقاموا بي في الرمة يومين ، و ما أعلم ايش كان المقصود فإذا بهم يريدون أن يأخذوا طالعاً نحساً يقضي ألا أخرج من سجن الكرك، ثم أدخلوني على الكرك ليلاً على الطالع الذي كان سبب سعادتي و نحوسهم ، ووكلوا بي مملوكاً فظاً غليظاً يقال له زريق ، و كان

---

[1] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص129 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص397 . انظر:قاسم ، عبده ، قاسم الأيوبيين و المماليك، ص125 .

[2] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص241 .

[3] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص398 .

[4] هي آلة من حديد تكون في رجل الفارس في مؤخرة الخف، مصنوعة من ذهب خالص، أو من حديد مطلي بالذهب أو الفضة: القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص244 .

[5] هي عبارة عن آلة تستخدم للضرب عند حدوث مخالفة، أو تستخدم أثناء ركوب الخيل لضرب الفرس: الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص261 . ابن بطوطة، رحلة، ج1، ص449. الثعالبي، يتيمة الدهر، ج1، ص497.

[6] قاع عظيم بنجد تصب فيه عدة أودية : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص675 .

[7] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص727 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص397 . انظر: عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص343 .

أضر على من كل ما جرى " [1] .

أما رجال الصالح نجم الدين الذين ظلوا معه و رافقوه إلى بلاد الناصر داود ، فقد خيـرهم الناصر داود إما أن يقيموا عنده ، و يجري عليهم من الإحسان و الإنعام ما كان جارياً عليهم فـي أيام مخدومهم ، و إما أن يسافروا حيث شاءوا ، و وعدهم أنه سوف يطلق سراح نجم الدين، و يقوم بنصرته ، إذا أمكنه ذلك [2] فانقسم مماليك الصالح نجم الدين ففضل بعضهم الـسفر إلـى دمـشق و منهم حسام الدين الهذباني، و زين الدين ، و فضل الآخرون البقاء مع الصالح نجـم الـدين و منهم بهاء الدين زهير، و شهاب الدين بن سعد الدين [3] و لما علم الملك العادل الثاني بما جـرى لأخيه الصالح نجم الدين و ضياع دمشق منه سر كثيراً ، و قد عبر عن سعادته جهراً فأمر بضرب البشائر و تزيين البلاد في مصر " و عمل سماطاً عظيماً في الميدان الأسود تحت قلعـة الجبـل ، و عمل قصوراً من حلوى ، و أحواضاً من سكر و ليمون ، و ألـف و خمـسمائة رأس شـواء ، و مثلها طعاماً " [4] و ظن الملك العادل أنه قد أمن، و لكنه لم يقنع بسجن أخيـه، فأرسـل إلـى الناصر داود يطلب منه تسليمه الصالح نجم الدين ، وأن يرسله في قفص من حديد ، ووعده مقابـل ذلك أن يعطيه مبلغاً كبيراً من المال ، و لكن الناصر داود رفض ذلك؛ الطلب فهدده الملك العـادل الثاني بأن يقصد بلاده و يأخذها منه [5] .

---

[1] سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان ، ج8 ، ص727 .

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص398 .

[3] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص242. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص398.

[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص398 .

[5] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص129. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص398 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص275 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص343 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص163 .

و لم يكن العادل الثاني وحده هو الذي طلب تسليم الصالح نجم الدين إليه ، بل تلقى الناصر داود طلباً من الصالح إسماعيل صاحب دمشق و أسد الدين شيركوه صاحب حمص بتسليمه إليهما ، و لكن الناصر داود رفض طلبهم أيضاً [1] .

و من الملاحظ أن رفض الناصر داود تلك الطلبات رغم العروض المغرية من الملك العادل الثاني و الصالح إسماعيل و أسد الدين شيركوه إنما يعود إلى شعوره بأهمية الصالح نجم الـدين و مكانته في الأسرة الأيوبية ، باعتباره الإبن الأكبر للملك الكامل ، كمـا أن الناصـر داود رأى أن الملك العادل الثاني لم يكن كفؤاً لتحمل المسئولية، و تولى السلطنة حيث كـان صـبياً و ضـعيف الشخصية و ميالاً إلى اللهو.

إطلاق سراح الصالح نجم الدين :

حاول الناصر داود إثبات قوته أثناء وجود الصالح نجم الدين في السجن، فدخل مدينة القدس عام 637هـ /1240 م و طهرها من الفرنج الذين لم يجدوا أمامهم سوى الرحيل إلى بلادهم [2] .

و في تلك الأثناء حاول الخليفة العباسي المستنصر با الإصلاح بين الصالح إسـماعيل، و الناصر داود، و الملك العادل الثاني ، و لكن محاولاته فشلت؛ بسبب تصميم الناصر داود علـى استرداد أملاك أبيه [3] ، و أثناء تحرك رسل الخليفة العباسي في المنطقة وصل جمال الـدين بـن مطروح حماة و أقنع الملك المظفر صاحب حماة جمال الدين بن مطروح أن يناصر الصالح نجـم الدين [4] ، فوافق جمال الدين، و سافر إلى الشرق حيث اجتمع بمقدم الخوارزمية حسام الدين بركة خان ، و طالبه بمناصرة الصالح نجم الدين، و سلمه رسالة في هذا المعنى من الناصر داود شـرح

---

[1] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص129 ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص183، عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص343.
[2] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص247 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201.
[3] علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص164 .
[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201 .

فيها موقفه من الصالح نجم الدين و أوضح أنه لم يعتقله في الكرك " و إنما صان بإنزالـه الكـرك مهجته ، خوفاً من أخيه الملك العادل و عمه الصالح " [1] ووعد بأنه سيخرجه و يملكه الـبلاد [2] و طلب من الخوارزمية أن يتحركوا لنصرته ، و رسم لهم طريق ذلك التحرك حيث طلب منهم أن يغيروا على بلاد حلب و بلاد حمص [3] كما أن المظفر أرسل القاضي شهاب الدين إبراهيم قاضي حماة رسولاً في الظاهر إلى الملك العادل الثاني بمصر ، و حمله رسالة في الباطن إلـى الناصـر داود أشار عليه بإطلاق سراح الصالح نجم الدين ، و مساعدته على أخذ مصر ، فوعد الناصر داود بذلك و حلف عليه ، و مما ساعد أيضاً على إطلاق سراح الصالح نجم الدين من سجنه أن العـادل الثاني كان قد اتفق مع الناصر داود على إعطائه دمشق إذا فتحت ، فلما اسـتولى عليهـا الـصالح إسماعيل ، تراجع العادل الثاني عن وعده للناصر داود و شكره على فعله؛ فعز على الناصر ذلك الفعل و أطلق سراح الصالح نجم الدين [4] ، و على الجبهة الأخرى المعادية للصالح نجـم الـدين كانت وفاة أسد الدين شيركوه صاحب حمص عام 637هـ / 1240 م [5] .

أفرج الملك الناصر داود عن الصالح نجم الدين في رمضان عام 637هـ /أبريل 1240م بعد أن ظل في السجن سبعة أشهر [6] ، توجه الصالح نجم الدين إلى نابلس بعد إطلاق سراحه بناء على طلب الناصر داود، و ضرب له دهليز السلطنة، و اجتمع مع مماليكه و أصحابه الذين كـانوا

---

[1] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص249 .
[2] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص249 .
[3] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص249.
[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص400 .
[5] ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص29 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص201. ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص129. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص280 .
[6] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص29. أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص202. الحنبلي، شفاء القلوب، ص334 .

عند الناصر داود [1]، كذلك أمر الناصر داود خطيب نابلس بقطع الخطبة للعـادل الثـاني ، و أن يجعلها للصالح نجم الدين [2] ثم توجه الناصر داود و الصالح نجم الدين إلى القدس حيث اجتمعـا عند الصخرة المقدسة ، و أقسما أن يفي كل منهما لصاحبه . فيملك الصالح نجم الـدين مـصر و الناصر داود دمشق ، و حمص ، و حماة ، و حلب ، وبلاد الجزيرة ، و ديار بكر ، و الموصل، و نصف ما في الخزائن من الأموال و الجواهر و الخيل و الثياب و غيرها [3] وقد قال الصالح نجـم الدين: " حلفني على شيء ما تقدر عليه ملوك الأرض ، فحلفت تحت القهر و السيف " [4] .

---

[1] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص202 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص400-401 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص344 .

[2] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص259.

[3] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص275. الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص334.

[4] سبط ابن الجوزي ، مرأة الزمان ، ج8 ، ص728 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص139 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص275. الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص334.

- توليه الحكم في مصر ، وأهم العوامل التي ساعدته على ذلك :

سار الصالح نجم الدين و الناصر داود في جيشهما إلى غزة ، و وصلت الأخبار إلى الملك العادل الثاني بمصر " فانزعج و أمر بخروج الدهليز السلطاني و العساكر " [1] ووصل إلى بلبيس، و منها أرسل العادل الثاني إلى حليفه الصالح إسماعيل صاحب دمشق ليخرج هو الآخر بقواته ليواجها الخطر، و يشتركا معاً في القبض على الصالح نجم الدين و الناصر داود ، و ينتزعا البلاد من أيديهما، و بالفعل استجاب الصالح إسماعيل، و تحرك وفقاً لما طلبه منه العادل الثاني، و انضم إليه الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، و نزلا بالفوار من أرض السواد [2] .

لقد استشعر الصالح نجم الدين و حليفه الناصر داود بخطورة الموقف و علما أن لا طاقة لهما بمواجهة العادل الثاني القادم من مصر، و الصالح إسماعيل القادم من دمشق ، فقررا العودة إلى نابلس، و عزما على التوجه إلى الكرك؛ للاحتماء به [3] ،و يقال أن الناصر داود قد اختلفت نيته و عزم على رد الصالح نجم الدين إلى سجن الكرك، و مصالحة العادل الثاني، و الصالح إسماعيل [4] .

لا يستبعد ما قيل عن الناصر داود حيث كان يتلون و يتقلب دائماً حسب السياسة ووفقاً لمصالحه الشخصية ، حيث أن الناصر داود كان يحاول دائماً الاستفادة من وجود الصالح نجم الدين تحت يده ، و كان يعد وجود الصالح نجم الدين تحت يده كورقة رابحة يستغلها حسب الموقف ووقت الحاجة .

---

[1] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص401 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص344 .
[2] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص202 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص166.
[3] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص261.المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص401.
[4] ابن واصل ، مفر ج الكروب ، ج5 ، ص261. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص276.

و لكن عاملاً مهماً لعب دوره في تلك الأثناء ، حيث استغل أمراء مصر فرصـة إطـلاق سراح الصالح نجم الدين ، و تحالفه مع الناصر داود ، و خروج العادل الثاني على رأس قواته إلى بلبيس، فقام الأمير عز الدين أيبك مقدم المماليك الأشرفية [1] ، و اتفق مع باقي الأمراء الأشـرفية على خلع العادل الثاني [2] و القبض عليه ووافقهم على ذلك الأمراء الكاملية [3] و مـنهم جـوهر النوبي و شمس الخواص و مسرور الكاملي ، و كافور الفائزي ، فركبوا ليلاً و أحـاطوا بـدهليز الملك العادل الثاني و قبضوا عليه ليلة الجمعة 8 ذي القعدة سنة 637هـ /1240م [4] و لم يتحرك أحد من الأمراء لنصرته ، إلا أن بعض الأكراد هموا لتخليص سلطانهم و لكنهم هزمـوا و عـادوا إلى القاهرة [5] .

سار الصالح نجم الدين و الناصر داود إلى مصر بعد أن وصلت عليهما الرسل، تستدعيهما لتسلم الحكم بعد أن تأكدوا من القبض على العادل الثاني ، ووصلا إلى بلبيس حيث كـان العـادل الثاني متحفظاً عليه في خيمة صغيرة من المماليك الأشرفية[6] ، و تسلم الصالح نجم الدين أخـاه العادل الثاني، و سار في قبضته ثم سار إلى القاهرة، فتلقاه رسول الخليفة محي الدين بن الجوزي ، و رسول المظفر صاحب حماة القاضي شهاب الدين [7] .

---

[1] هم مماليك الأشرف موسى صاحب دمشق ، كانوا في خدمة الملك الكامل بعد استيلائه على دمشق ، ثم أصبحوا في خدمة العادل الثاني بعد توليه السلطنة : ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص243 .

[2] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص202.المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص401 .

[3] هم مماليك الملك الكامل بن العادل و كانوا يميلون إلى الملك الصالح نجم الدين : المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص95.

[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص202. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص401.

[5] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص401.

[6] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص202.ابن أيبك، كنز الدرر، ج7، ص238.

[7] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص265 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص402 .

دخل الصالح نجم الدين إلى قلعة الجبل في ذي القعدة سنة 637 هـ / 1240م [1] و قد زينت القاهرة و ظواهرها و قلعة الجبل زينة عظيمة ، وفرح الناس به فرحاً شديداً " لنجابته و شهامته ، و استحقاقه الملك " [2] .

أما الناصر داود فنزل بدار الوزارة [3]، ووصلت إلى القاهرة الخلع الخليفية، فلبسها الصالح نجم الدين، وأصبح صاحب الحكم الشرعي في البلاد في حين بقى العادل الثاني في سجنه[4] .

و لقد فرح أيضاً الملك المظفر صاحب حماة الذي كانت قد ساءت أحواله ؛ بسبب تحالفه مع الصالح نجم الدين و أبيه من قبله ، و زينت قلعة حماة زينة عظيمة شملت جميع أبراجها و أمر المظفر بإقامة الخطبة للملك الصالح نجم الدين ، و نثرت الدراهم و الدنانير [5]

و هكذا دانت مصر للملك الصالح نجم الدين بعد صراع طويل و مرير مع أبناء البيت الأيوبي ، مما يدل على ما كان يتمتع به الصالح نجم الدين من صبر و شجاعة و قوة تحمل .

---

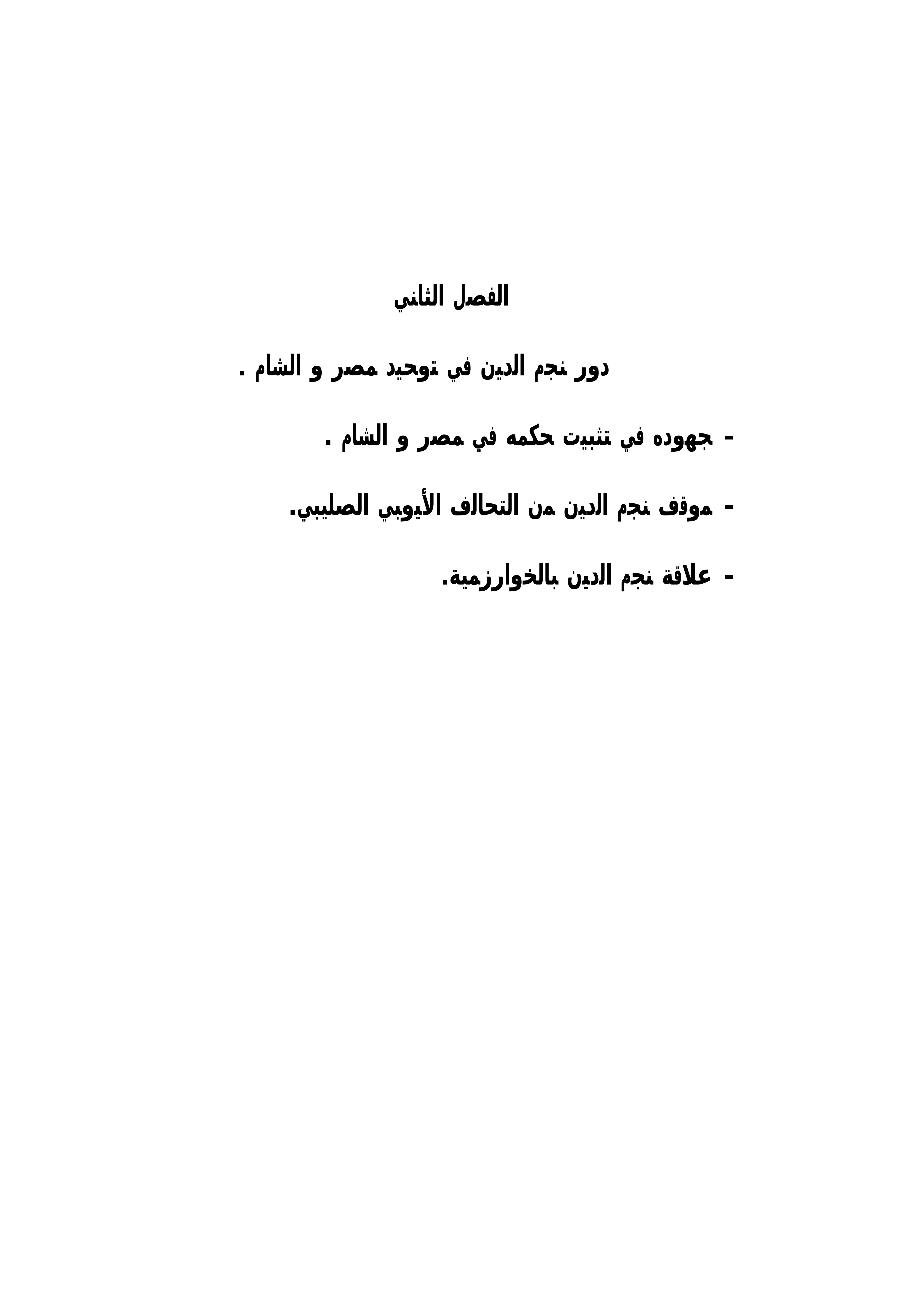
[1] أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص202 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص129 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص403 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص335 . ابن الوكيل ، تحفة الأحباب ، ص59.

[2] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص266 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص202 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص345 .

[3] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 . ص267 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص403 .

[4] المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص403 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص345 .

[5] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص269 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص202 .



الفصل الثاني

دور نجم الدين في توحيد مصر و الشام .

- جهوده في تثبيت حكمه في مصر و الشام .
- موقف نجم الدين من التحالف الأيوبي الصليبي.
- علاقة نجم الدين بالخوارزمية.

- جهوده في تثبيت حكمه في مصر و الشام :

بعد أن دانت مصر للملك الصالح نجم الدين ، و التي تعتبر مركز القوة في الدولة الأيوبية ، لم تتوقف الخلافات بين الأسرة الأيوبية ، فقد اشتد الصراع و النزاع بين الملك الصالح نجم الـدين صاحب مصر ، و بين الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، و لم يقف باقي الملوك الأيوبيين موقـف الحياد ، بل انقسموا بين هذين الرجلين و انضموا إلى أحد طرفي النزاع ، حيث شـكلت العلاقـة بينهما أهم عنصر في مجرى الأحداث طوال عصر الصالح نجم الدين ، لذا عمل الصالح نجم الدين منذ توليه العرش على تثبيت حكمه في مصر و الشام.

كان الصالح نجم الدين يعلم و يدرك أن الناصر داود يجري وراء مـصلحته الشخـصية ، و كذلك لم ينس الصالح نجم الدين اعتقاله قي قلعة الكرك و التي حاول الناصر داود أن يلبسها ثوب الحرص عليه ، كذلك لم ينس أيضاً الصالح نجم الدين محاولة الناصر داود الصلح مع العادل الثاني و إعادته إلى السجن مرة أخرى [(1)] ، بالإضافة إلى ما أحاط سلوكه في مصر بعد أن دخلهـا مـع الصالح نجم الدين من شك حيث اجتمع بجماعة من الأمراء سراً [(2)] ، و ما قيل عنه كذلك من أنـه وهو ببلبيس بعد القبض على العادل الثاني ، اجتمع على شراب مع الصالح نجم الدين ، وبعـد أن سكر توجه إلى أخيه العادل الثاني و قبل الأرض بين يديه[(3)] ، و قال له : " تبصر أي شئ فعلت ، وكيف أوقعتك في هذه الحال ، و أنا قادر أن أردك إلى ملكك"[(4)] .

من الملاحظ أن الصالح نجم الدين لم ينس ما قام به الناصر داود و لكنه كان يظهر

---

(1) انظر: ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص269 . ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج 6 ، ص169 .
(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص207 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ص168.
(3) الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص335 .
(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص271 – 272 .

للناصر داود غير ما كان يبطن ، وكذلك الناصر داود كان تحالفه مع الصالح نجم الدين ما هو إلا تحقيقاً لمصلحته الشخصية فقط .

لذا رفض الصالح نجم الدين أن يعطي الناصر داود قلعة الشوبك عندما طلبها ، كما رفض مساعدته في استرداد دمشق و سائر أملاك أبيه و تراجع أيضاً عن وعده له عند الصخرة المقدسة و قال أنه : " حلف له عند الصخرة المقدسة بما اقترحه عليه " و أنه " إنما كان فيه مكرهاً لأنه كان في قبضته " [1]. كما برر الصالح نجم الدين كذلك موقفه من الناصر داود بقوله " حلفني على أمور ما يقدر عليها ملوك الأرض : أن آخذ له دمشق و حمص و حلب و بلاد الجزيرة و ديار بكر و نصف مملكة مصر ، ونصف ما في الخزائن من الحوا صل و الأموال و الجواهر فحلفت له مكرهاً "[2] .

لقد كان الناصر داود واهماً عند تحالفه مع الصالح نجم الدين ، لأن الصالح نجم الدين كان يطمع في السيطرة على دمشق وعلى سائر أملاك الدولة الأيوبية ، و لم يقتصر موقف الصالح نجم الدين على عدم الوفاء بتنفيذ الاتفاق فقط ، بل تعداه إلى التهديد و الوعيد [3]. و عمل على إبعاده عن مصر فأرسل إليه من خوفه منه وقال له :" إني قد جئت إليك لحق أنعمك ، فاكتم على ما أقوله لك لئلا يؤذيني ابن عمك الملك الصالح نجم الدين، فانه قد أمر بالقبض عليك ، فخذ حذرك " [4] .

لقد نجحت الحيلة على الناصر داود، فطلب الأذن من الصالح نجم الدين بالرحيل إلى بلاده، فأذن له

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص271 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص357 – 358 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص168 .

(2) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص129 . الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص142 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص 168 – 169 .

(3) عثامنه ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص147 .

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص272 .

فرحل إلى الكرك و هو بين الطائع و العاصي [1] .

بدأ الناصر داود المتقلب دائماً يقف مرة أخرى ضد الصالح نجم الدين ، فاتفق مع الـصالح إسماعيل صاحب دمشق و الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص للوقوف في وجه الصالح نجـم الدين ، كذلك تحالف معهم أهل حلب ، و أصبحت كلمة الجميع واحدة ضد الصالح نجم الدين ، و لم يبق مع الصالح نجم الدين في بلاد الشام سوى الملك المظفر صاحب حماه [2] .

قام الصالح نجم الدين بمهاجمة الناصر داود عام 639هـ - 1242م حيث أرسل إليه جيشاً بقيادة عماد الدين بن شيخ الشيوخ ، و التقى الجيشان في القدس ، و لكن الناصر استطاع تحقيـق النصر على جيش الصالح نجم الدين و تم أسر الكثير من رجاله ، حتى أن قائد الجيش بـن شـيخ الشيوخ كان من بين الأسرى، ولكن الناصر داود أطلق سراحه فيما بعد ومن أسروا معه أعـادهم إلى مصر ، و قد توفى بن شيخ الشيوخ بعد عودته بقليل [3] .

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص272 . أبو الفداء ، المختصر . ج 3 ، ص203 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص283 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص358. علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص169 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص262 .

(2) المقريزي، السلوك، ج1،ص412 .

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص301 .

- موقف نجم الدين من التحالف الأيوبي الصليبي :

لقد حدث تطور آخر على الجبهة المتحالفة ضد الصالح نجم الدين حيـث أرسـل الـصالح إسماعيل إلى الناصر داود واتفق معه على عداوة صاحب مصر [1] ، لأن الصالح إسماعيل ملـك دمشق أيقن أن تولى الصالح نجم الدين عرش مصر خطراً محققاً يتهدده،كما أيقن بأنـه سيـصبح الهدف التالي له [2]، فالتجأ الصالح إسماعيل إلى الفرنج ليقوى بهم لمساعدته في دخـول مـصر، فرأى الفرنج في ذلك فرصة لتحقيق بعض المكاسب على حساب الجبهة الإسـلامية المفككـة [3]، لذلك وافقوا أن يجيبوا الصالح إسماعيل إلى طلبه بشروط: فاتفق مع الفرنج وأعطاهم في مقابل ذلك صفد و قلعة الشقيف، ومناصفة صيدا، وطبريا وأعمالها، وكذلك جبل عاملـة [4]، و سـائر بـلاد الساحل [5]، بل وبلغت فيه الجرأة والتواطؤ مع الفـرنج أن سـمح لهـم بالـدخول إلـى دمـشق و شراء أسلحتهم وآلات الحرب منها [6]، فرفض المسلمون ذلك الفعل، و ذهبوا إلى أهـل الـدين منهم وإلى العلماء واستفتوهم في هذا الأمر، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد الـسلام بتحـريم بيـع السلاح للفرنج [7] و قطع من الخطبة بجامع دمشق الدعاء للصالح إسماعيل و صـار يـدعو فـي الخطبة بدعاء منه:"اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد، تعز فيه أولياءك، و تذل فيه أعداءك، ويعمـل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك"، والناس يضجون بالدعاء [8].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص283 .

(2) غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك و ص379 .

(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص407 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص263 .

(4) يطلق هذا الاسم على جهة جبلية قرب الساحل في إقليم صفد و يوجد بها حصن الشقيف:الحموي، معجم البلدان، ج4،ص470.

(5) الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص143 . أبو الفداء، المختصر ، ج 3 ، ص205 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص141 .المقريزي ، السلوك ، ج 1، ص407 . العليمي، الأنس الجليل ، ج 2 ، ص361 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص403 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص263 .

(7) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص403 .

(8) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص403 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص349 – 350 .

و لم يسكت علماء الإسلام على هذا الموقف بل أنكروه صراحة وجهراً، ومنهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب دمشق كما أسلفنا، و الشيخ أبو عمرو بن الحاجب شيخ المالكية في دمشق، فأمر الصالح إسماعيل باعتقالهما ولكنه اضطر للإفراج عنهما[1]، ثم سمح لهما بمغادرة دمشق، فـسارا سنة 638هـ/ 1240م إلى الملك الناصر داود صاحب الكرك، فاستقر الشيخ أبو عمرو بن الحاجب عنده، في حين توجه الشيخ بن عبد السلام إلى مصر، فتلقاه الصالح نجم الدين بالاحترام والإكرام ، وولاه قضاء مصر وما معها من الوجه القبلي والخطابة بجامع القاهرة [2].

وقال أبو الفداء:"إن المسلمين أنكروا معاضدة الصالح إسماعيل للعدو وتسليم البلاد لـه وأن يكونوا معه على ابن أخيه الصالح نجم الدين فعظم ذلك على المسلمين، وأكثر الشيخ عز الدين بـن عبد السلام التشنيع على الصالح إسماعيل بسبب ذلك"[3].

حاول الملك الصالح نجم الدين تهدئه الموقف المتأزم مع الصالح إسماعيل وحلفائه ولو إلى حين، وإيقاع الفرقة بين ذلك الحلف، فجرت المفاوضات بينهم في عام 641 هـ/ 1243م، و ترددت الرسل بين الصالح نجم الدين، وعمه الصالح إسماعيل، وتم الاتفاق بينهما[4]، علـى أن تكون دمشق وبلادها للصالح إسماعيل، ويكون للصالح نجم الدين مصر وبلادها، وأن يكون لكل من صاحب حمص وحماة وحلب ما بيده من البلاد، وعلى أن تكون الخطبة والسكة في جميـع الـبلاد للملك الصالح نجم الدين، كما تقرر أن يفرج الصالح إسماعيل عن المغيث بن الصالح نجـم الـدين المعتقل في دمشق ومن معه[5].

---

(1) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ،ص140 .
(2)أبو الفداء،المختصر،ج3،ص205.ابن كثير،البداية والنهاية،ج13،ص140.عاشور،فايد،الجهاد الإسلامي ضد الصليبين،ص350.
(3) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص205 .
(4) ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص89 .
(5)ابن واصل، مفرج الكروب ، ج5 . الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص144. المقريزي ، السلوك ، ج 1 ،ص417.

كما نص الاتفاق على مهاجمة الناصر داود صاحب الكرك و انتزاع أملاكه منه و اقتسامها بين الصالح إسماعيل و الصالح نجم الدين [1].

و من الملاحظ أن هذا الاتفاق يعتبر خطوة مهمة لإعادة وحدة الدولـة الأيوبيـة ، حيـث اعترف الأمراء الأيوبيون بالشام بسلطنة الصالح نجم الدين على مصر ، وبناء على هـذا الاتفـاق أصبح الصالح نجم الدين زعيم البيت الأيوبي .

بموجب هذا الاتفاق تم فعلاً الإفراج عن عدد من الأسرى ، وكان من بين المفـرج عـنهم الأمير حسام الدين[2] الذي توجه إلى مصر بعد أن خلع عليه صاحب دمشق [3] ، وخطب للـصالح نجم الدين بجامع دمشق و حمص [4] ، كما أفرج عن المغيث بن الصالح نجم الدين ، و لكنه أعيـد إلى سجنه بالقلعة مرة أخرى حتى يتم بينهما الحلف [5] .

غير أن الصالح إسماعيل نقض هذا الاتفاق بناء على طلب وزيره أمين الدولة أبو الحـسن غزال المسلماني ، حيث قال له : " لا ترد الغلام إلى أبيه فتخرج البلاد من يدك ، هذا خاتم سليمان بيدك للبلاد " [6] ، هذا فضلاً عن وقوع كتاب في يد الصالح إسماعيل من الصالح نجم الدين كـان موجهاً إلى الخوارزمية يطلب فيه منهم مساعدته ضد الصالح إسماعيل [7] .

وقد جاء في ذلك الكتاب أنه صالح عمه الصالح إسماعيل " ليخلص ابنه المغيث من يده ،

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص328 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص284 .
(2) حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي بن باشاك الهذباني، المعروف بابن أبي علي: المقريزي، السلوك،ج1،ص417 .
(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص417 .
(4) الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص111 .المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص417 .
(5) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج 2 ، ص173 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص417 .
(6) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص146.
(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص248 .

و أنه باق على عدواته ، ولابد من قصده و أخذ دمشق " [1] . فقام الصالح إسماعيل بإعادة المغيث إلى سجنه ، وقطع الخطبة عن الصالح نجم الدين ، و هكذا عادت الخلافات مرة أخرى بين الصالح نجم الدين و عمه الصالح إسماعيل [2] .

ساءت الأوضاع مرة أخرى ، وعاد الصالح إسماعيل و اتفق مع الناصر داود ، و انـضم إليهما صاحب حلب و صاحب حمص [3] ، و لم يكتف الصالح إسماعيل بزعامـة هـذا الحلـف الأيوبي ضد الصالح نجم الدين ، بل اتصل بالفرنج مرة أخرى عام 641 هـ ـ / 1243م بعـد أن علم بمراسلة الصالح نجم الدين للخوارزمية ، و قد سلم الصالح عدة مناطق جديدة للفرنج منها: بيت المقدس و طبريا و عسقلان [4] ، ويروي المؤرخ ابن واصل أثناء مروره بمدينـة القـدس سـنة 641هـ/ 1243م فيقول :" فرأيت الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة، وعليها قناني الخمـر برسم القربان،ودخلت الجامع الأقصى وفيه جرس معلق، وأبطل بالحرم الشريف الآذان والإقامة"[5].

و لم يكتف الصالح إسماعيل بذلك بل وعدهم بأنهم إذا استولوا على البلاد المصرية فسوف يعطيهم كافة المناطق الساحلية [6] .و قد أدى هذا التحالف إلى قيام الصالح نجم الدين بحشد قواته ، وأخذ ينتظر قدوم الخوارزمية لنصرته ، وبالفعل تمكنت الخوارزمية من الوصول إلى غزة بقيادة

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص331 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص284 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص336 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص285 .

(3) ابن تغري بردي و النجوم الزاهرة ، ج 6 و ص288 .

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص331 . ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج 2 ، ص74 .

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص333 .

(6) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص33 .

بركة خان و معه عشرة آلاف فارس [1] ،ففر جند الصالح إسماعيل منها و عـادوا إلـى دمشق ، فأرسلت الخوارزمية إلى الصالح نجم الدين يطلبون منه إرسال عساكره إلـيهم ليحـاربوا الصالح إسماعيل و حلفاءه [2] وقد وصلت قوات الصالح نجم الدين إلى غزة بقيـادة ركـن الـدين بيبرس [3] و التقى الفريقان عند قرية هربيا(لافوربيه كما يسميها الفرنج) التي تقع فـي الـسهل الرملي على بعد بضعة أميال شمال غزة [4] ، في 12 جمادي الأولى 642 هـ ـ / 17 أكتـوبر 1244م [5] ، حيث

تمكنت القوات المصرية بقيادة ركن الدين بيبرس والخوارزمية من هزيمة التحالف الأيوبي الفرنجي شر هزيمة ، و قتل من الفرنج عدداً كبيراً حيث وصل عدد القتلى إلـى أكثـر مـن خمـسة آلاف قتيل[6]، و زاد بعض المؤرخين فجعل عدد القتلى ثلاثين ألفاً [7] ، بينما تم أسر حـوالي ثمانمائـة أسيراً [8] .

و تعتبر معركة غزة من أهم المعارك الحربية الفاصلة في تاريخ الإمارات الصليبية [9] .

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص419 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص123 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص268 .

(2) علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص173 .

(3) هو من مماليك الصالح نجم الدين ، وكان من أكبر مماليكه ومن المقربين إليه ، حيث سجن معه في الكرك ، و هو غير ركن الدين بيبرس البندقداري الذي انتصر على الفرنج في معركة المنصورة: أبو الفداء، المختصر، ج3، ص209.

(4) النويري ، نهاية الأرب،ج6،ص305. انظر: رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج 3 ، ص394.

(5) المقريزي، السلوك، ج1، ص419-420. انظر: غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص270 .

(6) العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ، ص137 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج 3 ، ص395 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج 4 ، ص210 .

(7)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص746 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ،ص148. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص420.

(8) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص746 . العريني ، مصر عصر الأيوبيين ، ص137 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص356 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيين و المماليك ، ص125.

(9) Stevenson , the crusaders in the East, p. 323.

حيث دمرت جيوشهم تدميراً لم يشهدوه من قبل إلا في معركة حطـين سـنة 583 هـ ـ / 1187م حتى أطلق المؤرخون المحدثون عليها اسم " حطين الثانية " [1] .

و قد وصف بعض المؤرخين هذه المعركة فيقول سبط ابن الجوزي : " كان يوماً عظيماً لم يجر في الإسلام مثله و لا في زمان نور الدين و صلاح الدين " [2].

و قد زينت مصر و القاهرة احتفالاً بهذا الانتصار العظيم، و ضربت البشائر أياماً متوالية ، وكان عدد الأسرى الذين أحضروا إلى مصر من الفرنج ، ومن أصحاب الناصر داود ، وعـسكر دمشق كثيراً،وكان يوم دخولهم إلى القاهرة كما وصفه بعض المؤرخون المسلمين"يوماً مشهوداً "[3].

استيلاء الصالح نجم الدين على دمشق للمرة الثانية :

قرر الصالح نجم الدين معاقبة الصالح إسماعيل لتحالفه مـع الـصليبيين ، فبعـد هزيمـة الصليبيين و حلفائهم من ملوك الدولة الأيوبية في موقعة غزة، خرجت القـوات المـصرية بقيـادة الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ [4] في عام 642 هـ / 1244م [5] ، ويقول المقريزي :"

و سير الصالح نجم الدين الصاحب معين الدين على العساكر من القاهرة ومعـه الـدهليز السلطاني و الخزائن، وأقامه السلطان مقام نفسه ، و أذن له أن يجلس على رأس السماط ، ويركب

---

(1) عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص125. الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص827 . الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص14 .

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص746.

(3)ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص346 . ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص175 .المقريزي، السلوك، ج1، ص420. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، ص288.

(4) هو الحسن بن صدر الدين محمد بن عمر بن حموية أبو علي ، وزير الملك الصالح نجم الدين ، تولى الوزارة بعد وفاة أخيه عماد الدين الذي توفى بعد عودته من أسره بدمشق بعد هزيمته على يد الناصر داود سنة 639 هـ : سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص755-756 .

(5) المقريزي و السلوك ، ج 1 ، ص420 .

كما هي عادة الملوك، و أن يقف الطواشي شهاب الدين رشيد أستا دار[1] السلطان في خدمته على السماط ، و يقف أمير جاندار[2] و الحجاب بين يديه ، كعادتهم في خدمة السلطان " [3] .

وصل معين الدين إلى غزة بعد أن انضمت إليه القوات الخوارزمية و من كان فيها من جنود مصر [4] ، فتوجهت الجيوش ووصلت بيسان و أقاموا بها مدة ثـم تقـدموا نحـو دمـشق و حاصروها[5] ، فدب الرعب في قلب الصالح إسماعيل صاحب دمشق [6] ، فاسـتعد للحـصار ، و خرب كثيراً من الرباع خارج المدينة كما خرب جسر باب توما فغرقت المساكن التي على حافة نهر بردى ، فساءت أحوال المدينة [7] .

و قد استمر حصار دمشق ستة أشهر ، ساءت أحوال الناس بسبب قلـة المـواد و غـلاء الأسعار ، وقلت الذخائر لدى جند دمشق مما جعل الصالح إسماعيل في موقف عصيب و حرج [8].

أحس الصالح إسماعيل بحرج موقفه فأرسل إلى الخليفة العباسي المستعصم با يطلب منه التدخل للإصلاح بينه و بين الصالح نجم الدين ، و لكن الخليفة المستعصم با رفض التدخل بسبب ضعف مركزه و فشله في عقد الصلح بين الطرفين عدة مرات [9] ، و في تلك الأثناء مـن عـام

---

(1) لقب يطلق على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل، وهي مركبة من ثلاثة ألفاظ، إحداها عربي وهي بمعنى أمير، والثاني جان ومعناها الروح بالفارسية والتركية: القلقشندي، صبح الأعشى،ج2، ص379.

(2) هو المسئول عن المطبخ السلطاني والإشراف على الطعام والمشي أمام السلطان والوقوف على السماط: القلقشندي، صبح الأعشى،ج2، ص379.

(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص420.

(4)المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص420 . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 1 ، ص215.

(5) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص421 .

(6) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص174 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص827 .

(7) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص174 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج 4 ، ص211 .

(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص287-288 .

(9) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص211 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص307 .

642 هـ / 1244م توفى المغيث بن الملك الصالح نجم الدين في سجن الـصالح إسـماعيل [1]، فاشتعلت نار الحقد في قلب أبيه و قرر الانتقام من الصالح إسماعيل و حقد على عمه الملك حقـداً شديداً ، و اتهمه بقتله ، وجد في حربه [2] .

أدرك الصالح إسماعيل أن لا طاقة له بالعساكر المصرية التي تحاصـر دمـشق ، فطلـب الصلح و الأمان ، فوافق الصاحب معين الدين على طلب الصلح و الأمان على أن يخرج كل مـن الصالح إسماعيل و المنصور إبراهيم صاحب حمص من دمشق بأموالهما ، و أن يأخـذ الـصالح إسماعيل بعلبك و بصري و أعمالها و جميع بلاد السواد ، و للمنصور إبراهيم حمص ،و تدمر، و الرحبة [3] .

دخل الصاحب معين الدين دمشق في جمادي الأولـى 643 هـ / أكتـوبر 1245م [4] و نزل بدار أسامة و هي دار داود بدمشق [5] ،و منع القوات الخوارزمية مـن دخـول دمـشق ، و دبر الأمر أحسن تدبير و أقطع الخوارزمية الساحل بمناشير تثبتها لهم ، ونزل في البلد ، وتـسلم الطواشي شهاب الدين رشيد القلعة، و خطب بها و بجامع دمشق و عامة أعمالها للملك الصالح نجم الدين، وسلم أيضاً الأمير سيف الدين بن قليج قلعة عجلون لأصحاب الملك الصالح نجم الدين [6] .

لم يرض الصالح نجم الدين عن مصالحة الصالح إسماعيل ، بل كان يريد القبض عليـه ، حيث أرسل إلى الصاحب معين الدين يأمره بالقبض عليه و إرساله إليه ، ولكن الرسالة و صـلت

---

(1)أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص210 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص149 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص311 . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص215.

(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص346 . ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج 2 ، ص175 .

(3)ابن العميد،أخبار الأيوبيين، ص33. أبو الفداء،المختصر،ج3،ص211. المقريزي،السلوك،ج1، ص423. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص827 .

(4) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص33 . أبو الفداء، المختصر، ج3، ص211.

(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص752 .

(6) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص33 .المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص423 .

متأخرة حيث غادر الصالح إسماعيل دمشق [1] ، فوجه الصالح نجم الـدين اللـوم الـشديد إلـى الطواشي شهاب الدين و الأمراء للسماح لإسماعيل بمغادرة دمشق [2] .

و هكذا دانت مصر و معظم بلاد الشام للصالح نجم الدين بعد استيلائه على دمشق .

وأرسل الصالح نجم الدين إلى الخليفة العباسي يطلب منه تقليده الديار المصرية و بلاد الشام[3] فقلده الخليفـة ذلـك ، و أرسـل إليـه محـي الـدين بـن الجـوزي " بالتـشريف و الطـوق و المركوب"[4] ووصف المقريزي الخلفة الخليفية بقوله : " و هي عمامة سوداء ، و فرجية مذهبة ، و ثوبان ذهب ، وسيف ذهب ، و طوق ذهب ، و علمان حرير ، وحصان و ترس ذهب " [5].

استيلاء الصالح نجم الدين على أملاك الناصر داود و بعض أمراء الأيوبيين :

عندما دخل الصاحب معين الدين دمشق ، دب الخوف في قلب الناصر داود و أمرائه حتى أن سيف الدين بن قليج أمير عجلون من قبل الناصر داود وصل إلى دمشق و أعلن انفصاله عـن الناصر داود ودخوله في طاعة الصالح نجم الدين ، و أوصى بعجلون و بكل ما يملك من الأمـوال للصالح نجم الدين [6] .

و عندما استطاع الصالح نجم الدين القضاء على الصالح إسماعيل و طرده من دمشق بعث قواته بقيادة الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ في عام 644 هـ / 1246م لمحاربة الناصر داود ، و هو الطرف الثاني بعد الصالح إسماعيل في الحلف الأيوبي المعادي للصالح نجم الدين [7]

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص349 .
(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، 423
(3) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج 2 ، ص35 .
(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص351 .
(5)الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص149. المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص425.
(6) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص753 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 .
(7) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص135 .

و استعد الناصر داود لمواجهة الموقف و جمع جموعه و التقى بفخر الدين عند السلط [1] ، في 17 ربيع الآخر 644 هـ / أول سبتمبر 1246م ، و استطاع فخر الدين هزيمـة الناصـر داود و من معه من الخوارزمية ليبدد شملهم و يكسرهم [2] ثم استولى على ما كان بيده من البلاد و هي السلط و نابلس و بيت جبريل و البلقاء [3] ،و لم يبق أمام الناصر داود إلا حصن الكرك ، ففر إليها و احتمى خلف أسوارها [4] و لكن فخر الدين و القوات المصرية ظلت تحاصره حتى أجبر الناصر داود على طلب الصلح و الأمان ، وتسليم ما عنده من الخوارزمية و ذلك في ربيع الآخر 644 هـ / أغسطس 1246م [5] .

بعد هزيمة الناصر داود دب الرعب في قلب معظم ملوك و أمراء الدولة الأيوبية ، حيـث أرسل الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص يطلب الصلح والأمان، و أعلن ولاءه للـصالح نجـم الدين [6].ووصل الملك المنصور بنفسه إلى دمشق لخدمة الصالح نجم الدين ولكنه توفى بعد فترة و نقل جثمانه إلى حمص حيث دفن فيها، وتولى الحكم من بعده ابنه الأشرف مظفر الدين موسى[7].

---

(1) مدينة و قلعة ، من جند الأردن ، تقع في جبل النور الشرقي في جنوب عجلون ، وقد بنى هذا الحصن الملك المعظم عيسى : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص315 .

(2)ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص151 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص315 . انظر: غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص272. عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص363 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ،ص124 . قاسم ، عبده قاسم ، الأيوبيين و المماليك ، ص489 .

(3) كورة من أعمال دمشق ، ووادي القرى ، قصبتها عمان و فيها قرى كثيرة و مزارع واسعة : الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص489 .

(4)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص35. ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص151 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص272.

(5)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص35 .المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 .

(6) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين، ص35 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص213 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص213 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص339 .

(7) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص213 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص151.

بعد ذلك أصدر السلطان الصالح نجم الدين أوامره إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي نائبه على دمشق بالاستيلاء على بعلبك ، فتوجه إليها حسام الدين و حاصرها ، قبل أن يصلها الـصالح إسماعيل ، وتمكن من الاستيلاء عليها و تسلمها بالأمان ، و ألقـى القـبض علـى أولاد الـصالح إسماعيل و أرسلهم إلى القاهرة حيث اعتقلوا و ذلك في سنة 644 هـ / 1264م [1] ، أما الصالح إسماعيل فلم يبق أمامه بلد يأوي إليه ، أو قلعة يحتمي بها ، ولا أهل و لا ولد و لا مال ، فاستجار بالملك الناصر يوسف العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب فآواه وأكرمه وأحترمه[2] .

بعد ذلك توجه السلطان الصالح نجم الدين إلى دمشق في ذي العقدة 644هـ/ مـارس 1246م[3]، بعد أن استدعى الأمير حسام الدين بن أبي علي من دمشق و جعله نائباً عنه بالقاهرة ، و فوض إليه أمور المملكة كلها ، كما أنزله بدار الوزارة [4] ، فأرسل الصاحب جمال الدين يحيى بن مطـروح ليكون نائباً بدمشق [5] .

وصل السلطان الصالح نجم الدين إلى دمشق حيث استقبل فيها استقبالاً حافلاً [6] ، و كـان ممن احتفل بقدومه إلى دمشق الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص ، الذي دخل فـي طاعة الصالح نجم الدين ، و كذلك الملك المنصور صاحب حماه [7] و كان يوم دخـول الـسلطان

---

(1)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص34 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص213 .ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج6، ص288.الحنبلي، شفاء القلوب، ص338. برجاوي، سعيد، الحروب الصليبية في الشرق، ص536 .
(2)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص762 . ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص35 .ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص150 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص338 .
(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص360 .
(4)المقريزي، السلوك، ج1، ص428. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص290. الحنبلي، شفاء القلوب،ص339.
(5)ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص35. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص302. أبو الفداء، المختصر،ج3،ص213.
(6) المقريزي، السلوك، ج1،ص428.
(7)أبوالفداء،المختصر،ج3،ص213.المقريزي،السلوك،ج1،ص428.ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج6،ص290.

دمشق " يوماً مشهوداً " [1] ، و أحسن السلطان الصالح نجم الدين إلى أهـل دمـشق [2] و كافـة أعيانهم ، و تصدق على أهل المدارس و الربط و أرباب البيوت بأربعين ألف درهم [3] .

لقد أحسن الصالح نجم الدين إلى كل من لجأ إليه و دخل في طاعته ، و هكذا قوى مركزه ، و بدأت الدولة الأيوبية تأخذ طريقها نحو الوحدة مرة أخرى تحت سلطنة الـصالح نجـم الـدين ، وخاصة بعد وصول الملك الناصر داود صاحب الكرك إلى دمشق ، ودخوله في طاعة الصالح نجم الدين [4] .

و من الملاحظ أن الناصر داود أجبر على الدخول في طاعة الصالح نجم الـدين بعـد أن دانت مصر و معظم بلاد الشام إليه ، كما أدرك الناصر داود خطورة العزلة ، ووجوده وحيداً في الجبهة المعادية للصالح نجم الدين .

بدأ الصالح نجم الدين يتجول ببلاد الشام لكي يتفقد أحوال دولته ، فوصل إلى بعلبك ، فرتب أحوالها ، و أمر بإصلاح أسوارها و تحصينها [5] ، وأعطى لأهل المدارس و الـربط و أربـاب البيوت عشرين ألف درهم [6] ، ثم سار إلى بصرى ، و تصدق على مدارسها وربطها و أربـاب البيوت بعشرين ألف درهم [7] ، ومنها توجه إلى صرخد و انتزعها من صاحبها عز الدين أيبـك ، و عوضه عنها بإقطاع بمصر [8] ، و أخذ حصن الصبية [9] من ابن عمه السعيد بن العزيز بـن

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 .
(2) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص154 .
(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص763 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 .
(4) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 .
(5) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين و ص36 .
(6)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص763 .المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 .
(7)سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج8،ص763.ابن العميد،أخبار الأيوبيين،ص36.المقريزي،السلوك،ج1، ص428.
(8)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص154 .
(9) اسم قلعة منيعة في بانياس ، و هي من أعمال دمشق : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص315 .

العادل [1] ، و أثناء عودته إلى دمشق ، زار بيت المقدس و تفقد أحواله ، و تصدق فـي القـدس بألفي دينار مصرية [2] ، و أمر بإعادة إعمار أسواره ، على أن يصرف خراج بيت المقدس ، و ما يتحصل من غلاته في عمارته ، فإن عاز شيء صرف من عنده [3] .

ثم عاد الصالح نجم الدين إلى القاهرة في جمادي الآخـرة سـنة 645 هـ ـ ـ / سـبتمبر 1247م ، بعد رحلة استغرقت حوالي ستة أشهر قام خلالها بترتيب أمور دولته في بـلاد الـشام ، واطمأن على وحدة الدولة الأيوبية [4] .

و لكن في عام 644 هـ ـ / 1246م توفى المنصور إبراهيم صاحب حمص، حيث كـان تابعاً للصالح نجم الدين، وخلفه ابنه الأشرف مظفر الدين موسى، فأستغل الناصر صـلاح الـدين يوسف صاحب حلب ، هذه الفرصة للاستيلاء على أملاكه [5] ، خاصة بعد تنازل الأشرف صاحب حمص عن قلعة شميميش [6] و أصبح خطر الصالح نجم الدين يهدده ، فقـرر الناصـر يوسـف الاستيلاء على حمص نفسها [7] فأرسل جيشاً بقيادة الأمير شمس الدين لؤلؤ الأرمني فحاصـرها ، فأضطر الأشرف تسليم حمص إلى الناصر يوسف مقابل أن يعطيه تل باشر [8] مضافاً إلى ما بيده من تدمر و الرحبة [9] ، و لما بلغ الصالح نجم الدين أخذ حمص ، غضب و قرر المسير إلى الشام

---

(1) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص154 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص315 .
(2) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص764 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص154 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص429 .
(3) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص154 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص429 .
(4)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص159.
(5) أبو الفداء، المختصر،ج3 ، ص213 .
(6) قلعة حصينة تقع إلى شمال شرق حمص : ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري،ج1، ص221 .
(7) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص215 .
(8) قلعة حصينة و كورة واسعة في شمالي حلب و بينها و بين حلب يومان:الحموي،معجم البلدان،ج2،ص40.
(9)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص770 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص215.

لاستعادتها بالرغم من مرضه ، فرحل مع قواته و هو محمول في محفة و نزل بقلعة دمـشق [1] ، وهناك أرسل جيشاً بقيادة فخر الدين بن شيخ الشيوخ لفتح حمص ، فحاصرها و كادت تسقط لـولا تدخل الخليفة العباسي المستعصم با فأرسل رسوله إلى الشيخ نجم الدين البادراني ليـصلح بـين الطرفين و تم الصلح ، و رفع الجيش المصري الحصار عن حمص ، وظلت حمص في يد الناصر يوسف صاحب حلب [2] .

و ترجع موافقة الصالح نجم الدين على الصلح لمرضه ، كذلك لرغبته في تحقيق الوحـدة لمواجهة خطر الصليبيين " الحملة الصليبية السابعة " ، التي بدأت تتحرك نحو مـصر ، و ليجـد أمامه الوقت الكافي لإعداد مصر للدفاع عن نفسها أمام هذا الخطر القادم ، مما أدى إلـى قبـول الصلح و تأجيل فتح حمص [3] .

و مع أن الصالح نجم الدين فقد حمص ، إلا أن سيطرته كانت موجودة على معظـم بـلاد الشام فاضطر الناصر داود صاحب الكرك على الاعتراف بسيادة الصالح نجم الدين و دخل معه في مفاوضات عام 646هـ/ 1248 م؛ من أجل تسليم حصن الكرك على أن يعوضه عنها الشوبك[4] .

لقد وافق السلطان الصالح نجم الدين على هذا العرض ، و أرسل تاج الدين بـن مهـاجر لاستلام الكرك ، إلا أن الناصر داود تراجع عن ذلك لما بلغه من شدة مرض الـسلطان و تحـرك الفرنج لأخذ الديار المصرية [5] .

---

(1)أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص215 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص291 .
(2)ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص36 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص215 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص291 .
(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص434 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص291 .
(4) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص434 . ابن العماد، شذرات الذهب، ج5 ، ص230 .
(5) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص434. غوانمة، يوسف ، إمارة الكرك ، ص275 .

خرج الناصر داود من الكرك متوجهاً إلى حلب ، و حمل معه ما يعز عليه من الجـواهر مستجيراً بصاحبها الملك الناصر يوسف ، فأجاره و أكرمه ، ثم أرسل معه من الجواهر إلى بغـداد لتكون وديعة عند الخليفة العباسي المستعصم با [1] ، غير أن الأوضاع اختلفت في الكـرك بعـد خروج الناصر داود منها ، و دب الصراع بين أبنائه حيث استناب عنه ابنه عيسى ، و كـان لـه ولدان آخران أكبر من عيسى و هما الأمجد حسن ، و الظاهر شادي فغضب الأخوان مـن تقـديم أخيهما عيسى عليهما [2] ، فسار الأمجد حسن إلى السلطان الصالح نجم الدين و سلم إليه الكرك في 12 جمادي الآخرة 647هـ / 1248م وأعطاه مقابل ذلك إقطاع في الديار المصرية له ولأخيه [3] فأعطى السلطان الصالح نجم الدين للظاهر شادي إقطاع و مائتي فارس بمصر و خمسين ألف دينار و ثلثمائة قطعة قماش و أعطى لأخيه الأمجد حسن إخميم [4]، و إقطاع و مائة و خمـسين فارسـاً بمصر [5] .

فرح السلطان الصالح نجم الدين فرحاً عظيماُ باستيلائه على الكـرك ، " و أمـر فزينـت القاهرة و مصر ، وضربت البشائر بالقلعتين الروضة و الجبل ، و جهز السلطان إلى الكرك ألـف ألف دينار مصرية ، و جواهر و ذخائر و أسلحة ، وشيئاً كثيراً مما يعز عليه " [6].

و هكذا استطاع السلطان الصالح نجم الدين من تثبيت حكمه في مصر و الـشام و إعـادة توحيد معظم الدولة الأيوبية تحت سلطانه.

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص434.
(2)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص773 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص217 .
(3)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 .أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص217. اليافعي ، مرآة الجنان ، ج4 ، ص139 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص293 .
(4) بلدة قديمة بصعيد مصر تقع على شاطئ النيل : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص320 .
(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص320 – 321 .
(6) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص441 .

- **علاقة نجم الدين بالخوارزمية :**

أ- أصل الخوارزمية :

يرجع بعض العلماء أصل الخوارزمية إلى شعب " اللان " الذي كان يسكن في الـصحراء الممتدة من منابع نهر سيحون حتى منابع نهر دون شرقي بحر قزوين ، و الذين انتسبوا إلى بـلاد خوارزم [1] و قد كانت هذه منطقة تابعة للدولة الإسلامية في عهد الأمويين زمن الخليفة الوليد بـن عبد الملك [2] و منذ بداية العهد الإسلامي احتفظ ملوك خوارزم باللقب الإيراني "خوارزم شاه " [3] ، و قد تأثر الخوارزميون بالحضارة الفارسية ، حتى أن لغتهم كانت فارسية ، ولكن الخـوارزميين بعد ذلك تأثروا بالأتراك ، ولم يأت القرن التاسع الهجري ، الثالث عشر الميلادي حتى كانت لغتهم تركية [4] .

يعود نسب الدولة الخوارزمية إلى نوشتكين أحد الأتراك الذي كان يعمل ساقياً فـي بـلاط ملكشاة السلجوقي ، والذي تدرج في الوظائف ، ثم خلفه ابنه محمد الذي اكتسب شهرة واسعة فـي الأدب و العلوم فعينه السلطان بركياروق السلجوقي حاكماً على بلاد خوارزم و لقبه خوارزم شـاه أي ملك خوارزم [5] .

بدأ الظهور الحقيقي للدولة الخوارزمية بعد وفاة السلطان السلجوقي مسعود بن سبكتكين سنة 547 هـ ـ / 1152 م [6]، وزال أكبر عائق في تقدم الدولة الخوارزمية بعد مقتـل آخـر حكـام سلاجقة العراق طغرل الثاني بن أرسلان شـاه علـى يـد قـوات تكـش خـوارزم شـاه سـنة

---

(1) بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص140 .
(2) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 10 ، ص84 .
(3) البيروني ، الآثار الباقية ، ص102 .
(4) بارتولد ، تاريخ الترك ، ص140 – 141 .
(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 10 ، ص267 – 268 . القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج 5 ، ص469 . جنيدي ، جمعه ، الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية ، ص149 .
(6) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص146 .

590 هـ ـ / 1193م [1] ، فامتد نفوذ الدولة الخوارزمية إلى همذان و أصفهان و الرى ، وكل ما كان بيد السلاجقة في العراق من قرى و قلاع [2] .

و في سنة 596 هـ / 1199م توفى تكش خوارزم شاه و تولى بعده ابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه ، الذي ترك له دولة واسعة حيث كانت تضم إقليم خوارزم ، وبعض بـلاد خرسـان و الرى و غيرها [3] ، و سار علاء الدين على سياسة أبيه في التوسع و الفتح ، حتى بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهده ، فامتدت من حدود العراق غرباً إلى حدود الهند شرقاً ، ومن شمال بحر قزوين إلى الخليج العربي و المحيط الهندي جنوباً [4].

و لكن الدولة الخوارزمية تعرضت للغزو المغولي عام 618هـ ـ / 1221م ، حيث حطم المغول بقيادة جنكيزخان الدولة الخوارزمية [5] ، و أثناء الغزو المغولي توفى السلطان علاء الدين ، و كان قد عهد إلى أبنه جلال الدين منكبرتي بولاية العهد ، الذي فر إلى الهند أثناء الحرب [6].

عاد جلال الدين منكبرتي بعد انتهاء الحرب إلى فارس سنة 622 هـ ـ / 1225م ، حيث استطاع إقامة الدولة الخوارزمية مرة ثانية ، واتخذ من أصفهان عاصمة له [7] ، ثم أخذ في توسيع ممتلكاته على حساب أملاك الخلافة العباسية و الدولة الأيوبية ، مما زاد من حدة التوتر و الصراع في بلاد الشام [8]. بالإضافة إلى ذلك طمع جلال الدين في الاستيلاء على أملاك الأشرف موسى ،

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص148 . العريني ، المغول ، ص83 . زيان ، حامد ، الصراع السياسي والعسكري ، ص117 .

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص85-99 .

(3) حمدي ، حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ص24 .

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص150-167 .

(5) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص163. انظر: زيان ، حامد ، الصراع السياسي و العسكري ، ص115 .

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص163. انظر: العريني ، المغول ، ص127 .

(7) المقريزي، السلوك، ج1، ص339.

(8) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص339 . زيان ، حامد ، الصراع السياسي و العسكري ، ص115 .

مما كان له أثر سيئ في زيادة الفوضى و الاضطرابات في أنحاء الدولة الأيوبية [1] .

لقد أفزعت هذه الأعمال حكام المسلمين في البلدان المجاورة ، فتناسوا ما بينهم من أحقاد وخصومات لمواجهة ذلك الخطر ، و تحالف الأيوبيون مع عدوهم الـسابق كيقبـاذ الأول سلطان سلاجقة الروم ضد جلال الدين الخوارزمي [2] . و تم اجتماع قوات الأيوبية تحت زعامـة الملك الأشرف موسى مع قوات سلاجقة الروم تحت قيادة كيقباد و توجهوا إلى خلاط و هناك دارت المعركة بين الطرفين سنة 627 هـ ـ / 1230م حيث انتهت بهزيمة ساحقة للخوارزمية و استرداد الأشرف موسى لمدينة خلاط ، وفرار جلال الدين منكبرتي إلى أذربيجان بعد أن فقد كثيـراً مـن رجاله [3] ، بعد ذلك تم الصلح بين الأشراف موسى و جلال الدين ، بعد أن عاد المغول إلى تهديد أملاك الخوارزمية في فارس ، ففضل الجميع الصلح حتى يتمكن جلال الدين من مواجهة الخطـر المغولي [4] .

لقد عاد المغول من جديد إلى مهاجمة أملاك الدولة الخوارزمية ، حيث استطاعوا في وقت قصير من اجتياح معظم أملاك الدولة الخوارزمية ، حتى وصـلوا إلـى حـدود أذربيجـان سـنة 628 هـ ـ / 1231 م [5] ، ففر جلال الدين إلى منطقة كردستان ، ولكنه قتل علـى يـد أحـد الأكراد سنة 628 هـ ـ/ 1231م ، و بذلك تفككت الدولة الخوارزمية [6] .

---

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ص390 .

(2) المقريزي، السلوك، ج1، ص360. انظر: عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص111 . زيان ، حامد ، الصراع السياسي و العسكري ، ص115 .

(3) ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج 3 ، ص209 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص112.

(4) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص189-190 .

(5) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 5 ، ص126 .

(6) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص363 . زيان ، حامد ، الصراع السياسي و العسكري ، ص116 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص112 .

بعد مقتل جلال الدين منكبرتي تشتت جنوده وأتباعه ، ولم يعد في مقدورهم العـودة إلـى خوارزم و خراسان بعد أن استولى عليها المغول، لذلك هاموا على وجوهم في بلاد الشرق الأدنى ، و أخذوا يعملون كجند مرتزقة في خدمة من يطلب منهم ذلك [1] .

و قد خدموا في وقت من الأوقات الأشرف موسى ، كذلك استخدمهم كيقباذ سلطان سلاجقة الروم لحماية دولته من المغول ، و عندما توفى كيقباذ تولى ابنه غياث الدين كيخـسرو الـسلطة ، فقبض على أكبر مقدمي الخوارزمية ، بركة خان، وأذلهم ، فخرجوا عن طاعته ، ثم التحقوا بخدمة أرسلان الأرتقى و ظلوا كذلك حتى استمالهم الصالح نجم الدين إلى جانبه و دخلوا في خدمته [2].

ب- دخول الخوارزمية في خدمة الصالح نجم الدين :

ترجع علاقة نجم الدين بالخوارزمية منذ عام 634 هـ ـ / 1237م ، حيث كان نائباً عـن أبيه الكامل في البلاد الشرقية ، وتخضع له آمد و ديار بكر و سنجار و الخابور ، بالإضـافة إلـى حصن كيفا و حران و الرها [3] ، فقد رأى الصالح نجم الدين أن يستعين بفلول الخوارزمية التـي خرجت عن طاعة كيخسرو سلطان سلاجقة الروم [4] ، وكانت تقدر عدتهم بحوالي خمسة عـشر ألف فارس ، فعمل الصالح نجم الدين على استمالتهم إليه لمحاربة الحاف الأيوبي المعـادي لأبيـه الكامل بعد أن أخذ الأذن من والده [5].

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص363. الصياد ، فؤاد ، المغول في التاريخ ، ص171 – 173 . زيان، حامد ، الصراع السياسي و العسكري ، ص116 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص112 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص150 .

(2) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص232. العريني ، المغول ، ص92 . جنيدي ، جمعة ، الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية ، ص149 . علي ، وفاء ، دارسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص164 .

(3) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص22 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص378 . العريني ، المماليك ، ص44 . قاسم ، عبده قاسم ، الأيوبيين و المماليك ، ص122 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص378 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص150 .

بالفعل استغل الصالح نجم الدين هذه القوة الجديدة لتدعيم سلطانه و سلطان أبيه في منطقة أقليم الجزيرة ، و نجح بفضل الخوارزمية إلى ضم سنجار و نصيبين و الخابور إلى أملاكـه [1] ، ثم توجه على رأس قواته من الخوارزمية إلى الرحبة و هي من أملاك أسد الدين شيركوه صـاحب حمص لمحاصرتها تنفيذاً لأوامر أبيه الملك الكامل ، و عندما كان يحاصرها جاء خبر وفاة أبيـه ، فرفع الحصار عنها و غادرها [2] .

عندما علمت الخوارزمية بوفاة الكامل 635 هـ ـ / 1238م ، تمردت على الصالح نجـم الدين ، و خرجوا عن طاعته ، وحاولوا القبض عليه إلا أنه هرب إلى سـنجار و احتمـي بهـا ، و ترك خزائنه و أثقاله ، فانتهبها الخوارزمية ، و تحكموا في البلاد الجزرية [3] .

كما تعرض الصالح نجم الدين و هو بسنجار لمحاصرة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصـل ، فبعث الصالح نجم الدين القاضي بدر الدين السنجاري ، قاضي سنجار ، إلى الخوارزمية ، حيـث استطاع القاضي بدر الدين من استمالة الخوارزمية من جديد إلى الصالح نجم الدين ، بعد أن وعدهم بالعطاء ، و أطمعهم في صاحب الموصل لقلة رجاله و كثرة أمواله و خيولـه [4] ،كـذلك التـزم الصالح نجم الدين بأن يعطيهم سنجار و حران و الرها [5] ، فوافق الخوارزمية و حلفوا للـصالح نجم الدين ، و توجهوا إلى سنجار تحت قيادة ابنه المغيث [6] ، حيث اسـتطاعوا إجـلاء قـوات الموصل عنها ، و هزموا بدر الدين لؤلؤ ، الذي هرب بمفرده على فرس سابق ، ثـم لحـق بـه

---

(1) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص27 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص380 . قاسم ، عبده قاسم ، الأيوبيون و المماليك ، ص122 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص384 .

(3)ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13، ص135 .المقريزي، السلوك، ج1، ص384 . العريني،المماليك، ص44 .

(4) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص27 . عطا ، محمود ، نيابة غزة ، ص171 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص385 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص198 .

(6) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج 2 ، ص166 .

عسكره [1] ، و استولت الخوارزمية على أمواله و خزائنه و ذخائره و أثقال عساكره و غنموا شيئاً كثيراً [2] .

بعد ذلك قام الصالح نجم الدين بتسيير الخوارزمية إلى آمد لمساندة ابنه توران شاه ، الـذي كان محاصراً من قبل قوات غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم ، حيث استطاعوا هزيمـة هذه القوات و إجلائها عن آمد [3] .

ولما كان الصالح نجم الدين يحارب الحلف الأيوبي المعادي له من أجـل انتـزاع سـلطنة الديار المصرية من أخيه العادل الثاني ، و القضاء على كل من يقف في وجهه في سـبيل تحقيـق طموحه ، عمل على الارتباط بالخوارزمية برباط قوي ، ألا وهو رباط المصاهرة ، فزوج أخته من أمه لمقدمهم الأمير حسام الدين بركة خان ، كما أعطاه حران و الرها و نصيبين [4] ، كما قرر أن يزوج ولده المغيث عمر من ابنة بركة خان ، يقول ابن العميد : " و جعله بينهم يركـب معهـم و ينزل معهم و يسير حيث يسيرون و لم يزل الأمر كذاك و هم يظهرون طاعته حيناً و يتغاضـبون حيناً و يطلبون منه ما لا تصل قدرته إليه "[5].

ت- عبث الخوارزمية في شمال الشام :

بعد أن اشتد الصراع بين أبناء البيت الأيوبي ، وحيث دارت الدائرة على الـصالح نجـم الدين ، ووقوعه في الأسر من قبل الناصر داود عام 637 هـ - / 1239م [6] ، نزل جمال الدين بن مطروح رسول الخليفة بحماه ، حيث أقنع صاحب حماه الملك المظفر الحليف المخلص للصالح

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص385 .
(2) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص27.
(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص385 .
(4) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص391 .
(5) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص27 .
(6) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص29 . حمد ، أسامة ، إقطاعية بيسان ، ص125 .

نجم الدين بمناصرته ، فسافر الملك المظفر إلى الشرق حيث اجتمع بمقدم الخوارزمية حسام الـدين بركة خان [1] ،و حادثه في مناصرة الصالح نجم الدين و سلمه رسالة في هذا المعنى مـن الملـك الناصر داود و شرح فيها موقفه من الصالح نجم الدين، وأوضـح أنـه لـم يعتقلـه فـي الكـرك " وإنما صان بإنزاله الكرك مهجته ، خوفاً من أخيه الملك العادل وعمه الملك الصالح، ووعد بأنـه سيخرجه و يملكه البلاد " [2]، و طلب من الخوارزمية أن يتحركوا لنصرته ، ورسم لهـم طريـق ذلك التحرك حيث طلب منهم أن يغيروا على بلاد حلب و بلاد حمص [3] .

لقد عملت فلول الخوارزمية على الاستفادة من الصراعات بين أبناء البيت الأيوبي ، أمـلا في السيطرة على مزيد من الإمارات ، لذلك استغلوا و صول رسالة الناصـر داود إلـيهم فقـاموا بالإغارة على بلاد قلعة جعبر وبالس[4] ونهبوها[5]، ثم انضموا إلى بـدر الـدين لؤلـؤ صـاحب الموصل ، و كان قد استولى على سنجار [6] وصاروا بعد ذلك إلى حلب ، فانتصروا على أهلها ، فامتنع الناس بمدينة حلب ، بينما قامت الخوارزمية بتخريبها و نهبها " و فعلوا فيها كل قبـيح مـن السبي و القتل و التخريب ووضعوا السيف في أهل منبج ، و قتلوا فيها ما لا يحصى عـدده مـن الناس ، و خربوا و ارتكبوا الفواحش بالنساء في الجامع علانية ، وقتلوا الأطفال " [7] .

و بعد حلب سارت فلول الخوارزمية إلى حماة ، و لكنهم لم يتعرضوا لها ، لأن صاحبها

---

(1) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص201 .
(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص249 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص165 .
(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص249 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص400 .
(4) بلدة بالشام بين حلب و الرقة : المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص406 .
(5) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص406 .
(6) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص27 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص198 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص135 . عطا ، محمود ، نيابة غزة ، ص171 .
(7) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص406 .

الملك المظفر هو الحليف المخلص للصالح نجم الدين [1] ، و كان الخوارزمية يظهرون للناس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة للصالح نجم الدين [2] ، و ظلت الخوارزمية تتنقل من مكان إلى مكان في بلاد الشام ، حيث يعيثون فساداً و تخريباً ، فاتجهوا نحو سلمية التابعة لصاحب حمص ، ثم ساروا إلى الرصافة طالبين الرقة [3] .

و إزاء خطر الخوارزمية عقد حلف أيوبي لمواجهة هذا الخطر مكوناً من الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، و المنصور إبراهيم صاحب حمص ، و ضيفة خاتون الوصية على حلب ، و استطاعت القوات المتحالفة من هزيمة الخوارزمية قرب الرها في 9 رمضان 638هـ /ابريل 1241م [4] ، ثم سارت قوات حلب إلى حران فاستولت عليها وهربت الخوارزمية إلى بلد عانة [5] و استغل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الفرصة و استولى على آمد من يد الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين و تركوا له حصن كيفا ، و استولت قوات حمص على بلد الخابور [6] .

عادت الخوارزمية و تجمعت مرة أخرى ، وسارت في عام 639هـ / 1241م إلى الموصل فسالمهم صاحبها بدر الدين لؤلؤ ، وأعطاهم مدينة نصيبين ، ثم ساروا إلى آمد و لكن قوات حلب بقيادة المعظم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين صدهم عنها ، ورغم ذلك استطاعت الخوارزمية من نهب بلاد ميافارقين [7] .

---

(1) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص204 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص164 .
(2) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص406 .
(3) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص204 .
(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص734 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص204 .
(5) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص406 – 407 .
(6) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص204 – 205 .
(7) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص412 .

ثم اتفقت الخوارزمية مع شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين، عام 640 هـ / 1242م[1] ، و اتجهوا إلى الموصل و قاموا بتخريبها ثم ساروا إلى ماردين فنهبوا و قتلوا ، ولكن قوات حلب تصدت لهم ، و كانت وقعة عظيمة بين الحلبيين و الخوارزمية [2] ، و تقاتلوا قتـالاً شـديداً عنـد الخابور قريباً من المجدل فانهزم شهاب الدين غازي و الخوارزمية، واستولت العساكر الحلبية على أموالهم و أثقالهم و نسوانهم و أولادهم و أخذوا من الغنائم ما لا يحصى و عادوا إلى بلادهم [3]. لم يكتف الحلبيون بذلك بل تعقبوهم بالقتل و الأسر و أخذوا أثقال شهاب الـدين غـازي و عـسكره وأغنام التركمان و خيلهم [4] ، حيث عاد شهاب الدين إلى ميافارقين ، بينما اجتمعت الخوارزمية ثم رحلوا و نزلوا رأس عين ، ومنها إلى الخابور حيث قتلوا أهلها و نهبوا الأموال و سبوا النـساء ، وأخيراً استقروا في الأقاليم المجاورة ، بين الرها و حران [5] .

ث- **عودة الخوارزمية للصالح نجم الدين** :

بسبب تطور الأحداث على الجبهة المتحالفة ضد الصالح نجم الدين حيـث اتفـق الـصالح إسماعيل مع الناصر داود على عداوة صاحب مصر الصالح نجم الدين [6] ؛ لأن الصالح إسماعيل صاحب دمشق أيقن أن تولي الصالح نجم الدين عرش مصر خطر محقق يتهدده ، كما أيقـن بأنـه سيصبح الهدف التالي له [7] ، فالتجأ الصالح إسماعيل إلى الفرنج ليتقوى بهم لمساعدته في دخـول

---

(1)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 . ص737 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص206 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص412 .

(2) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص 8 ، ص737 .

(3) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص32 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص207 .

(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص738 . الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص110 .

(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص738 .

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص283 .

(7) غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص263 .

مصر ، فرأى الفرنج ذلك فرصة لتحقيق بعض المكاسب [1] ، و بالفعل أعطاهم الصالح إسـماعيل صفد و قلعة الشقيف و مناصفة صيدا و طبريا و أعمالها و كـذلك جبـل عاملـة و سـائر بـلاد الساحل[2] .

لقد حاول الصالح نجم الدين تهدئه الموقف المتأزم مع الصالح إسماعيل و حلفائه ، و إيقاع الفرقة في ذلك الحلف ، فجرت المفاوضات للصلح في عام 641 هـ / 1243م ، و تـم الاتفـاق بينهما [3] ، غير أن الصالح إسماعيل نقض هذا الاتفاق ، وساءت الأوضاع مرة أخـرى و عـاد الصالح إسماعيل و اتفق مع الناصر داود ، وانضم إليهما صاحب حلب و صـاحب حمـص [4] ، واتصل بالفرنج مرة أخرى ، فاضطر الصالح نجم الدين إلى الاستعانة بالخوارزمية ، فأكرمهم و أغدق عليهم من الأموال ، و أمدهم بالخلع و النفقات ، و اتفق معهم على الاستيلاء على دمشق و بيت المقدس و ذلك عام 642هـ / 1244م [5] .

استجابت الخوارزمية للصالح نجم الدين ، وسارت جموعهم و عبروا نهر الفـرات و هـم زيادة على عشرة آلاف مقاتل ، نحو بلاد الشام وكان على رأسهم مقدمهم : الأمير حـسام الـدين بركة خان ، وهم ينهبون ويقتلون ويسلبون[6]. و سارت فرقة منهم إلى بقاع بعلبك و فرقة أخرى

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص407 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص263 .
(2)أبو الفداء ، المختصر ، ج 3، ص205. الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص143 .ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص141 . العليمي، الأنس الجليل ، ج 2 ، ص361 . زيدان ، جرجي ، تاريخ مصر الحديث ، ج 1 ، ص351 . العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ، ص134 .
(3) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص328 .
(4) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص288 .
(5) الذهبي ، دول الإسلام ، ج 6 ، ص112 .
(6) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص419 . انظر: حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص123 . العارف ، عارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ص189 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص150.

إلى غوطة دمشق[1] ، أملاً في ألا يستغرق الاستيلاء على دمشق وقتاً طـويلاً ، و لكـنهم كـانوا يعرفون جيداً مناعة حصون دمشق فقرروا حصارها ، و لكنهم كانوا لا يملكون المعـدات الثقيلـة و المؤن الكافية لحصارها ، فانحرفوا عنها و اتجهوا جنوباً إلى منطقة الجليـل ، وهـم ينهبـون و يقتلون و يسبون ، وكانوا يحدثون الدمار أينما وجدوا ، فأثاروا الرعب بين الناس [2] ، و تحـصن الصالح إسماعيل بدمشق [3] ، وسحب قواته التي كانت متجهة إلى غزة ، كما تحصن الناصر داود بالكرك ، و انسحبت القوات الصليبية و تحصنت بالقدس[4].

استطاعت القوات الخوارزمية من الاستيلاء على طبريا و نابلس و منها اتجهت إلى بيـت المقدس ، و استولوا عليها في عام 642 هـ / 1244م ، و نهبوا و قتلوا بطرك الروم و أحرقـوا و دمروا الأماكن المسيحية ، داخل بيت المقدس و نبشوا القبور داخل كنيسة القيامة . ومنها مرقـد المسيح ، و أحرقوا عظام الموتى [5] .

بعد فراغ الخوارزمية من القدس اتجهوا جنوباً إلى غزة، و ضربوا معسكرهم على مشارفها ، ثم أرسلوا إلى الصالح نجم الين يبلغونه بوصولهم فأمرهم بالإقامة في غزة، ووعدهم ببلاد الشام، و أرسل إلى قادتهم و مقدميهم الخلع و الأموال و الهدايا [6] .

وصل الجيش المصري إلى غزة بقيادة ركن الدين بيبرس،وانضمت إليه قوات الخوارزمية ، حيث استطاعت هذه القوات من إنزال الهزيمة بقوات الحلف الأيوبي الصليبي في معركة هربيا

---

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، 741 .
(2) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص419 .
(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص741 .
(4) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص419 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص264 .
(5) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص33 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص151.
(6) المقريزي، السلوك، ج1،ص419 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص286.

(لافوربيه) كما يسميها الفرنج في عام 642 هـ / 1244م [1].

بعد معركة هربيا توجهت القوات المصرية بقيادة الأمير معين الدين بن شيخ الشيوخ ، و انضمت إليه القوات الخوارزمية ، و اتجهوا جميعاً لمحاصرة دمشق ، وفي طريقهم إلى دمـشق استولوا على أملاك الناصر داود صاحب الكرك ، ووصلت القوات إلى بيسان و أقاموا فيها مدة ثم تقدموا نحو دمشق و حاصروها في عام 642 هـ / 1245م [2] ، و قد استمر حصار دمشق مـا يقرب من ستة أشهر ، وساءت أحوال الناس بسبب قلة المؤن و غلاء الأسعار ، وقلت الذخائر لدى جند دمشق مما جعل الصالح إسماعيل في موقف عصيب و حرج [3] ، حتى انتهى الأمر بالاتفـاق على خروج الصالح إسماعيل من دمشق و التنازل عنها للصالح نجم الدين [4] .

ج- انقلاب الخوارزمية على الصالح نجم الدين و القضاء عليهم نهائياً :

أراد الخوارزمية بعد أن وقفوا بجانب الصالح نجم الدين و ناصـروه أن يتقاضـوا ثمـن مناصرتهم له ، و أن يعطيهم بعد فتح دمشق أقطاعات تكفيهم [5] ، و رأوا أنهـم يـستحقون منـه الشيء الكثير و انه سوف يقاسمهم البلاد [6] ، و أن يخصص لهم إقطاعيات كبيرة في مصر مقابل

---

(1) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص209 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج 3 ، ص394 – 395 . الدباغ ، مصطفى ، الموجز في تاريخ الدول الإسلامية ص12.

(2) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص421 . حمد ، أسامة ، إقطاعية بيسان ، ص127 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص359 .

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص287.انظر:عاشور،فايد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، ص359 .

(4)ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص33 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص211 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص423.عاشور،سعيد،الحركة الصليبية، ج2، ص827.عثامنة، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص151 .

(5) ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج 2 ، ص175 .

(6) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص350 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص360 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص152 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص535 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج 3 ، ص397 . جنيدي ، جمعة ، الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية ، ص150 .

خدماتهم له في التغلب على خصومه ، و في تملك بلاد الشام [1] و لكن الصالح نجم الـدين خيـب ظنهم ، فبعد أن استولى على دمشق منعهم من دخولها ، و أقطعهم بدلاً من ذلك بعض المناطق في محيط المدينة و بعض المناطق الساحلية المحررة في فلسطين [2] ، و لذلك تغيروا على الـسلطان الصالح نجم الدين و انقلبوا عليه [3] .

من الملاحظ أن الصالح نجم الدين لم يف بما وعده للخوارزمية ، لأنه يعرفهم جيداً ، مـن سوء سلوكهم و أخلاقهم ، و كثرة أعمالهم التخريبية في البلاد ، كل ذلك دفع الصالح نجم الدين في أن يعيد النظر في مكافأتهم ، بل عمل على كبح جماحهم .

اعتبر الخوارزمية المكافأة التي حصلوا عليها من الصالح نجم الدين لا تتناسب و مساعدتهم له ووقوفهم بجانبه و لذلك ثاروا عليه ، و انقلبوا من التحالف معه إلى التحالف ضده ، فهاجموا بلدة داريا [4] و نهبوها [5] ، و كاتبوا ركن الدين بيبرس أكبر أمراء السلطان الصالح نجم الدين و كان في ذلك الوقت بغزة [6] ، حسنوا له أن يكون معهم يداً واحدة و يزوجوه منهم ، فمال إليهم ، كمـا كاتبوا الناصر داود صاحب الكرك ، فوافقهم و نزل إليهم و اجتمع بهـم ، و تـزوج مـنهم [7] ، و تذكر بعض المصادر أن أمه كانت خوارزمية [8].

---

(1) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص287 . جنيدي ، جمعة ، الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية ، ص150 . بيطار ، أمنية ، تاريخ العصر الأيوبي ، ص195 .
(2) عثامنة،خليل،فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص152.عاشور، سعيد، الأيوبيون و المماليك،ص136 .
(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص424 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص287 .
(4) و هي قرى كبيرة إحدى قرى غوطة دمشق : الحموى ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص536 .
(5)ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص150 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص424 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص152 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص535.
(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج6،ص287 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص535 .
(7) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص424 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص152 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص360 . زيان ، الصراع السياسي و العسكري ، ص116 .
(8) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص287 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص337 .

ولقد انضم إليهم أيضاً الصالح إسماعيل طريد دمشق ، ورحب بمحالفتهم ، وقـدم علـيهم فحلفوا له على القيام بنصرته [1] ، و اتفقوا جميعاً على محاربة الصالح نجم الدين [2] .

زحف الخوارزمية و الصالح إسماعيل إلى دمشق و حاصروها حصاراً شديداً لمدة ثلاثـة أشهر ، و قطعوا عنه الإمدادات ، فاشتد بها الغلاء اشتداداً لم تعرفه دمشق من قبـل ، و انتـشرت المجاعة و الأوبئة بدمشق [3] .

و يقول ابن واصل : " و اشتد بها الغلاء اشتداداً لم يعهد في الأعمار مثله ، حتى انه بلـغ سعر الغرارة من القمح ألف درهم و ستمائة درهم ، وهذا سعر لم يسمع بنظيره في عـصر مـن العصور في بلد من البلاد ، و هلكت عالم من أهل دمشق بالجوع و الوباء " ؛ و قـال : " و مـن أعجب ما سمعت أن أنساناً كان له دار تساوي عشرة آلاف درهم ، عرضها للبيع فلم تزد على ألف و خمسمائة درهم ، فاشترى بها غرارة واحدة من القمح بعشرة آلاف درهم ، و مات شخص فـي الحبس فأكله أهل الحبس ، و كان يباع حب الخرنوب بالميزان يشتري و يتقوت به " [4] .

لما وجد الصالح نجم الدين أن ما يمثله ذلك الحلف خطر عليه ، لجأ إلـى أعمـال الحيلـة لتكوين حلف مضاد للقضاء عليهم ، و التخلص منهم ، فاستمال إليه الحلبيين ، و استمال إليه الملك المنصور صاحب حمص [5]، إذ أرسل إليهم يقول : " أن هؤلاء الخوارزمية قد خربوا البلاد ،

---

(1) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص150 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص828 .

(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص350 .

(3) حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص124 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص828 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص152 . جنيدي ، جمعة ، الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية ، ص151 .

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص353 – 354 . انظر: ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص150 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص338 .

(5) الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص150 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص424 – 425 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك، ص272 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص828. عاشور، سعيد،الأيوبيون و المماليك ، ص136 .

والمصلحة أن نتفق عليهم " [1] ، فوافقوه على محاربة الخوارزمية و طردهم من البلاد [2] .

لم يكتف الصالح نجم الدين بذلك بل أرسل عام 644 هـ / 1246م القاضي نجـم الـدين محمد بن سالم النابلسي المعروف بابن قاضي نابلس إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس من أجل مصالحته : " فما زال يخدعه و يمنيه ، حتى فارق الخوارزمية ، وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل ، و كان أخر العهد به " [3] ، و بهذا التدبير استطاع الصالح نجم الـدين أن يـضعف جانب خصومه ، الصالح إسماعيل و الخوارزمية ، كذلك اطمأن الصالح نجم الدين إلى قوتـه ، و إلى قوة حلفائه ، وخرج من القاهرة على رأس قواته عام 643 هـ / 1246م قاصداً دمشق ، كما خرج المنصور إبراهيم صاحب حمص على رأس قواته ، و معه عساكر حلب ، وقد انضم إلـيهم عرب كثير و تركمان [4] ، و لما وصلت أنباء هذه القوات الزاحفة إلى دمشق اضـطر الـصالح إسماعيل و حلفاؤه من الخوارزمية إلى رفع الحصار عن دمشق ، خوفاً من أن يقعـوا بـين فكـي كماشة ، بين القوات المصرية من الجنوب ، و قوات حمص و حلب من الشمال ، فـساروا شـمالاً لملاقاة الملك المنصور إبراهيم قبل أن يصل الصالح نجم الدين بقواته [5].

لقد وقع الصدام بين الفريقين في المحرم 644هـ / مايو 1246م بين جنـد الخوارزميـة و الصالح إسماعيل من جهة و بين جند الملك المنصور صاحب حمص و الملك الناصر صـاحب حلب من جهة أخرى ، و دارت المعركة في مكان يعرف بالقصب قبلـي حمـص [6]، و انتهـت المعركة بانتصار الصالح نجم الدين و حلفائه ، وانهزم الخوارزمية و حلـيفهم الـصالح إسـماعيل

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص760 .
(2) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص212 .
(3) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص287 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص828 . جنيدي ، جمعة ، الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية ، ص151.
(4) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص362 .
(5) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص151 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص179 .
(6) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص212 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص272 .

هزيمة ساحقة ، فتشتت شملهم ، ولم تقم لهم قائمة بعدها [1] . و قد قتل في هـذه المعركـة مقـدم الخوارزمية حسام الدين بركة خان ، وعلق رأسه على باب حلب [2] ، و أسر كشلو خان و جماعة كثيرة من الخوارزمية ، و حملوا إلى حلب و اعتقلوا بها [3] .

و هكذا تشتت شمل الخوارزمية فمنهم من دخل في خدمة التتار [4] ، و منهم من سار إلى البلقاء في الأردن ، فنزل إليهم الناصر داود و اجتمع بهم و استخدمهم و أرسل عائلاتهم إلى قلعـة السلط [5] ، وتوجه قسم منهم إلى نابلس و استولى عليها ، ومنهم من سار مع الصالح إسماعيل إلى حلب حيث استقبلهم صاحبها الناصر يوسف بن العزيز ، ولكنه قبض على كل من قدم معـه مـن الخوارزمية [6] .

وقد كان لهذا النصر وقعة عظيمة في مصر فزينت القاهرة و مصر و قلعة الجبل و قلعة الروضـة بالقاهرة [7]، كما كان له ثماره السياسية حيث تم الـصلح بـين الـسلطان الـصالح نجـم الـدين وبين الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص،"وحصل بينهم التصافي والتوادد"[8]، كذلك أثمر عن الصلح بين السلطان الصالح نجم الدين و الملك الناصر يوسف صاحب حلب [9] .

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص359 . أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص212 . ابن كثير ، البداية و النهاية،ج13، ص151.ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج6، ص288 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 .

(2) أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص212 . الذهبي ، دول الإسلام ، ج 2 ، ص150 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص288 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص179 .

(3) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص34 .

(4)أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص212 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص288 .العريني ، مصر في عصر الأيوبيين ، ص137 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص153 .

(5)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص760 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص151 .

(6)سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص762 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 .

(7)أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص212 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج 6، ص288 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص362 .

(8) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5 ، ص359 .

(9) المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص427 . علي ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص180 .

قرر الصالح نجم الدين أن يطهر بلاد الشام نهائياً من بقايا الخوارزمية ، فأرسل جيشاً بقيادة الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ كي يضع حداً نهائياً لأفعال الناصر داود و الخوارزمية ، و ما أن وصل فخر الدين إلى فلسطين حتى ترك من كان بنابلس من الخوارزمية ، و توجهوا إلى السلط[1].

استعد الناصر داود لمواجهة الموقف و جمع جموعه و التقى بفخر الدين عند السلط في ربيع الأخر 644 هـ / سبتمبر 1246م ، و استطاع فخر الدين من إلحاق الهزيمة بالناصر داود و من معه و شتت شملهم و استولى على الصلت بعد أن أحرقها [2] ، و فر الناصر داود إلى حصن الكرك محتمياً بها ، فحاصرها فخر الدين و خرب ما حولها ، و استولى على البلقاء ، فاضطر الناصر داود إلى طلب الأمان على أن يسلم ما عنده من الخوارزمية [3] ، و هكذا لم يبق من الخوارزمية إلا فئة قليلة انضمت إلى جيش الصالح نجم الدين الذي أقام بمصر [4].

وهكذا انتهت الخوارزمية حيث يقول ابن الجوزي : " وانحل نظام الخوارزمية ، و أمنت البلاد و العباد " [5] ، و لم يبق للخوارزمية أي أثر في بلاد الشام ، وكانت هزيمتهم قد أنهت مشاكل الصالح نجم الدين ، وقضت على أكبر الصعوبات التي كانت تواجهه في السيطرة الكاملة على بلاد الشام [6] .

---

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 و ص761 . عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص153 . غوانمة و يوسف ، إمارة الكرك ، ص273 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص124

(2)ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13، ص 151 . المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص428 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص393 ؛ غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص273 .

(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص761 . ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص35 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص124 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص363 .

(4) العريني ، المغول ، ص174 .

(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8 ، ص764 .

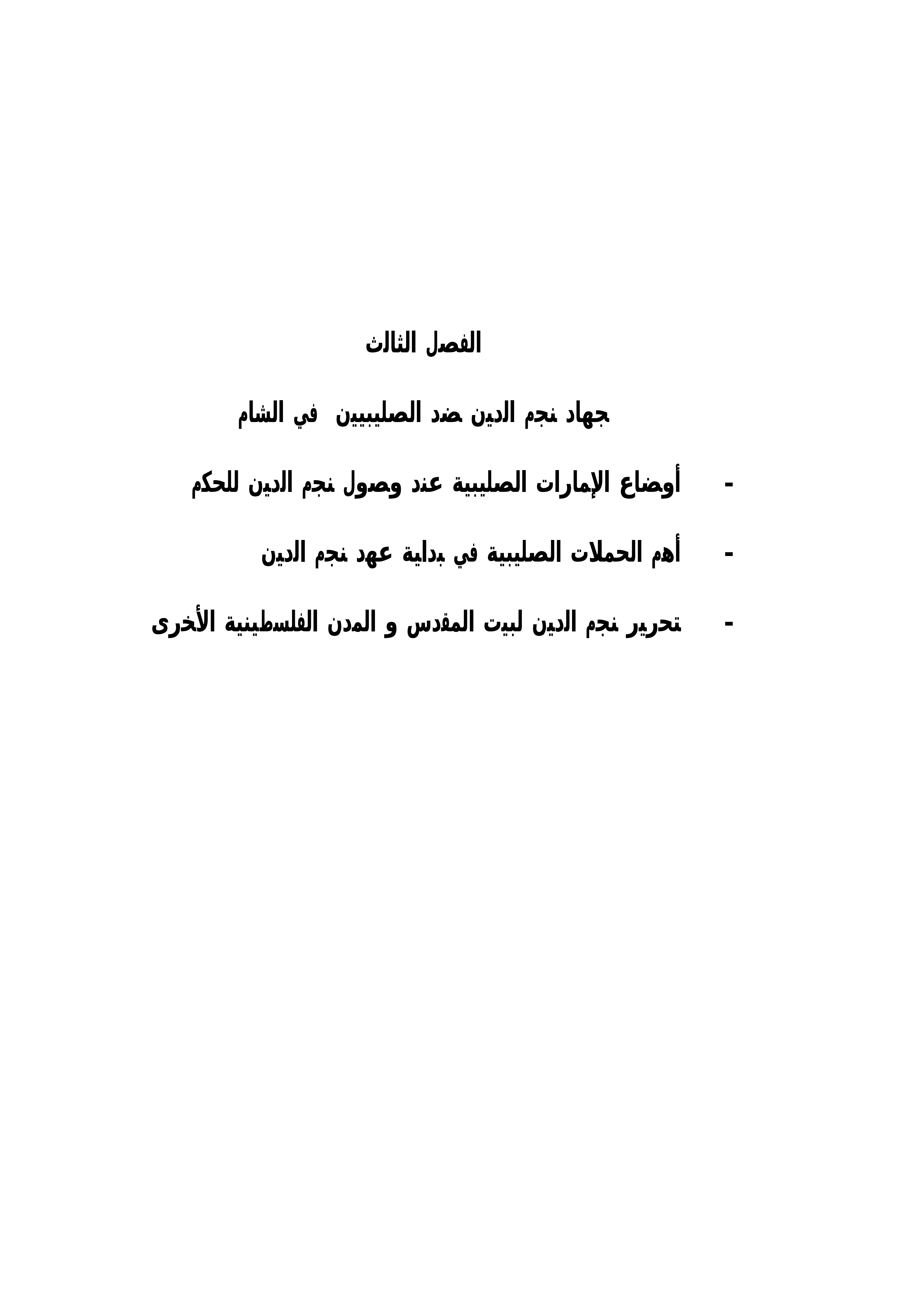
(6) زيادة ، محمد ، حملة لويس التاسع على مصر ، ص79 .

و بهذا النصر دانت بلاد الشام للسلطان الصالح نجم الدين ، وقـام بزيـارة لـبلاد الـشام و القدس و دعم تحصيناتها و أقر الأمور في البلاد ، وكان الخليفة العباسي قد أرسل له تقليدا بالبلاد تحت حكمه فزاد ذلك مكانته بين الناس [1] .

وهكذا تمكن الصالح نجم الدين من إعادة الوحدة السياسية مرة أخرى للدولة الأيوبيـة فـي مصر و الشام .

---

[1] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج 13 ، ص154 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص318 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص393 .



الفصل الثالث

جهاد نجم الدين ضد الصليبيين في الشام

- أوضاع الإمارات الصليبية عند وصول نجم الدين للحكم
- أهم الحملات الصليبية في بداية عهد نجم الدين
- تحرير نجم الدين لبيت المقدس و المدن الفلسطينية الأخرى

- أوضاع الإمارات الصليبية عند وصول نجم الدين للحكم:

شهدت السنوات الأخيرة من عهد الملك الكامل سلاماً بين المسلمين و الصليبيين بموجب اتفاقية يافا التي وقعت بين الملك الكامل و الإمبراطور فردريك الثاني سنة 626هـ / 1229م ، و مدتها عشر سنوات [1] ، إلا أن هذه الاتفاقية انتهت بعد وفاة الملك الكامل ، بسبب الخلافات بين أبناء البيت الأيوبي و خاصة بين الأخوين الصالح نجم الدين ، و العادل الثاني ، على عرش الديار المصرية ، حيث انقسم البيت الأيوبي بين الطرفين، بين مؤيد ومعارض[2] .

على أن أحوال الصليبيين ببلاد الشام في ذلك الوقت ، لم تكن أحسن من أحوال المسلمين ، فالبرغم من أن وفاة صلاح الدين الأيوبي قد أغرت المتحمسين في الغرب الأوروبي إلى القيام بحملات صليبية جديدة على الشرق الإسلامي بهدف استعادة بيت المقدس من المسلمين ، سيما و أن صلح الرملة الذي عقده ريتشارد قلب الأسد مع صلاح الدين سنة 588هـ / 1192م كان محدداً بثلاث سنوات و ثلاثة أشهر [3]، فإن تلك الحملات الصليبية التي استهدفت الأراضي المصرية التي كانت مركز القوة الإسلامية في العصور الوسطى لم تحقق و لو جزءاً بسيطاً من أهدافها باستثناء ما حققه الإمبراطور فردريك الثاني من استعادة بيت المقدس لبعض الوقت بالطرق السلمية من الملك الكامل بمقتضى اتفاقية يافا سنة 626 هـ / 1229م [4] .

---

[1] المقريزي، السلوك؛ ج1 ، ص354 . للمزيد انظر: شاهين، رياض، الملك المعظم عيسى،ص188-189. المسحال، حسن، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ، ص199. غوانمة، يوسف، معاهدات الصلح و السلم بين المسلمين و الفرنج، ص68.

[2] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص269 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص340 . زيان ، حامد ، الصراع السياسي و العسكري ، ص113 .

[3] ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص232 – 234 . الغامدي ، عبد ا ، جهاد المماليك ، ص37 .

[4] المقريزي ، السلوك ، ج 1 ، ص354 . الغامدي ، عبد ا ، جهاد المماليك ، ص38 .

بعد ذلك قرر الإمبراطور فردريك الثاني الرحيل عن الشرق ، بعد أن ساءت أحوال الإمبراطورية في بيت المقدس، و ذلك بسبب ما فرضه بطرس رئيس أساقفة قيسارية من الحذر(أي القطع) في جمادي الأول 627 هـ/مارس 1229م على مدينة بيت المقدس طالما الإمبراطور فيها، وترتب على ذلك توقف جميع الطقوس الدينية المسيحية في المدينة [1] .

كذلك توالت الأخبار السيئة من أوروبا على الإمبراطور تؤكد ازدياد الأحوال السياسية سوءاً في إمبراطوريته ، لذلك قرر الإمبراطور مغادرة قبرص على وجه السرعة [2] ، وقد رحل الإمبراطور فردريك الثاني عن قبرص و لم يترك فيها سوى الحرب الأهلية [3] .

وقد شهدت السنوات التي أعقبت رحيل الإمبراطور فردريك الثاني من الشرق إلى اضطراب أحوال الصليبيين في الشرق الأدنى عامة ، سواء في قبرص أو في بلاد الشام [4].

ففي قبرص كان الإمبراطور فردريك الثاني قد عين خمسة من النبلاء القبارصة للوصاية على الملك هنري الأول لوزجنان الذي كان صغيراً في السن ، و أمر فرديك أولئك الأوصياء بطرد أتباع آل ابلين من الجزيرة ، فوافقوا على ذلك ، كما تعهدوا بدفع عشرة آلاف مارك للإمبراطور فردريك الثاني [5].

لقد لجأ الأوصياء على قبرص للحصول على هذه الأموال بفرض الضرائب على السكان ، كما قاموا بالاستيلاء على أملاك آل ابلين[6] ، و كان أن لجأ أحد الأوصياء إلى الاستنجاد بحنادي ابلين في الشام ، فاستجاب ابلين و خرج من عكا على رأس بعض الصليبيين

---

[1] ابن نظيف الحموي،التاريخ المنصوري، ج1،ص160.انظر:عدوان، فرج، الأمبراطور فريدريك الثاني، ص182.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9،ص376-378 .

[3] رنيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص341 .

[4] عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص805 .

[5] ابن نظيف الحموي،التاريخ المنصوري، ج1،ص160. زكار ، سهيل ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، ج24 ، ص95 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص805.

[6] زكار ، سهيل ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، ج24 ، ص95.

المغامرين ، و نزل على شاطئ قبرص ، حيث دارت المعركة بين ابلين و الأوصياء عام 626 هـ / 1229م ، و انتهت بهزيمة الأوصياء ، و فر بعضهم ، و تم القضاء على حركتهم نهائياً عام 627 هـ / 1230م ، و تولى حنادي ابلين الوصاية على عرش قبرص حتى عـام 629 هـ / 1232م حين بلغ الملك حنا الأول لوزجنان سن الرشد [1]، لكن الإمبراطور فردريك لم يغفر لحنادي ابلين فعلته ، و أعلن حرمانه هو و أبنائه و أتباعه من إقطاعتهم ، و أعد قوة من ستمائة فارس و سبعمائة من المشاة و ثلاثة آلاف من البحارة تحت قيادة ريتشار فلا نجيري ، لتدعيم نفوذ الإمبراطور في الشام و قبرص [2] .

و كان حنادي ابلين في ذلك الوقت فـي عكـا و عنـدما و صـلته أخبـار الحملـة الإمبراطورية بقيادة ريتشار فلا نجيري ، عاد إلى قبرص و معه فرسانه ، و استعد للمعركـة المنتظرة مع الإمبراطورية [3]، و لما تعذر على الجيش الإمبراطوري النزول علـى شـاطئ الجزيرة بسبب الاستعدادات التي اتخذها حنادي ابلين اتجه فلانجيري إلـى بيـروت رأسـاً ، و استولى عليها بسهولة ، و ترك جزء من قواته لمحاصرة قلعتها ، في حين زحف هو علـى صيدا و صور و عكا فاحتلها جميعاً [4] .

و من عكا دعا فلا نجيري أمراء المملكة للاجتماع به ، و أطلعهم على خطاب اعتمـاد من الإمبراطور بوصفه مندوباً عنه، ثم طالب بمصادرة جميع ممتلكات آل ابلين بالشام ، و قـد عارض الأمراء ذلك الطلب ، و انضم إليهم تجار عكا الذين كونوا مجلساً بلـدياً لحكـم عكـا و اختاروا حنادي ابلين رئيساً له [5] .

---

(1) Hill: AHisrory of Cyprus , II,P 100 – 107.

(2) Richard: le Royaume latinde Jerusalem,p. 239

(3) عاشور ، سعيد ، قبرص و الحروب الصليبية ، ص24 .

(4) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ،ص806 .

(5) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص806.

و عندما سمع حنادي ابلين بتلك الأخبار ، اصطحب جيشاً من قبرص و قـصد الـشام حيث أنزل قواته جنوب طرابلس في سنة 628 هـ /1231م ، ثم زحف إلى بيروت و استولى عليها ، وقوى مركزه فيها ، كما استولى على صيدا ، ولكن فلا نجيري استغل غياب حنـادي ابلين عن قبرص و أرسل قوة إليها و هاجمتها مما جعل الموقف صعباً في قبرص و بلاد الشام سواء [1] .

و عندما انتقل فلا نجيري إلى قبرص سنة 629 هـ / 1232م لحق به حنادي ابلـين و هنري ملك قبرص ، حيث دارت عدة معارك في قبرص بين ريتشار فلا نجيري و حنـا دي ابلين انتهت بهزيمة القوات الإمبراطورية بقيادة ريتشار فلا نجيري التـي اسـتثارت كراهيـة السكان المحليين بسبب سلوكها و طمعها [2] .

و في عام 629 هـ / 1232م خضعت جزيرة قبرص تماماً للملك هنري لوزجنـان و آل ابلين ، أما ريتشار فلا نجيري فقد لجأ إلى هيثوم الأول ملك أرمينيا يطلب معونتـه ، فلمـا فشل عاد إلى ايطاليا [3].

و هكذا استطاعت مملكة قبرص الصليبية من تخليص نفسها من سيطرة الإمبراطورية المقدسة .

أما بالنسبة لمملكة بيت المقدس فقد ظلت حتى سنة 666هـ / 1268م تابعة من الناحية القانونية للإمبراطورية ، حيث كان لدى أباطرة الغرب ما يشغلهم عن ممتلكاتهم في الـشرق ، مما جعل مملكة بيت المقدس مدة خمـسة و ثلاثـين سـنة مـن 631 هـ ـ/ 1233م إلـى

---

(1) Archer: the crusades ,p. 384.

(2) .king: the knights Hospitallers in the Holy land ,p . 212.

(3) غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص117 .

666 هـــ/ 1268م دون ملـــك يقـــيم فيهـــا و يراعـــي شـــئونها ويـــنظم أمورهـــا و يدافع عن حقوقها [1] .

من الملاحظ أن الفترة من 631 هـ/ 1233م إلى 666 هـ/ 1268م، كانـت فتـرة حاسمة في تاريخ الشرق الأدنى لما شهدته من أحداث سقوط الدولة الأيوبية و ظهور المغـول وكان من الممكن أن يستغل الصليبيون الأحداث للسيطرة على بلاد الشام و لكن الصليبيين كانوا في تلك الفترة يفتقرون إلى القيادة الحكيمة التي توجههم و تحرص على مصالحهم .

لقد كانت مدينة بيت المقدس منذ اتفاقية يافا سنة 626 هــ/ 1229م حتـى غزاهـا الخوارزمية سنة 642 هـ/ 1244م مدينة مفتوحة غير محصنة ومقسمة بين النفوذ الإسـلامي و الصليبي، مما جعل كل جانب يخشى النزوح إليها و المتـاجرة معهـا و الاسـتقرار فيهـا، و ظلت مدينة بيت المقدس في تلك الفترة تشكو قلة السكان من المسلمين و الـصليبيين ، و لـم يبق لها سوى مكانتها الدينية فقط [2].

و من المؤكد أن فردريك الثاني لم يستغل اتفاقية يافا ولو أنه استغلها و قـام بتحـصين مدينة بيت المقدس و عمر أسوارها و أبراجها و ترك فيها قوة تـدافع عنهـا لتغيـر مجـرى الأحداث في تلك الفترة.

و كان أمراء بيت المقدس قد طلبوا من الإمبراطور فردريك الثاني سـنة 627 هــ/ 1230م أن يرسل ابنه كونراد الرابع إلى الشام ليقيم ملكاً على مملكة الصليبيين ،بوصفه الممثل الوحيد للسلالة الشرعية لملوك المملكة،ولكن الإمبراطور فردريك رفـض ذلـك الطلـب [3]،

---

(1) Setton : AHistory of the crusades , p 557 – 559

(2) King : The kingights Hospitallers in the Holy land , p 209

(3) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص808 .

فظلت مملكة بيت المقدس بدون ملك و كان يحكمها مندوب عن الإمبراطور ، في حين ظلـت بقية المدن الصليبية في بلاد الشام مستقلة عن النفوذ الإمبراطوري [1] .

و عندما أدرك الإمبراطور فردريك الثاني فشل تجربته فـي إخـضاع أمـراء الـشام الصليبيين بالقوة لجأ إلى الوسائل السلمية ، و استغل فرصة عودة أسقف صيدا من روما إلـى الشام ، وأعطاه رسالة إلى أمراء الشام يفيدهم أنه عزل ريتشار فلا نجيري من منصبه بوصفه نائباً عنه في الشام ، و عين بدلاً منه دي موجاستل أحد أمراء الشام ، و لكـن أمـراء الـشام رفضوا ذلك ، لأن دي موجاستل من أشد أنصار ريتشار فلا نجيري [2] .

و مع استمرار الفوضى في بلاد الشام تدخل البابا سنة 632 هـ / 1235م، و أرسـل مندوباً عنه لحل الإشكال ، حيث اقترح مندوب البابا دخـول الأمـراء فـي طاعـة ريتـشار فلا نجيري ، و لكن الأمراء رفضوا ذلك الاقتراح [3] ، ثم عاد البابا سنة 633 هـ / 1236م و أخبر أمراء الشام بحق فردريك الثاني في الإشراف على شئون الصليبيين ، بوصفه وصـياً على كونراد الرابع صاحب الحق الشرعي في مملكة الصليبيين بالشام ، و أن أمـراء الـشام أساءوا التصرف مع حكامهم و لكن عفا ا عما سلف عن جميع أمراء الشام ما عدا آل ابلـين الذي تجب محاكمته أمام محكمة عليا [4]، و لكن أمراء الشام لم يقبلوا أيـضاً ذلـك العـرض البابوي ، فاستمر الموقف على ما هو عليه ، و في هذه الفترة تـوفى حنـادي ابلـين ، ففقـد الصليبيون حاكماً عاقلاً شجاعاً[5]، و كان البابا يرى أن الحل الوحيد لذلك الوضع هـو توحيـد

---

(1) Richard: Le Royaume Latinde Jerusalem, p. 241 – 242.

(2) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية،ج2، ص808.

(3) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص808 .

(4) Estoired , Eracles , II , p . 407.

(5) Stevenson : The crusadres in the East , p . 315.

مملكتي قبرص و بيت المقدس، ولكن هذا الحل لم يرض أمراء الشام الذين تمـسكوا بكـونراد الرابع ابن فردريك الثاني بوصفه الوريث الشرعي الوحيد لمملكة بيت المقدس [1] .

كذلك لم تكن أحوال الصليبيين في شمال الشام خاصة في إمارتي أنطاكيا و طـرابلس في تلك الفترة أكثر استقراراً منها في جنوبه، حيث أن اتفاقية يافا التي عقـدت بـين الـسلطان الكامل و الإمبراطور فردريك الثاني سنة 626 هـ/ 1229م [2] لم تتطرق لأحـوال هـاتين الإمارتين[3] أو لأملاك الداوية [4]، و الإسبتارية [5] ، فـي تلـك الجهـات ، و قـد اسـتغل الإسبتارية الظروف التي حلت بالبيت الأيوبي فـي ذلـك الوقـت، و أغـاروا علـى منطقـة بعرين"بارين " [6] في سنة 626 هـ / 1229م ، و نهبوا و أسروا و سبوا و قتلـوا ، و مـن جملة من ظفروا به طائفة من التركمان[7].

---

(1) Richard : Le Royaume latinde Jerusalem , p . 246.

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص354. غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص222 .

(3) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج3 ، ص363 .

(4) هم فرسان المعبد (Templers) و تختلف عن الاسبتارية في كونها نشأت أصلاً على أساس حربي منذ سـنة 512 هـ - 1118م ، أخذت هذه المنظمة العسكرية من مساحة المسجد الأقصى مقراً لها ، وتعهد أتباعها بحمايـة الطريق بين يافا و بيت المقدس ، ثم أسهم فرسان الداوية في جميع الأعمال العدائية التي قام بها الصليبيون في بلاد الشام وغدت الداوية تابعة للبابوية مباشرة شأنها في ذلك شأن الاسبتارية ، وشكلت هاتان الطائفتان أقوى دعـامتين للوجود الصليبي في بلاد الشام : رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج2 ، ص249 – 250 . الغامدي ، عبـد ا ، جهاد المماليك ، ص39 .

(5) طائفة من الفرسان الصليبين نشأ منذ فجر الحروب الصليبية ، وبدأت أول الأمر على هيئة جمعية هدفها العناية بمرضى الصليبين ، و إيواء الحجاج و رعايتهم و طبقت مبادئ الديرية البندكتية في فلسطين و لم تلبث أن تخلـت عن تبعتها للبندكتية و انتمت للبابوية مباشرة ، ثم تطورت و اكتسبت صفة حربية و ارتدى أصحابها زي الرهبان ، و أخذوا يقاتلون من على ظهور الخيل كالفرسان تماماً . و نذروا أنفسهم لقتال المسلمين منـذ سـنة 531 هـ / 1137م . و أسهمت مع طائفة الداوية في حماية كيان الصليبين في الشام طوال أكثر من قرن من الزمان : جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص233 . الغامدي ، عبد ا ، جهاد المماليك ، ص39 .

(6) مدينة حسنة تقع بين حلب و حماه من جهة الغرب : الحموى ، معجم البلدان ، ج1 ، ص321 .

(7) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج4 ، ص303 . الغامدي ، جهاد المماليك ، ص39 .

و يبدو أن الملك المظفر تقي الدين محمود الثاني صاحب حماة لم يكن مستعداً للصمود في وجه ذلك العدوان ، الأمر الذي جعله يتعهد بدفع جزية للإسبتارية ، وعندما لم يف الملـك المظفر تقي الدين بدفع الجزية زحف عليه الإسبتارية و معهم الداوية بقوة كبيرة ، ولكن الملـك المظفر ألحق بهم الهزيمة [1] ، عند أفيون بين بعرين و حماة في سنة 627 هـ ـ / 1230م ، و عاد إلى حماة وأمامه الأسرى ، مما جعل الشعراء يمدحونه و يقـارنون سـلوكه بـسلوك السلطان الكامل [2] .

و في سنة 630 هـ / 1233م توفى بوهيموند الرابع صاحب أنطاكيا و طرابلس [3] ، و خلفه ابنه بوهيموند الخامس الذي شارك هو الآخر في النزاع بين الإسبتارية و الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة ، حيث أن الحرب تجددت بين الطرفين بسبب رغبة الإسـبتارية فـي الحصول على أموال فرضوها على المظفر تقي الدين ، ولكن في تلك المرة استعانت الاسبتارية بجميع قوى الفرنجة مثل الداوية و إمارتي أنطاكيا و طرابلس و مملكة بيت المقـدس ، فـضلاً عن الصليبيين في قبرص [4] .

و بعد أن تجمعت تلك القوى الصليبية جنوب حصن الأكراد ، زحف الـصليبيون لـيلاً على بعرين فاحتلوها ماعدا قلعتها التي احتمى بها الأهالي ، ثم قاموا ببعض الأعمال العدوانيـة في المناطق القريبة ، و عادوا بعد أسبوع إلى حـصن الأكـراد محملـين بالأسـلاب دون أن يصطدموا بالمسلمين [5] .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج12 ، ص627 . الغامدي ، عبد ا ، جهاد المماليك ص39 .
(2) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص809 .
(3) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص360 .
(4) King : The knights Hospitallers in the Holyland , p . 214.
(5) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص810 .

و يبدو أن الصليبيين لم يصطدموا بالمسلمين في تلك الفترة بسبب ظـروفهم الـسيئة ، كذلك سماعهم عن تجمع جيش أيوبي كبير ينوي التحرك نحو الشمال ، و اشترك فيـه الملـك الكامل صاحب مصر ، و الملك الأشرف موسى صاحب دمشق و الملك الناصر داود صـاحب الكرك، و المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، و غيرهم من أمراء البيت الأيوبي [1] .

ولعل تحرك تلك القوة الأيوبية نحو الشمال أثار مخـاوف الـصليبيين ، و لكـن تلـك المخاوف تبددت و تلاشت عندما علموا أن الأيوبيين توجهوا في سنة 631 هـ / 1234م إلى خلاط التي كانت تابعة للملك الأشرف موسى ، للدفاع عنها ضد علاء الدين كيقبـاذ كيخـسرو ملك سلاجقة الروم [2] ، و هو الذي انتزع خلاط من أيدي نواب الملك الأشرف موسى[3] .

و في ذلك الوقت تجدد الصراع مرة أخرى بين بوهيمونـد الخـامس أميـر أنطاكيـا و طرابلس و ملك أرمينيا الصغرى الجديد هيثوم الأول ، حيث أن آل هيثوم لم يصلوا إلى حكم أرمينيا الصغرى إلا بعد قتل فيليب أخو بوهيموند الخامس ، فلم ينس بوهيموند الخامس للأرمن هذه الفعلة [4] ، فاتفق مع الداوية التي كانت في صراع دائم مع أرمينيا الصغرى حول حـصن بغراس [5] ، فوجها حملة إلى أرمينيا سنة 630 هـ / 1233م ، ولكن هـذه الحملـة فـشلت بسبب اختلاف بوهيموند الخامس و الداوية [6] .

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص369 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص810 . الغامدي ، عبد ا ، جهاد المماليك ، ص40 .

(2) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص189 .

(3) ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج3 ، ص216 .

(4) Lorga: L' Armenie clicenne , p . 129.

(5) مدينة بينها وبين أنطاكيا أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكيا من حلب في البلاد المطلة على طرطوس : الحموى ، معجم البلدان ، ج1 ، ص467 .

(6) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص811 .

و إذا كان الداوية قد احتفظوا في تلك الفترة بحصن بغراس ذا ت الموقع الهام ، فـإن الأيوبيين في حلب احتفظوا أيضاً بحصن دربساك [1] ، الذي كان فيما مضى تابعاً للداوية حتى استولى عليه صلاح الدين سنة 584 هـ / 1188م ، و كانت المسافة بين بغراس و دربـساك قليلة لا تتعدى بضعة كيلو مترات مما جعل الحرب لا تنقطع بين الداوية و المسلمين [2] .

حيث قام الملك العزيز صاحب حلب بالهجوم على بغراس سنة 623 هـ / 1226م ، و بعد وفاته سنة 634 هـ / 1236م ، خلفه ابنه الناصر صلاح الدين في حكم حلب و كـان صغيراً فتولى الوصاية عليه بعض الأمراء وجدته ضيفة خاتون [3] ، و استمر الحلبيون فـي ذلك الوقت بالهجوم على الداوية في بغراس و أوشكوا أن يستولوا عليها ، لو لا تدخل بوهيموند الخامس صاحب أنطاكيا و طرابلس مما أدى إلى عقد الهدنة بين الطرفين [4] .

و لم يلبث أن نقض الداوية تلك الهدنة بدافع الطمع في الاستيلاء على دربساك فأغاروا عليها في سنة 635هـ / 1237م ، و لكن دربساك قاومتهم و صمدت في القتال حتى وصلت إليهم قوة كبيرة من حلب و أنقضت على الداوية ، حيث انتهى مصير معظمهم إلـى القتـل أو الأسر حيث " لم ينج منهم إلا القليل " [5].

و بعد ذلك عاد الجيش الحلبي و معه الأسرى و رؤوس القتلـى دون أن يـستمر فـي تقصي الداوية و مهاجمة حصن بغراس ، مما ساعد على استقرار السلام بين حلب من ناحية

---

[1] هي قلعة ضيقة تقع بين أرمينيا و أنطاكيا : الصفدي الوافي بالوفيات ، ج29 ، ص56 . أبو شامة ، الذيل على الروضتين، ص42 .

[2] King : The kights Hospitallers in the Holy Land , p . 219 – 220.

[3] ابن العديم . زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج3 ، ص255. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص377.

[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص194 .

[5] ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج3 ، ص231 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص815.

و أنطاكيا و الداوية من ناحية أخرى [1] .

من الملاحظ أن أحوال الصليبيين كانت سيئة عند وصول نجم الدين للحكـم ، إلا أنهـا ازدادت سوءاً بعد أن عاد فردريك الثاني إلى بلاده تاركاً الصليبيين في الشام دون ملك قوي أو شخصية بارزة ترعى شؤونهم و مصالحهم و تدافع عنهم .

كذلك لم تستغل الدولة الأيوبية هذه الظروف السيئة التي أحاطـت بالـصليبيين ، بـل فضلت عدم الدخول في حرب معهم بسبب ظهور قوة جديدة على الساحة الـسياسية ألا وهـي الدولة الخوارزمية التي كان لها أكبر الأثر في تغير سير الأحداث .

---

(1) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص194 .

- **أهم الحملات الصليبية في بداية عهد نجم الدين :**

الحملة الصليبية الفرنسية سنة 637 هـ / 1239م :

في ظل الاضطرابات العنيفة التي ضربت بلاد الشام ، و انتهاء مدة اتفاقية يافـا سـنة 637 هـ / 1239م ، حيث كان الصليبيون في بـلاد الـشام دون حـاكم أو ملـك يرعـاهم و يجمعهم ، و يدير شؤونهم ، كذلك ظلت مدينة بيت المقدس منذ استيلاء الـصليبيين عليهـا بموجب اتفاقية يافا عام 626 هـ/1229م [1] ،مدينة مفتوحة ليست لها من وسائل الـدفاع أو الحماية ما يكفل الدفاع عنها ضد أية محاولة تستهدف طرد الصليبيين منها [2] .

لقد أثارت هذه التطورات قلق البابوية و خوفها على بيت المقدس بالذات ، فدعا البابـا جريجوري التاسع لحملة صليبية ، فأرسل مندوبيه إلى فرنسا و انجلترا من أجل هذه الغاية [3]، و لكن ملكي فرنسا و انجلترا لم يكونا على استعداد لقيادة حملة صليبية ، بصورة شخـصية ، غير أنهما قدما كل دعم و تشجيع لدعاة هذه الحملة [4] .

و قد استجاب لهذه الدعوة بعض النبلاء و الفرسان الفرنسيين ، على رأسـهم ثيبـوت الرابع ، أمير شامبانيا ، و ملك نافار ، و هيو الرابع أمير برجنديا ، وبطرس مادكليرك أميـر برتياني ، وغيرهم من صغار الإقطاعيين [5] .

---

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ص354. غوانمة، يوسف، معاهدات الصلح و السلام بين المسلمين و الفرنج، ص68.

(2) King : The knights Hospitallers in the Holly Land , p. 209.

عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ،ص817 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص366 .

(3) مجهول، تتمة وليم الصوري، ص68-74. العروسي ، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، ص117 . طقوش ، محمد، تاريخ الأيوبيين ، ص366 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص346 – 347 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص817 . قاسم ، عبد قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص156 .

(4) العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص202 .

(5) مجهول، تتمة وليم الصوري، ص68-74. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص370 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ،ص817 . العسلي ، بسام ، فن الحروب الإسلامي ، مج4 ، ص202 .

و كان الملك ثيبوت الرابع يأمل في ركوب البحر إلى فلسطين مـن مينـاء برنـديزي الايطالي غير أن الصراع الذي نشب بين الإمبراطور فردريك الثاني و بين البابا أرغم قـوات الحملة على ركوب البحر من مرسيليا ، حيث واجهت الحملة خلال رحلتها أعاصير و ريـاح عاتية أرغمتها على التأخير [1] فلم تصل إلى عكا إلا في صفر سـنة 637 هـ ـ / سـبتمبر 1239م و كان ثيبوت الرابع أول الواصلين إلى عكا على رأس ألف و خمسمائة فارس ما عدا المشاة [2] .

لقد انتهز الناصر داود هذه الفرصة عندما علم بنزول الصليبيين في عكا و خرج على رأس قواته للاستيلاء على بيت المقدس حيث كان الصليبيون قد عمروا القـدس و حـصنوها، وبذلك نقضوا الشروط المتفق عليها مع المسلمين، فتحجج الناصر داود بما فعله الصليبيون [3]، فحاصر المدينة وأخذ ينتظر الفرصة المواتية للهجوم على المدينة ، حتى كانت ليلة عيـد مـن أعياد الفرنج ، وكانوا في شغل شاغل باحتفالاتهم بالقدس حسب عاداتهم ، فشنت قوات الناصر داود هجوماً عنيفاً على القدس و دكت فيه حصونها بالمجانيق [4] ، و دمرت قلعتها و اشتعلت النيران فيها ، ثم رفعوا الأعلام و الرايات فوقها [5] ، وقد طلب الفرنج الأمان على أن يـسمح لهم الناصر داود بالرحيل عنها ، فسمح لهم بذلك بشرط ألا يأخذوا معهـم مـالاً أو سـلاحاً ،

---

(1) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج3 ، ص371 – 372 . العسلي ، بسام ، فن الحروب الإسلامي ، مج4 ، ص202 . قاسم، عبد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص156. الجوابرة ، فاطمة ، موسوعة القدس ، ص206 .

(2) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص817 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص347 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص366 . الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص11 ، قاسم ، عبد قاسم ، الأيوبيين و المماليك ، ص127 .

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص399 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص118 – 119 . عاشور، سعيد، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص817 . صالح ، محسن ، الطريق إلى القدس ، ص118 .

(4) ابن شداد الحلبي ، الأعلاق الخطيرة ، ج3 ، ص255 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص399 .

(5) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 246-247. النويري، نهاية الأرب، ج29، ص254.

و بذلك استطاع الناصر داود تحرير مدينة القدس و إعادتها إلى المسلمين و ذلك فـي جمـادي الأولى سنة 637 هـ / ديسمبر 1239م بعد أن حاصرها حوالي 21 يوماً [1] .

و هكذا استطاع الناصر داود من إعادة القدس إلى حظيرة الحكم الإسلامي بعد عـشر سنوات عجاف، وكان لهذا الفتح أثره العميق في نفوس المسلمين حيث جاء هذا الفتح في ظـل ظروف الانقسام و الانشقاق في صفوف البيت الأيوبي .

عندما علم الصليبيون باستيلاء الناصر داود على بيت المقدس ، اجتمع زعماء الحملة بأمراء الصليبيين بالشام ، لدراسة الموقف و تحديد الخطوة التي يجب أن يتخذوها في ظل هذه الظروف الصعبة ، فانقسم الصليبيون على أنفسهم [2] ، إذ رأى فريق من الـصليبيين الـسير نحو غزو مصر، اعتقاداً منهم أن جميع الأمراء الأيوبيين بالـشام ، سـيقفون علـى الحيـاد لكراهيتهم للعادل الثاني ، و لعلمهم أن العادل غير محبوب من معظم جنده ، مما يسهل مهمتهم في القضاء عليه وعلى مركز القوة الرئيسية في الدولة الأيوبية وهي مـصر ، وإذا أخـذوها يمكنهم من استرداد بيت المقدس بسهولة وقد أيد هذا الرأي كثير من البارونات المحليين و على رأسهم زعماء الداوية [3] و رأى فريق آخر أن يسير الصليبيون إلى دمشق ، بوصفها العـدو الرئيسي للصليبيين، ولابد للجيش من أن يحصن قلاع الجليل قبل أن يبدأ الزحف باتجاه المدينة ، و نادى فريق ثالث بالاتجاه إلى صفد ، إلى الشمال الغربي من طبرية ، و الاستيلاء عليهـا و تحصينها ، واتخاذها قاعدة داخلية في بلاد الشام ضد دمشق [4] .

---

[1] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص399 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك، ص257 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص522 – 523 .

[2] Stevenson: The crusaders in the East, p .317.

[3] زيادة، محمد، حملة لويس التاسع على مصر، ص68 . عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2،ص817– 818 .

[4] Stevenson : The crusaders in the East , p . 317.

رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص372.

أما الفريق الرابع فقد أصر على أن يتجه الصليبيون إلى بيت المقدس مباشرة، و تركيز الجهود في الاستيلاء عليه، وأخيراً استقر رأي الصليبيين على أن يقصدوا عسقلان أولاً لهـدم تحصيناتها والاستيلاء عليها، وبعد ذلك يقصدون دمشق لانتزاعها من المسلمين (1) .

ولكن هذا القرار ذا الاتجاه المزدوج للصليبيين سوف يوقعهم في عداء مع العادل الثاني الذي مازال سلطان مصر حيث كانت عسقلان من ضمن أملاكه ، و كذلك مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق (2) .

ومن الملاحظ أن الصليبيين قد افتقروا إلى السياسة المرنة في هذه الحملـة بخـلاف سياستهم أثناء حملة ريتشاد قلب الأسد ، وحملة فردريك الثاني فلـم يحـاولوا الاسـتفادة مـن الصراعات و النزاعات داخل البيت الأيوبي عقب وفاة الملك الكامل .

خرجت الحملة من عكا في أوائل ربيع الثاني 637 هـ / 1239م ، قاصدين الحـدود المصرية، وكان نجاح الصليبيين في الاستيلاء على قافلة إسلامية محملة بالبضائع فـي وادي الأردن كانت في طريقها إلى دمشق (3) ، قد شجع جماعة كبيرة من الصليبيين على الانـدفاع نحو غزة للقضاء على جيش العادل الثاني، حيث سمع الصليبيون بان عدته لا تتجاوز الألـف جندي (4)، و لم يتمكن ثيبوت الرابع قائد الحملة أن يثنى أولئك المتهورين عن عزمهم بعـد أن اشتد طمعهم في الحصول على الغنيمة وحدهم، مما يدل على أن الفوضى كانت متفشية داخـل

---

(1)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص279-280. مجهول، تتمة وليم الصوري، ص68-74. عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص119 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص523 . سكيك، إبراهيم، غزة عبر التاريخ الإسلامي ، ج2 ص63 . الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص12 .

(2)مجهول، تتمة وليم الصوري، ص88-97. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص818. طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص367 .

(3) زيادة، محمد، حملة لويس التاسع على مصر،ص68. عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص818. عاشور، فايد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين، ص347.

(4) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص373. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص818 .

صفوف الجيش، كما أن القيـادة كانـت ضـعيفة و غيـر قـادرة علـى اتخـاذ القـرارات وتنفيذها[1] .

التقى الجيشان بالقرب من غزة في 14 ربيع الأول 637 هـ / 3 نـوفمبر 1239م ، و جرى قتال شديد بين الجانبين ، انتهى الأمر بانتصار المسلمين و هزيمة الفرنج حيـث قتـل منهم ألف و ثمانمائة ، ولم يقتل من المسلمين غير عشرة ، و أسر بعض زعمـاء الـصليبيين وأمرائهم فضلاً عن مائتين و خمسين راجلاً سيقوا إلى القاهرة [2] .

عندما وصلت أنباء هذه الهزيمة إلى الصليبيين المحتشدين عند عسقلان قرر ثيبـوت الرابع المسير إلى غزة لنجدة أصحابه ، غير أن فرسان الصليبيين المحليين رفضوا ذلـك ، إذ كان من الغباء دفع ما تبقى من الجيش الصليبي إلى خوض معركة غير مـضمونة النتـائج ، فاضطر الصليبيون للانسحاب إلى يافا و منها إلى عكا [3] .

وقد اشتد الصراع في هذا الوقت بين أبناء الأسرة الأيوبية ، مما دفع المظفر تقي الدين صاحب حماة . من طلب المساعدة من الصليبيين ضد خصومه ، الصالح إسـماعيل صـاحب دمشق ، وشيركوه صاحب حمص ، و ضيفة خاتون الوصية على حكم حلب ، مقابل أن يتنازل لهم عن حصن أو حصنين [4]،و قبل الصليبيون هذا العرض و ساروا إلى طرابلس لمساعدته ،

---

(1) النويري ، نهاية الأرب ، ج29 ، ص253 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص818 .

(2) النويرى ، نهاية الأرب ، ج29 ، ص253 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص400. عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص347 – 348 . الزيدى ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص12 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص119 .

(3) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص170 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص368. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص375 – 376 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص204 .

(4) ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج3 ، ص247 – 248 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص200. عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص348. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص376 .

لكن المظفر وجد نفسه في غير حاجة لهذه المساعدة ، ورفض التعاون معهم [1] .

و خلال تحرك ثيبوت الرابع بحملته نحو طرابلس ، كان الصالح نجم الدين قد اعتلـي عرش مصر في شهر ذي العقدة 637 هـ / مايو 1240م ، ووعد حليفه الناصر داود صاحب الكرك بمنحه دمشق بعد انتزاعها من الصالح إسماعيل ، فاشتد الصراع بين الصالح نجم الدين وبين الصالح إسماعيل [2] ، و لذلك رأى ثيبوت الرابع أن يستغل هذه الفرصة ، وعاد مسرعاً إلى الجنوب ، وحصن جيشه في الجليل و صفورية [3] .

و قد جاءت فرصة ثيبوت الرابع عندما وصله رسول الصالح إسماعيل يطلب مساعدته لحماية دمشق من هجوم محتمل من قبل الصالح نجم الدين صـاحب مـصر و الناصـر داود صاحب الكرك ، وقد استاء الصالح إسماعيل من نجاح الصالح نجم الدين في الوصـول إلـى سلطنة الديار مصرية [4] و رأى أن يعجل بطلب مساعدة الصليبيين ضد الصالح نجم الدين و الناصر داود ، في مقابل منح الصليبيين الحصنين الكبيرين صفد و شقيف أرنون و مـا يقـع بينهما من التلال ، فضلاً عن بيت المقدس و طبريا و عسقلان ، و مناصفة صيدا و أعمالهـا ، وجبل عاملة ، وسائر بلاد الساحل [5] .

استطاع الصالح نجم الدين من إثارة الرأي العام الإسلامي في مـصر و الـشام علـى الصالح إسماعيل الذي مد يده للصليبين ، و سمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح ، و كان رد

---

(1) أبو الفداء، المختصر، ج3،ص200 . رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص376.

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص282 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين، ص369 .

(3) زيادة، محمد ، حملة لويس التاسع على مصر ، ص70 .العسلي، بسام، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص205

(4) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص301 – 302 .المقريزي، السلوك ، ج1 ، ص47 . صالح ، محسن ، الطريق إلى القدس ، ص118 .

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص301 – 302 . ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص347 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص407 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص205. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص819- 820 .

الفعل الشعبي حاسماً ، فأنكرا اثنان من أئمة المسلمين في دمشق و هما شيخا الشافعية و المالكية عز الدين بن عبد السلام و الفقيه أبو عمرو الحاجب هذه الفعلة من قبل الصالح إسـماعيل [1] و أفتى ابن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للصليبيين كما قطع الدعاء لـصالح إسـماعيل مـن خطبة الجمعة بجامع دمشق ، فأمر الصالح إسماعيل بعزل ابن عبد الـسلام مـن الخطابـة ، و ألزمه بالإقامة في داره ، و منعه من الإفتاء و مقابلة الناس [2] و لكن الصالح إسماعيل قـام بالقبض على الشيخ ابن عبد السلام و الفقيه أبو عمرو الحاجب ، و طردهما ، فغادر الشيخ ابن عبد السلام إلى مصر بينما التجأ أبو عمرو الحاجب إلى الكرك [3] .

كما رفضت الحامية الإسلامية في الشقيف أرنون تسليم الحصن للـصليبيين حتـى أن الصالح إسماعيل اضطر إلى الحضور بنفسه لمحاصرة الحصن و إجبار حاميته على تـسليمه للصليبيين [4] .

تحرك الصالح إسماعيل على رأس قواته ، و نزل نهر العوجا حيث بلغه أن الناصـر داود صاحب الكرك ، و حليف الصالح نجم الدين قد سيطر على البلقاء ، فسار إليه و هزمـه ، و استولى على أثقاله و أسر جماعة من أصحابه ، ثم عاد إلـى العوجـاء [5] ، ولـم يتوقـف الصالح إسماعيل عن تدعيم علاقاته مع العدو الصليبي فبعث يطلب نجدات الصليبيين ، علـى أن يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين لمواجهة قوات الصالح نجم الدين ، ثم سار إلى

---

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص732 – 733 . الذهبي ، دول الإسلام ، ج2 ، ص109 . قاسم ، عبد قاسم ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص130 .عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص35 .

(2) أبو الفداء ، المختصر ، ج2 ، ص272 – 273 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص407 .

(3) النويرى ، نهاية الأرب ، ج29 ، ص278 – 279 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص407 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص370 .

(4) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص820 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص370 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص407 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص351 .

تل العجول ، و منها اتجه نحو غزة [1] . و بناء على هذا الحلف الأيوبي الصليبي ، قام الصليبيون بتحصين طبريا و عسقلان ثم حشدوا قواتهم جنوب غزة ، حيث وصل الصالح إسماعيل على رأس القوات المتحالفة [2].

جهز السلطان الصالح نجم الدين قواته لمواجهة قوات الحلف الأيوبي الصليبي و التي تقابل معها قرب غزة في صفر 638 هـ / أغسطس 1240م ، كذلك لم تقبل القوات الشامية التابعة للصالح إسماعيل من فكرة محالفة الصليبيين و طعن إخوانهم المسلمين [3] فلم تكد تصل هذه القوات إلى غزة حتى انضمت إلى القوات المصرية ، ليتعاون الجميع في مهاجمة الصليبيين ، و هكذا أحاق الهزيمة بالصليبيين ، و قتل منهم عدد كبير ، و سيق الأسرى إلى القاهرة [4] ، ويقول المقريزي : " و عندما تقابل العسكران ساقت عساكر الشام إلى عساكر مصر طائعة و مالوا جميعاً على الفرنج ، فهزموهم و أسروا منهم خلقاً لا يحصون " [5] .

انسحب بقايا الصليبيين إلى عسقلان ، و حينئذ استطاع الصالح نجم الدين بحنكته السياسية أن يحطم الحلف الأيوبي الصليبي ، فقام بمفاوضة ثيبوت الرابع بواسطة سفيره كمال الدين بن شيخ الشيوخ ، و أغراه بالتخلي عن محالفة الصالح إسماعيل و التزام سياسة الحياد مقابل إطلاق سراح الأسرى الذين و قعوا في يده في معركة غزة ، و أن يكون لهم الحق في احتلال عسقلان و تحصينها [6] .

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص407 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص285 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص120 .

(3) ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص344 . قاسم ، عبده قاسم ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص130 .

(4) ابن أيبك، كنز الدرر ، ج7 ، ص344 . عاشور و فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص351 . الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص512 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص407 .

(6) ابن أيبك، كنز الدرر، ج7، ص344. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص300-301. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج3 ، ص379 .

و فعلاً تم توقيع الصلح على هذا الأساس في عام 638 هـ / 1240م [1] .

فرح ثيبوت الرابع بهذا الاتفاق الذي ضمن للفرنج الصليبيين مكسباً جديداً ، بالإضافة إلى تحرير عدد من أصدقائه ، و حينئذ قرر ثيبوت الرابع العودة إلى أوروبا ، فغادر مدينة عكا في أواخر ربيع الأول 638 هـ / سبتمبر 1240م ، بعد أن استعاد للصليبيين بيت المقـدس و عسقلان و بعض القلاع الداخلية [2] .

الحملة الصليبية الانجليزية سنة 638 هـ - 1240م :

لم يكد ثيبوت الرابع يغادر عكا عائداً إلى أوروبا ، حتى وصلت إليها حملـة صـليبية جديدة في جمادي الأولى 638هـ/ أكتوبر 1240م ، بقيادة ريتشارد كور نوال ، شقيق هنري الثالث ملك انجلترا ، وصهر الإمبراطور فردريك الثاني [3] .

و عندما و صل ريتشارد إلى عكا و جد أن الأمور داخل الكيان الصليبي قـد وصـلت إلى أدنى مستوى من الفوضى و التدهور ، فالداوية الذين كانوا يرون ضرورة التحـالف مـع دمشق كانوا في حرب مع الإسبتارية الذين أيدوا الصلح مع مصر [4] .

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص418 .عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص120 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص352 . قاسم ، عبده قاسم ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص130 .

(2) ابن شداد الحلبي ، الأعلاق الخطيرة ، ج2 ، ص234 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص121 . عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2 ، ص821 . رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص379- 380 . الدويكات ، فؤاد ، إقطاعية طبرية ، ص243 .

(3) مجهول، تتمة وليم الصوري، ص110-112. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص821 . عاشور، سعيد، الأيوبيون و المماليك ، ص121 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص352 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص380 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص371 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص530.

(4) جوناثان، رايلي سميث، الاسبتارية، ص178. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص821 . قاسم ، عبده قاسم ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص131 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص371 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص206.

رفض ريتشارد الدخول في هذا الصراع ، بل وجـه جهـوده لتحـصين اسـتحكامات عسقلان ، حتى يؤمن الصليبيين بالشام من أي هجوم من مصر [1] ، وكان السلطان الـصالح نجم الدين قد أرسل رسله إلى ريتشارد للتصديق على المعاهدة التي عقدها مع ثيبوت الرابـع ، فوافق ريتشارد ، و طلب في المقابل اعتراف الصالح نجم الدين بما كان الصالح إسماعيل قـد تنازل عنه للصليبيين من ممتلكات [2]؛ أي تصبح مملكة القدس ، شاملة كل منطقـة الجليـل ، و ضاحية يافا و عسقلان ، وكل ناحية القدس ، وبيت لحم ، ومجدل يافا ، باسـتثناء نـابلس و بيسان حتى أريحا فتبقى بيد المسلمين [3] .

و بعد نجاح ريتشارد في مهمته عاد إلى بلاده في شهر ذي العقدة 638 هـ / 1241م ، تاركاً الصليبيين في بلاد الشام تسودهم الفوضى و الصراع فيما بينهم [4] .

لم يكد ريتشارد يغار بلاد الشام عائداً إلى بلاده حتى نشب الخلاف مـن جديـد بـين الصليبيين ، إذ رفض الداوية أن يلتزموا بالمعاهدة المعقودة مع الصالح نجم الدين ، فأغـاروا في ربيع سنة 639 هـ / 1242م على منطقة الخليل التي كانت تابعة للناصر داوود[5] ، فقام الناصر داود بعمل انتقامي ضد الصليبيين ، بأن أرسل قوة عسكرية قطعت الطريق المـؤدي إلى بيت المقدس و جبت الرسوم من الحجاج و التجار الذين يجتازونه ، فأثار هذا العمل فرسان

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص332 . اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج1، ص157.

(2) مجهول، تتمة وليم الصوري، ص110-112. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص352 . برجاوي ، سعيد، الحروب الصليبية في المشرق، ص531. المسحال، حسن، عسقلان في فترة الحروب الصليبية، ص203 .

(3) مجهول، تتمة وليم الصوري، ص110-112. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص352 . الدويكات ، فؤاد ، أقطاعية طبرية ، ص243 – 244 .

(4) جوناثان، ريلي سميث، الاسبتارية، ص178-179. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص822 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص372 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص531 ؛ الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص13 .

(5) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص383. عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص352 . المسحال، حسن، عسقلان في فترة الحروب الصليبية، ص203.

الداوية و خرجوا بقواتهم و هاجموا نابلس في جمادي الأول 639 هـ / أكتوبر 1242م ، واستباحوها ، و أحرقوا المسجد و أخذوا منبر الخطيب ، و قتلوا عدداً كبيراً من السكان [1] .

لم يكن الصالح نجم الدين مستعداً للقتال ، فاكتفى بإرسال جيش قوي حاصر يافا فترة من الزمن ، حتى استرضاهم الصليبيون ، فانسحبوا عائدين إلى مصر [2] .

لكن الصليبيين ظلوا غارقين في الفوضى و الصراع فيما بينهم دون رئيس أو ملك يسوى أمورهم ، حيث تصرفت الفئات العسكرية الدينية على أنها جمهوريات مستقلة ، و تولى حكم عكا قومون ، الذي لم يكن بوسعه أن يمنع الداوية والإسبتارية من أن يقاتل بعضهم بعضاً في الشوارع ، ولزم الأمراء الإقطاعيون اقطاعاتهم يحكمونها كيف شاءوا [3] .

---

[1] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص415 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي، مج4، ص207 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص352 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص372 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص384 .

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص305. عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص353 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص372 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في الشرق ، ص531 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص822 .

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص412-417. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص384.

- تحرير نجم الدين لبيت المقدس و المدن الفلسطينية الأخرى :

دب الصراع مرة أخرى بين الصالح نجم الدين في مصر، و عمه الصالح إسماعيل في دمشق، و تحالف الناصر داود مع الصالح إسماعيل و اتفقا على محاربة الصالح نجم الدين ، و لم يكتف الصالح إسماعيل بزعامة هذا الحلف بل اتصل بالفرنج و طلب مساعدتهم مقابل تسليمهم الحرم الشريف بما فيه المسجد الأقصى و قبة الصخرة [1] ، وهي الأماكن التي ظلت في يد المسلمين منذ أن تسلم الصليبيون بيت المقدس وفقاً لمعاهدة يافا التي عقدها الملك الكامل مع الإمبراطور فردريك الثاني سنة 626 هـ / 1229م [2] .

و من ناحية أخرى ، فإن الصالح نجم الدين عرض على الصليبيين في ذلك الوقت نفسه أن يحالفوه ضد الصالح إسماعيل و الناصر داود مقابل نفس الثمن الذي عرضاه الملكان على الصليبيين [3]، و بذلك يكون الملوك الأيوبيون الثلاثة الصالح نجم الدين و الصالح إسماعيل و الناصر داود قد أقروا سنة 641 هـ/ 1243م مبدأ استيلاء الصليبيين على الحرم الشريف، مما جعلهم يسيطرون فعلاً على تلك الأماكن المقدسة الطاهرة ، و يسيئون استخدامها[4] ، و قد مر ابن واصل ببيت المقدس سنة 642 هـ/ 1244م ، ووصف حال بيت المقدس فقال " فرأيت الرهبان و القسوس على الصخرة المقدسة و عليها قناني الخمر برسم

---

[1] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص206-209. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص417 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص 284-285.عاشور، سعيد، الأيوبيون و المماليك ، ص121 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص354 . برجاوي سعيد ، الحروب الصليبية في الشرق ، ص531. حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص122 . حمد ، أسامة ، أقطاعية بيسان ، ص126 .

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص354 . غوانمة ، يوسف ، معاهدات الصلح و السلام بين المسلمين و الفرنج ، ص68 . غوانمة، يوسف، إمارة الكرك ، ص222 .

[3] عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص823 . عاشور، سعيد، الأيوبيون و المماليك ، ص128 . برجاوي، سعيد، الحروب الصليبية في المشرق ، ص531 . الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ص13 .

[4] عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص823 – 824 . الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص13 .

القربان ، و دخلت الجامع الأقصى و فيه جرس معلق ، و أبطـل بـالحرم الـشريف الآذان و الإقامة "[1] .

أما الصليبيون ، فقد اتبعوا سياسة ذات وجهين مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، و حليفه الناصر داود صاحب الكرك و مع سلطان مصر الصالح نجم الدين ، و لكـن الظروف والأوضاع اضطرتهم إلى الوقوف بجانب أحد الطرفين ضد الآخـر [2] ، إذ انقـسم الصليبيون على أنفسهم ، فمنهم من رأى التحالف مع الصالح إسماعيل لأنه أقرب إليهم ، وهـم أكثر حاجة إلى مساعدته ، فضلاً عن أن محالفته تعنى محالفة الناصر داود صاحب الكرك ، و الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، ومنهم من رأى محالفة الصالح نجم الدين، وانتهى هذا الانقسام بانتصار سياسة الداوية الخاصة بمهاجمة مصر، والوقوف بجانب الصالح إسماعيل[3]. وسافر المنصور إبراهيم صاحب حمـص إلـى عكـا لإبـرام المحالفـة مـع الـصليبيين ، و ليعرض عليهم بالنيابة عن الحلفاء الأيوبيين نصيبهم في مصر ، حينما تحل الهزيمة بالصالح نجم الدين [4] .

و بدأت بالفعل تتجمع قوات الصالح إسماعيل و حلفائه ، كما بـدأت تتجمـع القـوات الصليبية في عكا ، و سائر المراكز الصليبية الأخرى بالشام ، و زحفت هذه القوات المتحالفـة في ربيع الثاني 642 هـ / أكتوبر 1244م ، من عكا جنوباً على طوال الساحل [5] .

---

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص333 .

(2) Stevenson : The Crusaclers in the East , p . 322.

عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص824 . عاشور، سعيد، الأيوبيون و المماليك ، ص122 .

(3) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص209. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص390.

(4) أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص209 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص285.

(5) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص33 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص258 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص390 .

لم يقف الصالح نجم جامداً أمام هذا التحدي ، بل تحرك سريعاً ، ولم يجد قوة يمكنها أن تسعفه إسعافاً سريعاً سوى الخوارزمية ، فاتصل بهم طالباً معونتهم ، الأمر الذي ترتب عليـه تحول الموقف سريعاً في صالحه [1] .

لم تكد تصل دعوة الصالح نجم الدين للخوارزمية حتى رحبوا بتلك الفرصة التي أتاحت لهم منفذاً لدخول بلاد الشام ، فاندفع منهم عشرة آلاف مقاتل [2] .

فسارت منهم فرقة على بقاع بعلبك ، و فرقة على غوطـة دمـشق ، و هـم ينهبـون و يقتلون و يسبون ، فانجفل الناس من بين أيديهم ، و تحصن الصالح إسماعيل بدمشق ، وضم عساكره إليه بعد ما كانت قد وصلت غزة تريد قتال الـصالح نجـم الـدين ، و لمـا وجـدت الخوارزمية قوة تحصين دمشق اتجهوا صوب الجليل حيث استولوا على طبريا ، ثم على نابلس ، ومنها زحفوا نحو مدينة القدس [3] ، حيث كانت مدينة القدس أشبه بمدينة مفتوحـة ضـعيفة التحصين ، و ليس فيها ملك أو زعيم صليبي يدافع عنها ، فاستنجد ما فيهـا مـن الـصليبيين بإخوانهم في أنطاكيا و طرابلس و قبرص ، و لكن لم يستجب أحد لهذا النداء إذ كان الصليبيون منشغلين بمشاكلهم الخاصة [4].

أما ملوك الأيوبيين بالشام فكان لا يجرؤ أحدهم على التدخل لمنع قوات الخوارزمية من الاستيلاء على مدينة القدس من الصليبيين ، و إلا تعرض لنقمة المسلمين جميعاً [5] .

---

[1] ابو الفداء، المختصر، ج3، ص209. المقريزي، السلوك، ج1، ص418. الحنبلي، شفاء القلوب، ص337 .

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص286 . صالح ، محسن ، الطريق إلى القدس ، ص119 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص123 .

[3] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص354 – 355.

[4] . Richard: LeRoyaume Latian, p.260.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص286 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص374 .

و قد استطاعت قوات الخوارزمية من اقتحام مدينة القدس في صفر 642 هـ / يوليـو 1244م ، و استولوا عليها بسهولة [1] ، ووقع القتال في الشوارع ، و بذل المجاهدون الـسيف في كل من في القدس من النصارى ، حتى أفنوا الرجال و سبوا النساء و الأولاد [2] ، و قتـل حاكم المدينة الصليبي و مقدم فرسان الإسبتارية و عدد كبير من الرهبان و الراهبـات الـذين شاركوا في القتال ، و كان أن انقطعت الإمدادات عن مدينة القدس من جانـب الـصليبيين ، فاستعان حاكم القدس الصليبي بالناصر داود ، ولكن الناصر داود كان لا يرغب فـي التـدخل لمصلحة الصليبيين [3] ، و في النهاية اضطرت حامية مدينة القدس التي اعتصمت بالقلعة إلى الاستسلام ، و طلبت من الناصر داود التوسط لهم ، مقابل تسليم القلعة ، فتوسط لهم و غـادر مدينة القدس حوالي ستة آلاف من رجال الفرنج الصليبيين و أطفالهم و نساؤهم [4] ، و بينمـا كان الفرنج يتحركون عل الطريق إلى يافا ، تطلعت جماعة منهم إلى الوراء ، فشاهدت أعـلام الفرنج و هي ترفرف على أبراج القدس ، فاعتقدوا أن نجدة صليبية قد وصلت إليهم ، فأصـر معظمهم على الرجوع إلى القدس ، غير أنهم و قعوا في كمين تحت أسوار المدينـة ، و هلـك

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص337 . ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص353 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص286.

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص355 . الجوابرة ، فاطمة ، موسوعة القدس ، ص207 .

[3] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص32-33. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص336-337. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص392 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص208 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص355 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص374 . الدباغ ، مصطفى ، بلادنا فلسطين ، ج9 ، ص223 .

[4] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص336 – 337 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص392 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص208 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيين و المماليك ، ص123 . عبد ا ، حمد ، بيت المقدس ، ص289 .

منهم ألفان ، و تعرض الباقون للمطاردة ، و لم يصل منهم إلى يافا سوى ثلاثمائة رجـل [1] ، و اقتحم الخوارزمية الأماكن المسيحية الدينية داخل بيت المقدس ، فـدمروا و أتلفـوا كنيـسة القيامة ، و قبر المسيح ، و ذبحوا رجال الدين المسيحيين الذين رفضوا مغادرة المدينة ، ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا عظام الموتى، و نهبوا المنازل و الدكاكين، كما أحرقوا الكنائس [2] .

و هكذا عادت القدس نهائياً إلى المسلمين ، و لم يدخل أبوابها جيش صـليبي إلا بعـد سبعة قرون [3] ، عندما قاد الجنرال اللنبي الهجمة الصليبية الحديثة ، و دخل المدينة المقدسـة سنة 1917م ليقول : " ها قد عدنا يا صلاح الدين " [4] .

بعد أن استعاد الخوارزمية بيت المقدس من الصليبيين ، اتجهوا نحـو غـزة للالتقـاء بالعسكر الذي أرسله السلطان الصالح نجم الدين بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس لمشاركتهم في ضرب قوات ملوك الشام و من ناصرهم من الصليبيين الذين خططوا لغزو مصر [5] ، و قـد اجتمعت القوات الخوارزمية مع الجيش المصري في غزة في حين أعد الصالح إسماعيل جيشاً من دمشق بقيادة المنصور إبراهيم صاحب حمص ، وسار إلى مدينة عكـا و انـضمت إليـه القوات الصليبية ، و ساروا نحو غزة ، و أتتهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك [6] ، وقد

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص337 . ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص353 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص355 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج3 ، ص392.

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص393 . عثمانة ، خليل ، فلسطين في العهدين الأيوبي و المملوكي ، ص150 – 151 . الجوابرة ، فاطمة ، موسوعة القدس ، ص207 .

[3] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص393 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص826 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص374 . عاشور ، فايد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين ، ص355.

[4] العسلي ، بسام و فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص209 .

[5] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص209 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص124 .

[6] المقريزي، السلوك، ج1، ص419. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص286. عاشور، فايد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبين، ص356 .

رفع الصليبيون على قوات دمشق و فوق رأس المنصور إبراهيم الصلبان [1] .

والتقى الجيشان عند قرية هربيا (لافوربيه) كما يسميها الفرنج ، التي تقع فـي الـسهل الرملي على بعد بضعة أميال شمال غزة[2]، في 12 جمادي الأول642 هـ/أكتوبر1244م[3]، و حلت بالصليبيين ومن حالفهم من عملاء المسلمين هزيمة ساحقة ، و قتـل معظـم قـادتهم وأسر بعضهم و هرب من هرب ، وقد قدر عدد القتلى من الصليبيين في هذه المعركة بـأكثر من ثلاثين ألفاً [4] ، بينما تم أسر حوالي ثمانمائة أسير" ولم يفلت منهم إلا الشارد النادر " [5] .

تعتبر معركة غزة من أهم المعارك الحربية الفاصلة في تاريخ الإمارات الصليبية [6] ، حيث دمرت جيوشهم تدميراً لم يشهدوه من قبل إلا في معركة حطين سنة 583 هـ/ 1187م ، حتى أطلق المؤرخون عليها اسم حطين الثانية[7] ، وقد وصف سبط ابن الجوزي هذه المعركة فقال: " كان يوماً عظيماً لم يجر في الإسلام مثله ولا في زمان نور الدين و صلاح الدين" [8] .

---

(1) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص148 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419.

(2) النويري ، نهاية الأرب ، ج6 ، ص305 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص394 . سكيك ، إبراهيم ، غزة عبر التاريخ الإسلامي ، ج2 ، ص65 . حمد ، أسامة ، إقطاعية بيسان ، ص127 .

(3) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص174 . غوانمة ، يوسف ، إمارة الكرك ، ص270 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص209 – 210 . صالح ، محسن ، الطريق إلى القدس ، ص119 .

(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص746 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص148. العارف ، عارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ص190 .

(5) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص174. ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج5 ، ص338 – 339. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص420 .

(6) Stevenson , The Crusaders in the East, p . 323.

الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص14 . على ، وفاء ، دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، ص174.

(7) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص827. عاشور، سعيد، الأيوبيون والمماليك، ص125. الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص14. عاشور، فايد، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، ص358.

(8) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص746 .

و بعد هذه المعركة سمح السلطان الصالح نجم للقوات الخوارزمية الاستقرار في الأملاك الصليبية المستردة و مهاجمة الحصون الصليبية ، حيثما يتم إعداد الجيش المصري الذي سيشترك معهم في مهاجمة دمشق ، فأخذت جموع الخوارزمية تغير على ممتلكات الصليبيين فهاجموا يافا ثم انصرفوا عنها حتى وصلوا قرب عكا [1] .

استمرت الحرب ضد الصليبيين بالشام ، و لكن الصالح نجم الدين عاد إلى مصر في عام 645 هـ / 1247م تاركاً فخر الدين بن الشيخ ، فقام فخر الدين بمحاصرة مدينة طبرية ، و شدد الحصار عليها ، حتى تمكين من فتحها عنوة ، و ذلك في 10 صفر 645 هـ / 17 يونيه 1247م [2] ، وقام بهدم كل ما بناه الصليبيون من تحصينات فيها ، و بقيت طبرية و بلادها مدمرة منذ استعادتها و حتى وفاة الصالح نجم الدين 647 هـ /1249م ، حتى لا يهاجمها الصليبيون مرة أخرى [3].

و بعد استرداد طبرية ، تحركت القوات المصرية باتجاه عسقلان بقيادة الأمير فخر الدين بن الشيخ حيث كان يدافع عن عسقلان الإسبتارية الذين عززوا الدفاع عنها بحامية قوية ، و قد صمدت استحكاماتها ، و دفاعاتها أمام شدة هجمات القوات المصرية التي شنتها حال وصولها المدينة [4] ، و في الوقت نفسه أمر الصالح نجم الدين بعض قطع الأسطول الأيوبي بحصارها من ناحية البحر ، حيث أبحرت خمس وعشرون سفينة حربية من قواعدها في مصر

---

(1) ابن شداد الحلبي ، الاعلاق الخطيرة ، ج2 ، ص134 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص211 .

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص766 . أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص180 . ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص214 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص429 .

(3) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 . ابن شداد الحلبي، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص134. العريني ، مصر في عصر الأيوبيين، ص138. الدويكات، فؤاد، إقطاعية طبرية، ص245. عبد الهادي، عادل، عسقلان، ص347 .

(4) الذهبي ، دول الإسلام ، ج2 ، ص111. طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص376 .المسحال ، حسن ، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ، ص204 .

متوجهة إلى عسقلان [1] ، و في المقابل طلبت حامية عسقلان الصليبية المساعدات من القـوى الصليبية في المنطقة و خارجها ، فوصلت عكا ثمان سفن كبيرة من قبرص تحمل مائة فارس ، كما وصلت عسقلان قوة بحرية صليبية مؤلفة من سبع سفن كبيرة ، و خمسين سـفينة خفيفـة تحمل المؤن و المقاتلين لتعزيز حاميتها [2] ، و قد قامت بذلك دون اعتـراض ، حيـث كـان الأسطول المصري الذي حاصر عسقلان قد تعرض لعاصفة شديدة على المنطقة أدت إلى تحطم عدد كبير من سفنه ، فأجبرت بقية السفن على الانسحاب إلى مصر [3] ، و على الرغم مما قام به الأسطول بإعادة تموين المدينة بما تحتاجه من المؤن، و إنزال المقاتلين إلى الساحل، إلا أن سوء الأحوال الجوية حرمته من البقاء أمام عسقلان بسبب عدم وجود ميناء آمن فانسحب إلـى عكا [4] .

و عندما شاهدت القوات المصرية ما حل بسفنهم، قاموا بجمع حطام السفن و أخشابها ، و صنعوا منها بعض المتاريس ، و المنجنيقات و غيرها من آلات الحصار، حيث نجحوا فـي صنع أربعة عشر منجنيقاً ، استخدموها في رمي أبراج و قلعة عسقلان بالحجـارة الـضخمة ، فأطلق الصليبيون وابلاً من السهام النارية باتجاهها ، حيث نجحت في تدمير اثنـين مـن تلـك المنجنيقات كما اشتعلت النار في المتاريس ، التي كان يحتمى بها المقاتلون [5] ، ثم قـدم إلـى

---

(1) كلود كاهن ، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية ، ص303 . عبد الهادي ، عادل ، عسقلان ، ص348 .

(2) King, the Knights Hospitallers in the Holly Land, p.240.
المسحال ، حسن ، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ، ص204 .

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص363-364. ص399 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص212 . المسحال ، حسن ، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ، ص204 .عبد الهادي ، عادل ، عسقلان ، ص384 . طقوش ، محمد ، تاريخ الايوبيين ، ص376 .

(4) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص399 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص212 . المسحال ، حسن ، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ، ص204 .

(5) كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص303. عبد الهادي، عادل، عسقلان، ص349-348 .

ميناء عسقلان أسطول صليبي أخر مؤلف من اثنتي عشرة سفينة حربية ، محملـة بـالمؤن و العتاد و المقاتلين ، فتشجع صليبيو عسقلان على الخروج من تحصيناتهم ، و شنوا عدة غارات على معسكر الأيوبيين و قتلوا أعداداً كبيرةً منهم ، فاضطر المصريون إلى حفر خندق من حول معسكرهم ليحميهم من غارات صليبي عسقلان المفاجئة [1] .

و في العاشر من جمادي الأول سـنة 645 / 13 سـبتمبر 1247م قامـت القـوات المصرية بهجوم على عسقلان ، و اشتبكوا مع القوات الصليبية في معارك عنيفة ، و ركـزوا هجومهم على ساحل المدينة ، و استولوا على جزء منه بعد قتال عنيف ، تكبد خلاله الطرفـان عدداً كبيراً من القتلى ، ثم عادت القوات المصرية إلى خنادقهم [2] .

و في اليوم التالي شرعت القوات المصرية في نقب أحد أبراج عـسقلان ، و بعـد أن أحدثوا فيه عدداً من الثقوب ، حشوها بكميات من الأخشاب و الأعشاب و أشعلوا فيها النيران ، ورغم أن الصليبيين تنبهوا لذلك ، و قاموا بإطفاء النيران ، إلا أن أجزاء كبيرة مـن البـرج المحروق انهارت في اليوم التالي ، و سقط تحت أنقاضه أثنى عشر فارساً صليبياً ، فاستبـسل الصليبيون في الدفاع عن البرج المدمر ، و منعوا المصريين من الاقتراب منه [3] .

تابعت القوات المصرية حصارها لمدينة عسقلان ، و أرهقوا المدافعين عنهـا ، حتـى وقع نزاع شديد بين من بها من الصليبيين ، سيما الداوية و الإسبتارية – حول جدوى استمرار المقاومة ، فاستغل فخر الدين بن الشيخ هذه الفرصة ، و شن هجوماً شاملاً على امتداد أسـوار

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص766. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6، ص317. عبد الهادي ، عادل ، عسقلان ، ص349 .

[2] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص766 . كلود كاهن ، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية ، ص303 . عبد الهادي ، عادل ، عسقلان ، ص349 .

[3] ابن واصل، مفرج الكروب، ج5،ص363-364. كلود كاهن ، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية ، ص303-304.

عسقلان ، و قام النقابون بنقب أسوار المدينة ، حتى انهار جزء منهـا [1] ، فهـرع صـليبيو عسقلان للدفاع عن الجزء المنهار من السور ، و منعوا المصريين من الاقتراب منه ، فتسللت كتيبة من الجيش المصري إلى البرج المحروق واستولوا عليه، وأخذوا يهللون ويكبرون ممـا أدخل الرعب والهلع في نفوس من بعسقلان من الصليبيين، الذين أدركوا عدم جدوى المقاومة، فهربوا باتجاه البحر، وركب قسم منهم على ظهر السفن الموجودة قبالة الساحل، حتى امـتلأت بهم، وحاول قسم أخر التشبث بالسفن طلباً للنجاة، فخاف بحارتها من الغرق، فقاموا بقطع أيدي هؤلاء بسيوفهم،وأبحرت بهم السفن إلى كل من عكا و قبرص[2] .

و استطاعت القوات المصرية بقيادة فخر الدين بن الشيخ من دخول عسقلان في أواخر جمادي الآخرة 645هـ/ منتصف أكتوبر1247م[3]، ثم قامت القوات المصرية حسب الأوامر الصادرة من الملك الصالح نجم الدين بتدمير عسقلان، وهدم أسوارها، حيث أصـبحت خرابـاً موحشاً[4]، غير صالح للسكن، ترتب على عودة عسقلان للمسلمين ضعف الصليبيين في الشام وتعزيز قوة الدولة الأيوبية وسلطانها الصالح نجم الدين ولذلك عاد الأسطول المـصري إلـى قاعدته الرئيسية إلى جنوب الشام وعسقلان [5]،وعلى الرغم من هذا الانتصار العظـيم الـذي حققه المصريون عند عسقلان إلا أن الصالح نجم الدين لم يستغله في القضاء على الـصليبيين، بل نراه يتجه إلى بيت المقدس، حيث أمر بتعمير أسوارها، ثم بعد ذلك اتجه إلى دمشق، حيـث

---

(1) كلود كاهن ، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية ، ص304 . عبد الهادي، عادل، عسقلان، ص350 .

(2) كلود كاهن ، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية ، ص304 .عبد الهادي ، عادل ، عسقلان ، ص350 .

(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص766 . أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص180 .النويري ، نهاية الأرب،ج29،ص326.عاشور، سعيد، الحركة الصليبية،ج2، ص829. عبد ا ، حمد، بيت المقدس، ص290 .

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص378 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص212. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص400. المسحال، حسن، عسقلان في فترة الحروب الصليبية،ص205 .

(5)رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج3،ص400.المسحال، حسن،عسقلان في فترة الحروب الصليبية،ص205 .

أقام بها طوال فصل الشتاء من سنة 646هـ/ 1248م إلى ربيع سنة 647هـ/ 1249م وقـدم عليه كل أمراء الشام يبذلون له الولاء والطاعة[1].

وهكذا استطاع السلطان الصالح نجم الدين من استعادة معظم المدن الفلسطينية و ترجيح كفة المسلمين ، و انحسرت حدود الصليبيين إلى أبواب يافا .

(1) ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص36. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص378. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص320 .

الفصل الرابع

الحملة الصليبية السابعة و مواجهة نجم الدين لها

- أسباب الحملة على مصر .
- وصول الحملة إلى دمياط و المقاومة الشعبية لها.
- وفاة نجم الدين و دور شجر الدر في مواصلة مواجهة الصليبيين .
- فشل الحملة و انسحابها .

- **أسباب الحملة على مصر :**

تعرضت مصر في منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، لحملة صليبية كبيرة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا [1] ، و لم تكن فكرة إرسال حملة صليبية إلى مصر بـالفكرة الجديدة على أوروبا في ذلك الوقت ، بل كانت الفكرة سائدة في أوروبا المسيحية منذ أواسط القـرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي حتى وصلت إلى طور النضج و الاكتمال في حملة لويس التاسع [2] ، وكان الاعتقاد السائد في أوروبا أن مصر هي المركز الاستراتيجي الحـامي للجبهـة الإسلامية ضد الصليبيين في بلاد الشام ، و أن مصر هي المنبع الرئيسي لتمويل الجبهة الإسـلامية بالمال و العتاد و الرجال ، و أنه مادامت مصر باقية على ما هي عليه من القوة و البـأس فـإن مشاريع الصليبيين في الشام فاشلة لا محالة ، و لا بد من حرمان الجبهة الإسلامية من تلك القاعدة الحربية الهامة [3] .

و أصل تلك الفكرة عمورى الأول صاحب الحملات المشهورة التي مهدت للدولة الأيوبيـة في مصر ، و اتخذها حنا دي ابلين ملك بيت المقدس محور سياسته و حملته الفاشلة التي داهمـت الشواطئ المصرية سنة 615هـ ـ / 1218م زمن السلطان الكامل كما جعلها لويس التاسع وسيلة لتحقيق غاياته و أحلامه الصليبية [4] ، ولم تخف تلك الحقيقة على المـؤرخ ابـن واصـل حيـث

---

(1) أبو الفداء، المختصر، ج3، ص216. الحنبلي، شفاء القلوب، ص339 .

(2). King : The Knights Hospitallers in the Holy Land, p 242 .

جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص45 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص28 .

(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص452. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي علـى بـلاد الـشام ، ص45 . العبادي ، أحمد ، قيام دولة المماليك ، ص101 . زيادة ، محمد ، حملة لويس التاسـع ، ص94. كاشـف ، سـيدة إسماعيل ، و آخرون ، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، ص385 – 386 .

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص351. المقريزي، السلوك، ج1، ص309.

قال:"إن ملك فرنسا ريدافرانس حدثته نفسه بأن يستعيد البيت المقدس إلـى الفـرنج إذ هـو بيـت معبودهم على ما يزعمون ، و علم أن ذلك لا يتم إلا بملك الديار المصرية " [1].

أما عن أسباب هذه الحملة فكثيرة و متشعبة ، فهناك أسباب رئيسية جوهرية تنطوي على الدوافع الحقيقية لقيامها ، كما أن هناك عوامل محلية ثانوية ساعدت في إخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ. و لعل أهم الدوافع الحقيقية التي أثارت شعور الملك الفرنسي لويس التاسع بصورة خاصة و الغرب الأوروبي بصورة عامة ، و حفزت الجميع للثأر هي :

1 ـ حالة الضعف و الانهيار التي أصيب بها الصليبيين في الشرق، فكانت بيت المقـدس معلقة مضطربة ، و ظلت تتأرجح بين المسلمين و الصليبيين حتى حررها الصالح نجم الدين نهائياً و بمساعدة الخوارزمية سنة 642هـ / 1244م [2] .

2 ـ التنكيل بسكان بيت المقدس من النصارى ، حيث قامت الخوارزمية بكثير من الفظائع و أعمال السلب و النهب، و بذلوا السيف بمن كان بها من النصارى حتى" أفنوا الرجـال و سـبوا النساء و الأطفال، و هدموا المباني، ونبشوا قبور النصارى و أحرقوا جثثهم" [3] .

3 ـ إنزال المسلمين ضربات قاسية بباقي الممتلكات الصليبية في بلاد الشام تمثل باستعادة الصالح نجم الدين لمدينة طبرية و عسقلان سنة 645هـ / 1247 م حتى أصبحت باقي ممتلكاتهم و معاقلهم مهددة بالخطر و الضياع [4] .

---

[1] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص351.

[2] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص32-33. ابو الفداء، المختصر، ج3،ص209. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص148-149. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419 . الحنبلي، شفاء القلوب، ص337.

[3] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص419. جوزيف ، نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ص47. طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص30 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص364.

[4] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص766. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص36. أبو الفـداء، المختـصر، ج3، ص214. المقريزي، السلوك، ج1، ص430.

أما فيما يتعلق بالأسباب الثانوية فلعل أهمها :

1 ـ لقد أصيب الملك الفرنسي لويس التاسع بحمى ملارية شديدة كادت تودي بحياته في أواخر سنة 642هـ / 1244م، و نذر أن يخرج على رأس حملة صليبية من فرنسا إذا هو شفي من مرضه ، و لما تم شفاؤه، أعلن عزمه على الوفاء بنذره وحمل الصليب والذهاب لغزو الأراضي المقدسة إيماناً منه بأن ا من عليه بالشفاء ليقوم بهذه المهمة التي كرس حياته من أجلها[1] .

2 ـ يرى بعض المؤرخين أن الملك الفرنسي حمل الصليب ، و تعهد بالقيام بحرب مقدسة لإنقاذ صليبي الشرق ، أثر رؤيا ظهرت له أثناء مرضه ، فحواها أنه رأى في منامه شخصين يتقاتلان ، أحدهما مسلم و الآخر مسيحي ، و قد انتصر المسلم على المسيحي ، ففسر هذه الرؤيا بحاجة صليبي الشرق إلى المساعدة ، و أن ا أناط به هذه المهمة [2] .

3 ـ كان للآثار و الذخائر الدينية المقدسة التي حصل عليها لويس التاسع من حنادي ابلين،الملك الاسمى لبيت المقدس، و بلدوين الثاني ، إمبراطور القسطنطينية اللاتيني ، أثر غير مباشر دفعه للقيام بحملة على مصر من أجل استعادة بيت المقدس [3] .

4 ـ نتيجة لوقوع الكوارث بالصليبيين في الشرق، فقد أرسل هؤلاء الرسل إلى الغرب الأوروبي يستنجدون به، وأنذروا الأوروبيين باحتمال ضياع ما تبقى من ممتلكاتهم إذا لم يلبوا نداء الاستغاثة [4] .

---

[1] جوانفيل، مذكرات، ص61-65. جوزيف ، نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص48 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ،ج3 ، ص439 . الحميدة ، سالم ، الحروب الصليبية ، ج4، ص260.عمران، محمود، تاريخ الحروب الصليبية، ص305. غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون ، ص103.

[2] King: The Kinghts Hospitallers in Holy Land, p.238.

[3] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص32-33. الحنبلي، شفاء القلوب، ص337 .

[4] أبو الفداء، المختصر، ج3، ص214. المقريزي، السلوك، ج1، ص419 .

5 ـ ساند البابا أنوسنت الثالث مشروع لويس التاسع فدعا إلـى الاشـتراك فـي الحملـة الصليبية السابعة ، خشية من أن يطغى نفوذ الملك الفرنسي ، الذي اشـتهر بـالورع و التقـوى و عرف بمواقفه الحازمة حيال الكنيسة و رجال الدين ، على نفوذه كرجل دين و رئيس أعلى للكنيسة اللاتينية [1].

و لقد حدث عقب معركة غزة سنة 642 هـ / 1244م ، أن أرسل روبرت بطريرك بيت المقدس ، سفارة إلى الغرب الأوروبي مؤلفة من واليران ، أسقف بيروت ، و ألبـرت ، بطريـرك أنطاكيا ، لتشرح للبابا أنوسنت الرابع خطورة الموقف في بلاد الشام ، و تطلـب منـه المـساعدة العاجلة ، حتى لا يتعرض الصليبيون للفناء [2] .

و في سنة 643 هـ/ 1245م ، عقد البابا أنوسنت الرابع مجمعاً في مدينة ليون الفرنسية ، لمناقشة أحوال الصليبيين في الشرق و هزائمهم المتكررة على أيدي المسلمين، و تعرض المـؤتمر لمسألة فلسطين ، فأوضح واليران أسقف بيروت النكبات التي حلت على اللاتين في أرض الميعاد ، و ذكر كيف فقد الفرنج بيت المقدس وغيرها من البلاد التي كانوا يمتلكونها في الشرق، كما تكلـم غيره عن الفظائع التي اقترفها الخوارزمية ضدهم في بيت المقدس [3] .

و صدر عن المؤتمر عدة قرارات كان من بين هذه القرارات إرسال حملة صـليبية إلـى الشرق و إسناد قيادتها إلى الملك لويس التاسع ملك فرنسا لتدارك الموقف قبل فوات الأوان [4] .

و لكن الصراع دب مرة أخرى بين البابوية و الإمبراطورية ، الأمـر الـذي حـال دون اشتراك ألمانيا و ايطاليا في مشروع الحملة الصليبية الجديدة، أما انجلترا التي كان علـى رأسـها

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص745-746. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ص56 .
[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص148. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص286.
[3] ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص32-33 . المقريزي، السلوك، ج1، ص419. الحنبلي، شفاء القلوب، ص337.
[4] أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص120. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص832 .

هنري الثالث فكانت غارقة في مشاكلها الداخلية ، لذا لم يكن لديه من الحماسة الصليبية أو الشجاعة الشخصية ما يدفقه للاشتراك في هذه الحملة [1] .

وقد أخذ لويس التاسع يحث البابا أنوسنت الرابع على إرسال مندوبين عنه للتبشير بالحملـة في ربوع أوروبا ، فأرسل البابا مندوباً عنه يدعى أدون دي شاترو للتبشير في فرنسا ، كذلك انتشر بعض الدعاة للحملة في مختلف أنحاء أوروبا داعين لها [2] .

و قد كانت الاستجابة في فرنسا أكثر من أي بلد أوروبي آخر ، خاصة و أن ملكها لـويس التاسع أخذ على عاتقه مهمة النهوض بهذه الحملة ، و عقد في سنة 645 هـ ـ / 1245م مجمعـاً كبيراً حضره مندوب البابا و كبار رجال المملكة و رجال الدين ، و خطـب الملـك لـويس فـي الحاضرين يحثهم على حمل الصليب و تقييد أسمائهم في سجل الحـرب المقدسـة ، وبـدأ بنفـسه و سجل اسمه في سجل الحرب المقدسة [3] ، و اقتدى به الكثيرون ، و على رأسهم إخوته الثلاثـة روبرت كونت ارتو وشارك كونت أنجو والفوس كونت بواتيه ، وجوانفيل مؤرخ هذه الحملة وأحد فرسانها [4] .

و يقال أن الملك لويس لجأ إلى حيلة ذكية من أجل أن يكسب في هذه الحملة أكبـر عـدد ممكن من نبلاء و بارونات مملكته ، حيث كان من عادة لويس أن يقدم الهدايا إلى كبار رجال دولته في عيد الميلاد من كل عام ، و في ليلة عيد الميلاد لسنة 645 هـ / 1245م دعاهم كعادته فـي كل عام و أهدى كلاً منهم وشاحاً كان عليه علامة الصليب ، و حين ارتدوا هذه الأوشـحة و رأوا

---

[1] زيادة ، محمد ، حملة لويس التاسع على مصر ، ص90 – 92 .

[2] غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية و الصليبيون، ص105. عمران، محمود، تاريخ الحروب الصليبية ، ص306. جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، ص57 – 58 . السيد ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص170.

[3] جوزيف ، نسيم العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص50 –51 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص125 – 126 .

[4] جوانفيل، مذكرات، ص 81. السيد ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص17 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص125 – 126 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية، ص105.

علامة الصليب ، غمرتهم السعادة و لم يجدوا بداً من تنفيذ رغبة مليكهم و انخرطوا جميعهم في سلك الحملة الصليبية الجديدة [1] .

أخذ لويس التاسع يعد العدة لحملته الصليبية حوالي ثلاث سنوات [2] ، و قد لاقته ثلاث صعوبات مهمة قبل تحركها و هي :

1- شعور الإمبراطور فردريك الثاني الذي كان له علاقات حسنة مع الحكام الأيوبيين في مصر زمن الملك الكامل أن من واجبه إخبار الملك الصالح نجم الدين سلطان مصر بخبر الحملة ووجهتها [3] .

2- معارضة البنادقة الذين كانت لهم علاقات تجارية واسعة في مصر و قد قدروا أن توجه الحملة الصليبية السابعة إلى مصر سوف يحرمهم من التجارة معها [4] .

3- احتياج الملك لويس التاسع للسفن التي تنقل قطعانه عبر البحر الأبيض المتوسط[5]، لكن رغم هذه الصعوبات و العقبات التي واجهت الملك لويس التاسع، إلا أنه قام بتجهيز أسطول كبير لنقل الجنود و العتاد عبر البحر بعد ما تقرر استبعاد الطريق البري حتى يضمن نجاح حملته ، و استأجر عدداً من السفن من جنوه و مرسيليا لهذا الغرض [6] ، كما عمل لويس التاسع على توفير العتاد و المؤن فضلاً عن المال لتغطية نفقات الحملة ، و استعان بالبابا في هذا الصدد لأن

---

[1] أرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص121 . جوزيف ، نسيم ، العدوان الصليبي على مصر، ص60. غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص105.

[2] زيادة ، محمد ، حملة لويس التاسع على مصر ، ص89 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص379 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص441 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص832 .

[3] المقريزي، الخطط، ج1، ص219 .

[4] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج2، ص60 .

[5] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص442 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص379 .

[6] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص60 – 63 .

البابا ، هدد بإنزال قرارات الحرمان على كل من يخالف التعليمات التي أصدرها من أجـل إعـداد الحملة [1] .

بعد أن انتهى لويس التاسع من المشاكل الخاصة بالنقل و التموين و موارد الحملة ، عمـل على تنظيم شئون مملكته و أقرار الأمن و النظام بداخلها قبل سفره ، و أناب عنه في الحكم والدتـه الملكة بلانش ، ثم استدعى بارونا ته و كبار رجال مملكته في باريس ، حيث اقسموا له يمين الولاء و الطاعة ، متعهدين بالمحافظة على البلاد و الإخلاص لأبنائه الصغار ، و عدم التفكير في خيانته أو اغتصاب ملكه أثناء تغيبه عن فرنسا [2] .

غادر لويس التاسع باريس في ربيع الآخر عـام 646 هـ ـ / يونيـو 1248م ، و كـان بصحبته زوجته مرجريت و شقيقه شارك كونت أنجو و روبرت كونت أرتوا ، أما شـقيقه الثالـث الفوس كونت بواتييه فقد ظل بفرنسا يقوم بجمع جموع أخرى ووعد باللحاق بالحملة فيما بعد علـى رأس هذه الجموع [3] .

و هكذا أخذت هذه الحملة طابعاً فرنسياً بحتاً ، فزعيمها ملك فرنسا ، و المـشاركون فيهـا غالبيتهم من الفرنسيين ، مما جعلها بعيدة عن الصبغة الدولية ، فضلاً عـن أنهـا اتخـذت طابعـاً استعمارياً فرنسياً ، فكانت أداة ووسيلة لتدعيم النفوذ الفرنسي في الشرق ، و هذا الطابع الفرنـسي

---

[1] عمران ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص306 – 307 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص60 – 63 .

[2] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص63 – 64 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص23 . عمران ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص307 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص106 .

[3] جوا نفيل ، مذكرات ، ص81 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص106 . السيد ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص171 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص51 – 52 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص214 . ملحق (2).

هو الذي برز منذ الحملة الصليبية الأولى[1]،مما جعل الشرق الصليبي يرحب بقدوم لويس التاسع ، و لاسيما قبرص التي أصبحت فرنسا الجديدة تحت حكم آل لوز جنان [2] .

وقف الإمبراطور فردريك الثاني ، موقفاً غريباً من حملة لويس التاسع على مصر ، بالرغم من أنه صاحب المصالح الكبرى في بلاد الشام، باعتباره والد كونراد الوريث الشرعي لمملكة بيت المقدس ، و رغم أن لويس التاسع وقف على الحياد في النزاع بين البابوية و الإمبراطورية ، بـل عمل على الصلح بين الطرفين، ولكن الإمبراطور فردريك الثـاني ظـل علـى علاقـات الـود والصداقة مع الصالح نجم الدين كما كان من قبل مع والده الكامل [3] .

و ذكرت المصادر أن الإمبراطور فردريك الثاني أرسل إلى الصالح نجم الـدين رسـولاً متخفياً في زي تاجر يخبره أن لويس التاسع عازم علـى الـسير بجحافلتـه إلـى أرض مـصر لامتلاكها[4]. و يقول المقريزي : " و نزل الصالح أيوب بقلعـة دمـشق ، فـورد عليـه رسـول الإمبراطور ملك الفرنج الألمانية بجزيرة صقلية في هيئة تاجر ، و أخبره بأن بواش الذي يقال لـه رواد فرنس " لويس التاسع " عازم على السير إلى أرض مصر و أخذها " [5] .

و ذكر ابن أيبك عن حركة لويس التاسع " لما أحس الانبرور (فردريك) كتب كتاباً إلـى السلطان الملك الصالح يعرفه بوصول الفرنسيس إليه و هو طالب لثغر دمياط ، و هذا الفرنـسيس يسمى الريدافرس ، ثم قال الانبرور في كتابه للسلطان أنه قد وصل في خلق كثير ، و قد اجتهدت

---

(1) عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص832 – 833 .

(2) عاشور ، سعيد ، قبرص و الحروب الصليبية ، ص43 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص214. غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية و الصليبيون، ص117. العبادي، احمد، التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص89.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص15 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص364 .

(4) ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص366 . المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص219 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص108 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص126 . قاسم ، عبده قاسم ، الأيوبيين و المماليك ، ص134 .

(5) المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص219 .

غاية الاجتهاد على رده عن مقصده و خوفته فلم يرجع لقولي ، فكن منه على حذر " [1] .

و هكذا بدأ لويس التاسع حملته إلى الشرق في جو تحيطه الخيانة و الدسيسة ، لا سيما و أن البنادقة و هم أكبر قوة بحرية في حوض البحر المتوسط في ذلك الوقت عارضوا فكـرة مهاجمـة مصر، نظراً للروابط و المعاهدات التجارية التي ربطتهم بها ، فضلاً عـن مـصالحهم الـضخمة التجارية بها خاصة في الإسكندرية [2] .

وصلت حملة لويس التاسع إلى ميناء ليماسول في قبرص في ربيع الآخر 646 هـ ـ / 17 سبتمبر 1248م [3] ، حيث نزل الملك لويس و زوجته الملكة مرجريت في ضيافة هنـري الأول لوز جنان ملك قبرص و رجاله و هناك وفد على الملك لويس التاسع من عكا نائب مقـدم طائفـة الفرسان الاسبتارية ، و مقدم طائفة الفرسان الداوية ، و كثير من الشخصيات الصليبية [4] .

عقد الملك لويس التاسع اجتماعاً لكبار قواده ، و بعد مناقشة الموقـف مـن قبـل القـادة الصليبيين وافق الجميع على أن تكون مصر هدفاً للحملة الصليبية السابعة، لأن مصر أخصب أقاليم الدولة الأيوبية [5] ، و هي المورد الاستراتيجي الحامي لظهر الحركات الحربية الإسلامية ، ضـد الصليبيين ببلاد الشام ، و هي المورد الوفير لتغطية هذه الحركات بالمال و الرجال [6] .

و بعد أن تقرر أن تكون مصر هي هدف الحملة الصليبية السابعة فقد قررت القيادة

---

(1) ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص366 .

(2) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج2، ص60.عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص834 .

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص13. الحنبلي، شفاء القلوب، ص339. جوا نفيل ، مذكرات ، ص81 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص444 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص835 .

(4) الحنبلي، شفاء القلوب ، ص 393. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص445. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص52 . نصرا ، سعدون، رحيل الصليبيين عن الشرق، ص17. حسين ، حمدي، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص127 .

(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص452 .

(6) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص452. حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص127 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص365 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص18 .

الصليبية أن تكون دمياط الهدف الأول لنزول القوات الصليبية للأسباب الآتية :

1- وقوع مدينة دمياط بين مصب فرع دمياط و بحيرة المنزلة و ساحل البحـر الأبـيض المتوسط مما سيجعل الدفاع عنها سهلاً بعد احتلالها و ذلك لكونها محاطة بالمياه من جميع جوانبها و متصلة بالبحر الذي كان الصليبيون مسيطرين عليه [1] .

2- موقع دمياط جعلها تصبح أقرب الموانئ المصرية المهمة إلى المنطقة الجنوبية من بلاد الشام و إلى الإمارات الصليبية الواقعة على سواحل البحر المتوسط، كما جعلهـا أقـرب المـوانئ المصرية إلى بيت المقدس الهدف الرئيسي للحملة الصليبية السابعة [2] .

3- كون موقع مدينة دمياط قد جعلها تصبح سوقاً تجارية تنقل إليها البضائع مـن الـشرق عن طريق البحر الأحمر و نهر النيل و منها توزع إلى الموانئ الأوروبية و الأناضول و جزيـرة قبرص [3] .

و عندما تم الوصول إلى الاتفاق بصدد هدف الحملة ، أراد لويس التاسع أن يشرع فوراً في الأعمال العسكرية ، لكن مقدمي الداوية و الاستبارية ، و الأمراء الصليبيين في الـشرق ، أقنعـوه بضرورة التمهل و التريث ، فقد اقترب موسم العواصف الشتوية ، و بات من الخطر الاقتراب من شاطئ الدلتا بسبب كثرة العوائق الرملية بالإضافة إلى قلة الموانئ [4] .

---

[1] ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ج1، ص93 . الحميدة ، سالم ، الحروب الصليبية ، ج4 ، ص263.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص63 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص331.

[3] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص445 .

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص331. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص445 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص214 ، طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص380 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص128 . الحميدة ، سالم ، الحروب الصليبية ، ج4 ، ص263 .

مكثت الحملة في قبرص حوالي ثمانية أشهر من سبتمبر 1248م إلى مـايو 1249م [1] ، و خلال هذه الفترة حصلت الحملة على كميات كبيرة من التموين سواء من النبيذ أو من الغلال [2] ، فضلاً عن القوات التي انضمت إليها من عكا ، و لاسيما زعماء الداوية و الاستبارية [3] .

و لكن هذه الفترة الطويلة التي أمضتها الحملة في قبرص قد عاد عليها بكثير من الضرر ، فقد استنفذوا مؤونتهم ، و لم يستطيعوا مغادرة قبرص إلا بعد تدبير المؤن اللازمة لهم من جديـد ، كما نفذت أموالهم التي كانوا جمعوها قبل سفرهم للصرف على أنفسهم في الشرق ، حتى أن الملك لويس اضطر إلى إمداد عدد كبير منهم بالمال اللازم، و كذلك تسرب أخبار الحملة إلى الـسلطان الصالح نجم الدين مما أتاح فرصة الاستعداد لمواجهة الحملة [4] .

و يذكر مؤرخ الحملة جوانفيل أن الغرض من قضاء الحملة فصل الشتاء في قبـرص هـو الاستفادة من عنصر المفاجأة في مهاجمة مصر ، و تجنب أعاصير الشتاء ، و الانتظار في قبرص حتى تسنح له الفرصة المناسبة لمباغتته الصالح نجم الدين [5] .

و من الملاحظ أن لويس التاسع قد أخطأ في المكوث هذه المدة الطويلة في قبرص و لو أنه اتجه مباشرة إلى مصر دون تلكؤ لفاجأ الصالح نجم الدين و قواته قبل أن يتم استعداداته لمواجهـة الحملة ، و من الملاحظ أيضاً هذه المدة الطويلة قد أضرت بالحملة أكثر مما أفادتها حيث أفقـدتها عنصر المفاجأة .

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص329. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص68 . جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام ،ص52 . عمران ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص307 .

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص330. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص835 . عاشور ، سعيد ، قبرص والحروب الصليبية، ص43 .

[3] العروس، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، ص118. عاشور، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص835 .

[4] جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، ص74– 76.جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص54.

[5] جوا نفيل ، مذكرات ، ص90 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص380 .

لقد حاول لويس التاسع الاستفادة من وقته في قبرص ، فأصلح بـين الفرسـان الهيكليـين و الاسبتاريين و بين الجنَويين و أهل بيزا المقيمين في عكا [1] ، كما اتصل بالمغول ، حيث استغل فرصة وصول مبعوثان نسطوريان ، و هما مرقص و داود ، قالا أنهما سفيرين من القائد المغولي الجيهيداني ، الذي كان مندوباً سامياً للخان الكبير في الموصل ، و حملهما رسـالة يعـرض فيهـا الجيهيداني استعداده للمساهمة مع الفرنسيين في انتزاع بيت المقدس و فلسطين بأجمعها من أيـدي المصريين ، و رغبة في التحالف معهم ضد أعدائهم المسلمين [2] .

سر لويس التاسع بذلك و رد عليه ببعثة من رهبان دو منيكانيين ، برئاسة اندرو لو نججيمو و أخيه وهما يحسنان اللغة العربية، و غادرت البعثة من قبرص في مطلع 646 هـ/ 1249م[3] ، فوصلا إلى مقر الخان الأعظم بمدينة قرا قورم بعد وفاته ، فاستقبلتهما أرملته قـايميش ، فعـادوا بخطاب شكر ووعد بعرض مشروع الحلف الصليبي المغولي على الخان الجديد ، و لم تعد البعثـة مرة أخرى إلا في سنة 1251م ، أي بعد انتهاء حملة لويس على مصر و رحيله هو و قواته إلى فلسطين [4] .

كان الصالح نجم الدين في بلاد الشام عندما وصلت إليه الإنبـاء بتحركـات الـصليبيين ، فأسرع بالعودة إلى مصر و نزل بأشموم طناح [5] في محـرم 647 هـ ـ / مـايو 1249م [6] ،

---

[1] نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص18 – 19 .

[2] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص68 – 69 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص447 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص18 .

[3] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص448 .

[4] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص72 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص448 .

[5] إحدى المدن المصرية القديمة و هي تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الصغير الذي كان يسمى حينذاك بحر أشموم نسبة إلى هذه المدينة : الحموي، معجم البلدان،ج1،ص200 .

[6] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437 . قاسم ، عبد قاسم ، الأيوبيين و المماليك ، ص134 . الشيال ، جمال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ج2 ، ص95 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص54 – 55 .

ليكون في مقابلة الصليبيين إذا وصلوا إلى دمياط [1] ، و لا شك أن الصالح نجم الدين استفاد كثيراً من التحذير الذي أرسله إليه الإمبراطور فردريك الثاني ، و عمل على أدراك كل نقص في الـدفاع عن دمياط مستفيداً من تجارب حصارها السابق في عهد أبيـه الكامـل [2] ، فـدعم حـصونها ، و زودها بالميرة و الذخيرة و آلات الحرب [3] ، و عهـد إلـى طائفـة مـن بنـي كنانـة [4] ، والمشهورين بشجاعتهم ، بحماية المدينة من الداخل [5] ، ثم أوفد الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ مقدم العساكر على رأس جيش إلى البر الغربي لدمياط ليحول بين الصليبيين نزولهم أرض مصر ، كذلك أصدر الصالح نجم الدين أوامره إلى نائبه حسام الدين بن أبي علي الهذباني أن يجهز السفن الحربية من الشواني [6] المصرية الصنع ، فشرع في العمل و سيرها إلى حيـث يحتاجهـا الجيش [7] .

وهكذا استطاع نجم الدين من إتمام جميع استعداداته وتجهيزاته لمواجهة الحملـة الـصليبية السابعة.

---

[1] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص292.

[2] ابن أيبك، كنز الدرر، ج7، ص366. المقريزي، الخطط، ج1، ص219.

[3] ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص366 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437 . الحروب ، محمد ، دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي ، ص51 .

[4] هي إحدى القبائل العربية التي استقرت بمصر من بقايا العرب الذين وفدوا إليها و شهدوا الفتح الإسلامي لها على يد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب : القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص146 .

[5] ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج2 ، ص176 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص339 . .

[6] مفرد شيني أو شونه ، و تمتاز بالطول و تجدف بـ 143 مجداف ، و مزودة بأبراج و قلاع للدفاع و الهجوم ، حتى أصبحت تشبه القلاع البحرية ، تحاصر العدو و ترميه بالنفط و تحطم سفنه بقوتها وهي مزودة بمخازن للقمح و صهاريج للماء العذب ، مما يساعد بحارتها على البقاء أطول مدة ممكنة في عرض البحر : المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص194 – 195.

[7] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص292 . الشيال ، جمال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ج 2 ، ص95 – 96 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص55 . السيد ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص171 – 172 .

- وصول الحملة إلى دمياط و المقاومة الشعبية لها :

أبحر لويس التاسع بحملته من ميناء ليماسول في صفر 647 هـ / مايو 1249 م [1] ، متجهاً نحو السواحل المصرية بعد أن انضمت إليه معظم القوات الصليبية بالشرق و في مقدمتها هنرى الأول لوز جنان ملك قبرص ، على رأس ألف من الفرسان (2) .

في ذلك الوقت كانت الدولة الأيوبية تعاني من الصراع نتيجة لاستيلاء الناصر يوسف صاحب حلب على حمص [3] ، و انشغل الصالح نجم الدين في هذا الصراع بعد أن استنجد به الأشرف موسى صاحب حمص فترة من الزمن، حتى أنه حاول استرداد حمص من الناصر يوسف، و لكنه اضطر إلى إنهاء هذا الصراع بعقد صلح مع الناصر يوسف ، و التفرغ لمواجهة الحملة الصليبية السابعة [4] .

وقد أراد فرسان الداوية استغلال تلك الظروف التي ألمت بالبيت الأيوبي للحصول على بعض المكاسب في بيت المقدس إلا أن لويس التاسع عارض ذلك و حذر الداوية من القيام بأي اتصال مع المسلمين بالشام ، و رأى لويس التاسع أن الطريق السليم للحصول على بيت المقدس هو البدء بغزو مصر ، و أن مفتاح المدينة المقدسة موجود فعلاً في القاهرة [5] .

اتجهت الحملة نحو السواحل المصرية ، حيث تكون أسطولها من حوالي 1800 قطعة بحرية كبيرة و صغيرة تحمل حوالي خمسين ألف مقاتل من مشاة و فرسان و معهم عدتهم

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص437 . جوانفيل، مذكرات، ص81-84 . مجهول، تتمة وليم الصوري، ص144.

[2] مجهول، تتمة وليم الصوري، ص144. عاشور ، سعيد ، قبرص و الحروب الصليبية ، ص43 .

[3] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص318 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص836 .

[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص433 – 434 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص216 .

[5] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص452. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص445 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص836 .

و سلاحهم و مؤنهم و خيولهم [1] ، غير أن رياحاً عاصفة شديدة لم تلبث أن هبـت علـى الـسفن الصليبية و هي في أول يوم لها في عرض البحر ، فشتتت شملها ، و جنح معظمها صـوب عكـا و سواحل بلاد الشام بحيث لم يصل مع لويس سوى ثلث عدد فرسانه فقط [2] .

و في 20 صفر 647 هـ / 4 يونيو 1249م وصلت الـسفن الـصليبية إلـى الـشواطئ المصرية و أرست بالبر الغربي تجاه دمياط [3] ، و أول عمل قام به لويس التاسع أن أرسل إلـى السلطان الصالح نجم الدين كتاباً يتهدده فيه ، و مما جاء في هذا الكتاب " أما بعد فإنه لم يخف عنك إنني أمين الأمة العيسوية ، كما أني أقول انك أمين الأمة المحمدية ، و أنه غير خاف عنك أن أهـل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال و الهدايا ، و نحن نسوقهم سوق البقر ، و نقتل منهم الرجال ، و نرمل النساء ، ونستأثر البنات و الصبيان ، ونخلي منهم الديار ، و قد أبديت لك ما فيه الكفايـة و بذلت لك النصح إلى النهاية ، فلو حلفت لي بكل الإيمان ، و دخلت على القسوس و الرهبان ،

و حملت قدامي الشمع طاعة للصلبان ، ما ردني ذلك عن الوصول إليك ، وقتالك في أعـز البقاع عليك ، فإن كانت البلاد لي، فيا هدية حصلت في يدي، وإن كانت البلاد لك و الغلبة علـي ، فيدك العليا ممتدة إلى و قد عرفتك و حذرتك ، من عساكر قد حضرت في طـاعتي تمـلأ الـسهل و الجبل ، و عددهم كعدد الحصى ، و هم مرسلون إليك بأسياف القضاء " [4] .

---

[1] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص216 . جو انفيل ، مذكرات ، ص91 ، جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص56.

[2] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص450. جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر ص88 – 89 ، حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص129 . الشيال، جمال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ج2 ، ص95 .

[3] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص216 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437 . قاسم ، بعد قاسم ، الأيوبيين و المماليك ، ص134 . ملحق(3).

[4] ابن أيبك، كنز الدرر، ج7، ص366-370. ابن دقماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ص184-185. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437. ملحق(4).

لما وصل هذا الكتاب إلى الصالح نجم الدين ، تأثر و اغرورقت عيناه بالدموع ، و استرجع – أي قال إنا و إنا إليه راجعون – و أمر القاضي بهاء الدين زهير كاتب الإنشاء بكتابة الرد بخطه على كتاب لويس التاسع قائلاً فيه : " أما بعد فإنه وصل كتابك ، و أنت تهدد فيه بكثرة جيوشك ، و عدد أبطالك ، فنحن أرباب السيوف ، و ما قتل منا فرد إلا جددناه ، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه ، فلو رأت عيناك أيها المغرور ، حد سيوفنا ، و عظم حروبنا ، و فتحنا منك الحصون و السواحل ، وأخربنا منكم ديار الأواخر و الأوائل ، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ، و لابد أن تزل بك القدم ، في يوم أوله لنا و آخره عليك ، فهناك تسئ بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ... " [1] .

وصل لويس التاسع إلى مدينة دمياط فوجدها محصنة ، و أن الجيش الأيوبي على أهبة الاستعداد لمنعه من النزول أمامها ، و رغم ذلك قرر لويس التاسع النزول على الضفة الغربية للنيل في مواجهة المدينة ، و بدأت عملية إنزال الجيش الصليبي في 21 صفر 647 هـ / 5 يونيو 1249 م [2] ، على أن نزول الصليبيين على الشاطئ لم يتم بسهولة ، فقد تصدى لهم الجيش الأيوبي ، بقيادة الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، و لكن الصليبيين تفوقوا في تلك المعركة بفضل كثرة عددهم و استشهد من الجيش الأيوبي الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام ، و الأمير صارم الدين إزبك الوزيري [3]، فاضطر فخر الدين إلى الانسحاب ليلاً بقواته إلى الجانب الشرقي للنيل الذي تقع عليه مدينة دمياط ، و لم يكتف بترك الجسر الذي كان يربط بين الجانبين

---

(1) ابن أيبك، كنز الدرر، ج7، ص366-370. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص16-17. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص437 – 438 . ملحق(4).

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص292 . جوانفيل ، مذكرات ، ص95 .

(3) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص438 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص838 .

الغربي و الشرقي للنيل ، بل ترك مدينة دمياط أيضاً و انسحب جنوباً إلى أشموم طناح [1] .

فلما رأى أهل دمياط انسحاب الأمير فخر الدين ، دب الذعر و الخوف بينهم ، فتركوا المدينة بما فيها ، هاربين بعد أن أشعلوا النار في سوقها ، حتى خلت المدينة من أهلها [2] ، وفروا إلى أشموم طناح مع الجيش حفاة عراة جياع حياري و معهم الأطفال و النساء [3] ، كما تركت حامية دمياط المؤلفة من بني كنانة المدينة ، و تركوا أبوابها مفتوحة ، و فاتهم عند فرارهم أن يقطعوا الجسر الذي يربط دمياط بالضفة الغربية للنيل ، رغم أن الأمير فخر الدين أمرهم بتخريبه[4].

و هكذا أصبحت مدينة دمياط مدينة مفتوحة خالية من وسائل الدفاع ، و في صباح يوم الأحد 22 صفر سنة 647 هـ / 6 يونيو 1249 م ، عبر جنود الحملة الصليبية النيل إلى دمياط على الجسر الذي تركه الأمير فخر الدين ، فوجدوا أبواب دمياط مفتوحة و لا أحد يحميها فخشوا أن تكون مكيدة ، فتمهلوا في دخولها حتى أخبرهم الأقباط من سكانها بأن المسلمين قد هجروها [5]، عندئذ دخلوها دون قتال و غنموا ما فيها من الأسلحة و الآلات الحربية ، و الأقوات ، و الأزواد، و الذخائر ، و الأموال ، و الأمتعة ، و غير ذلك [6] .

---

[1] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص438 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص293 . أمين ، حسين ، الحروب الصليبية ، ص309 .

[2] أبو الفداء ، المختصر . ج3 . ص216 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص293 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص452 .

[3] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص438 . أمين ، حسين ، الحروب الصليبية ، ص309 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص21 -22 .

[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص216 . جوانفيل، مذكرات، ص95-97.

[5] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13، ص160 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص438. نصرا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص22 . غنيم ، اسمت الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص113 .

[6] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص216 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص339 .

لقد اتهم فخر الدين بالخيانة و الجبن و سوء تصرفه لتفريطه في مدينة دمياط [1] ، و كـان تصرفه هذا سبباً في تحقيق الحملة الصليبية السابعة نجاحاً كبيراً و استيلائها على دميـاط دون أن يراق دم جندي واحد من جنودها ، حيث يقول المقريزي " استيلاء الصليبيين على دمياط كان صفواً عفواً[2].

و إذا قارنا سقوط دمياط بهذه السهولة و ما حدث أثناء الحملة الصليبية الخامسة التـي لـم تستطع الاستيلاء على دمياط إلا بعد حصار دام سنة ، رغم أن دمياط كانت أقل ذخائر و اسـتعداداً منها في هذه الحملة [3] ، و بعد أن انتشرت المجاعات و الأوبئة بين أهلها ، و كان فيها خلال هذه الحملة جماعة من شجعان بني كنانة، و كما يقول المقريزي " فلم يغن ذلك شيئاً " [4] ، أما المؤرخ ابن تغري بردي فقد اعتبر سقوط دمياط بهذه السهولة " مصيبة لم يجر مثلها [5] .

و بعد أن استولى الصليبيون على دمياط ، أخذوا يعملون بسرعة على تحويلها إلى مدينـة ذات طابع نصراني ، فحولوا مسجد دمياط إلى كنيسة باسم نوتردام ، و عينوا لها أسقفاً كاثوليكياً ، و اختصت الفئات الدينية الثلاث ، الداوية و الإسبتارية و التيوتون ، بعمارة المدينة ، و تم توزيـع الاقتطاعات النقدية على كبار سادة الفرنج ، و حاز كل من الجنويين و البيازنـة سـوقاً وشـارعاً مكافأة لهم على ما قدموه من الخدمات [6] .

---

(1) سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج8، ص774.الحنبلي، شفاء القلوب، ص339.ابن اياس،بدائع الزهور،ج1، ص278 .

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439 .

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص438 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص293 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص383 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص438 .

(5) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص293 .

(6) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص453 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص217.

عمل الصالح نجم الدين على معاقبة المسئولين عن ضياع دمياط ، فأمر بإعدام أمراء بني كنانة ، حيث اعتبر فرارهم خيانة كبرى ، و لم يشفع لهم أنهم قالوا " و ما ذنبنا إذا كان عساكره و أمراؤه هربوا و أحرقوا الزردخانة[1] فأيش نعمل نحن " [2]،ولكنهم شنقوا لأنهم انسحبوا من المدينة دون قتال حتى احتلها الصليبيون، وكان عددهم أكثر من خمسين أميراً منهم نائب دمياط [3] ، و قد أقدم السلطان على ذلك بعد أن استفتى الفقهاء فأفتوا بقتلهم [4] .

و قد وبخ الصالح نجم الدين المماليك ، و تغير على الأمير فخر الدين وأنبه قائلاً " أما قدرتم تقفون ساعة بين يدى الفرنج ؟ هذا و ما قتل منكم إلا هذا الضعيف الشيخ نجم الدين " [5]، و اشتدت حملة الاستنكار على الأمير فخر الدين و خاف كثير من الأمراء سطوة السلطان و هموا بقتله فنهاهم عن ذلك الأمير فخر الدين و أشار عليهم بالصبر لأن السلطان " على خطة فإن مات كانت الراحة منه ، و إلا فهو بين أيديكم " [6] .

من الملاحظ أن الأمير فخر الدين يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية عن سقوط دمياط ، فلو أنه صمد أمام الصليبيين و لو لفترة من الزمن ما استطاع الصليبيون دخولها بهذه السرعة والسهولة.

أشتد المرض على الصالح نجم الدين ، بحيث لم يقو على النهوض من الفراش ، و أمر

---

[1] مكان يوضع به السلاح: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص238 .

[2] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8 ، ص373 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص22 .

[3] ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص36 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص217 . ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص160 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص339.

[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص22-23 . غنيم ، اسمت الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص114 .

[5] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص23 . غنيم ، اسمت الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص114.

[6] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص773 – 774 .ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص19-20. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439.

بالرحيل إلى المنصورة لأنها أكثر حصانة و حمل في حراقة [1]، حتى وصل إلى مقره بالمنصورة يوم الثلاثاء 24 صفر 647 هـ / 8 يونيو 1249م [2] ، و أمر الجند في تجديد الحصون والمباني و نصبوا الأسواق ، و أصلحوا السور الذي على النيل ، كما قدمت الشواني المصرية وفيها العدد الكاملة و الرجالة ، كما جاءت إليها كتائب المتطوعة و طوائف العامة و العربان من كل النواحي[3].

في ذلك الوقت كانت معظم بلاد الشام تخضع للسلطان الصالح نجم الدين ، فأرسل إلى قائد قواته بدمشق بمهاجمة بعض المناطق الصليبية بفلسطين ، لتخفيف الضغط عن مصر ، و بالفعل تمكنت قوات دمشق من حصار مدينة صيدا و الاستيلاء عليها في ربيع الاخر 647 هـ / أغسطس 1249م [4] ، كما قام الصالح نجم الدين بعرض الصلح على الصليبيين مقابل التنازل عن بيت المقدس و لكن الملك لويس التاسع رفض هذا العرض ، إذ أنه أصر على عدم التعاون مع أي مسلم[5].

من الملاحظ أن الصالح نجم الدين كان يتمتع بحنكة سياسية و عسكرية رغم الظروف الصعبة التي أحاطت به من سقوط دمياط و مرضه الشديد ، حيث أستطاع أن يخفف الضغط عن مدينة دمياط بهذا الفعل .

بعد أن وطد العدو الصليبي أقدامه في مدينة دمياط ، توقفت الأعمال الحربية فترة من الزمن ، و ظل الجيش الصليبي مقيماً في دمياط حوالي خمسة أشهر و نصف من 22 صفر

---

[1] هي نوع من أنواع السفن الحربية، تحمل النفط والحجارة لمواجهة العدو:المقدسي،البدء والتاريخ،ج6، ص110 .

[2] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص217 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص159. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص439 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص293 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص63 .

[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص44 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص374 .

[5] جو انفيل ، مذكرات ، ص142 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص454 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص382 . العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي ، مج4 ، ص218 .

647 هـ / 6 يونيو 1249م إلى 12 شعبان 647 هـ / 2 نوفمبر 1249م دون القيام بأي عمل جدي[1]، و لم يشرعوا في التقدم نحو الجنوب ، و كانت من الحكمة الزحف نحو الجنوب قبـل أن يفيق المصريون من الارتباك الذي حل بهم [2] ، و يقال أن لويس التاسع بقى هذه المدة الطويلة في دمياط ، حتى ينحسر فيضان النيل ، الذي كان سبباً في فشل الحملة الصليبية الخامسة ، و انتظـاراً لقدوم أخيه ألفونس دي بواتيه و معه الإمدادات التي طلبها [3] .

وفي تلك الأثناء عاد الجيش الصليبي إلى الضفة الغربية للنيل ، وعسكر في مواجهة دمياط التي لم يبق فيها إلا النساء و غير القادرين ، فاستغل المسلمون ذلك الوضـع الجديـد المكـشوف للصليبيين ، و أخذوا يشنون غارات متتابعة و سريعة على مواقع الصليبيين في دمياط [4] ، حيـث أن الفترة التي قضاها الصليبيون في دمياط كانت كافية لأن يعيد الصالح نجم الدين تنظيم جيوشه ، كما أنها كانت كافية لاختلال النظام في المعسكر الصليبي ، و ساد الإفراط في الملذات و الفجـور بين الأمراء و البارونات و عامة الصليبيين على السواء [5] .

---

[1] جوانفيل، مذكرات، ص142. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ص64 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص375 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص383 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيين و المماليك ، ص130 . الحركة الصليبية ، ج2 ، ص389 .

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص328-331. الشيال ، جمال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ج2 ، ص97 . عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص375 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص64 . برجاوي ، سعيد ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص557 .

[3] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص122 – 123. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص839 – 840 . طقوش ، محمد ، تاريخ الأيوبيين ، ص383 – 384 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص115 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص132 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص455 .

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص329-332. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2، ص840 .

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص261. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص125 . العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص64 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص115 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص480 .

لم يكتف الصالح نجم الدين بتنظيم صفوف جيشه، بل أمر عساكره بمهاجمـة الـصليبيين، فأخذوا يشنون غارات فدائية ليلية جريئة، ومنح مكافآت مالية ضخمة عن كـل رأس مـن رؤوس الصليبيين يأتيه به أحد رجاله[1]، ولهذا نشطت الأعمـال الفدائيـة وحـرب العـصابات ويقـول جوانفيل:" وكان المسلمون يدخلون معسكرنا كل ليلة، مترجلين ويقتلون من يجدونهم نـائمين مـن رجالنا، وقد حدث أن قتلوا حارس لورد كورتني وتركوه على إحدى المناضد بعد أن جزوا عنقـه وأخذوها معهم، وقد حملهم على ذلك العمل أن السلطان كان يعطي ديناراً من الذهب لكل من يأتيـه برأس نصراني "[2].

كذلك وقع في أسر المسلمين أعداداً كبيرةً من الأسرى الصليبيين، وكان الملك الصالح نجم الدين يرسلهم إلى القاهرة لعرضها في شوارع القاهرة بهدف رفع الروح المعنوية في أنحاء البلاد، و يعطينا المقريزي الكثير من الأمثلة عن أسرى الصليبيين وأعدادهم التي كانت ترسل للعرض في شوارع القاهرة فيقول:" فلما كان يوم الاثنين سلخ شهر ربيع الأول وصل إلى القاهرة مـن أسـرى الفرنج الذي تخطفهم العرب ستة وثلاثون أسيراً ، منهم فرسان، وفي خامس شهر بيع الآخر وصل سبعة وثلاثون أسيراً، وفي سابعه وصل اثنان وعشرون أسيراً، وفي سادس عشره وصـل خمـسة وأربعون أسيراً، منهم ثلاثة من الخيالة، وفي ثامن عشر جمادي الأولى خمسون أسيراً، وفي ثالـث عشر شهر رجب وصل إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيراً من الفرنج، وأحد عشر فارساً منهم"[3].

فاضطر الملك لويس التاسع أمام هذه الغارات إلى فرض حراسة مشددة حـول المعـسكر الصليبي يتناوبها الجند طوال الليل[4]، كما أمر بإقامة الحواجز، وحفر الخنادق حول معسكرهم،

---

[1] العليمي، الأنس الجليل، ج1، ص403. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص126.

[2] جوانفيل، مذكرات، ص101.

[3] المقريزي، السلوك، ج1،ص439-440.

[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص330-333. عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص841.

وعهد لويس إلى رماة السهام بحراسة هذه الخنادق وجميع المنافذ المؤدية إلى داخل المعسكر[1].

بدأ لويس التاسع يستعد للتحرك من دمياط و لا سيما بعد وصول أخيه ألفوس كونت بواتيه، في 15 رجب 647 هـ / 24 أكتوبر 1249م [2] ، فعقد لويس التاسع مجلساً للحرب لتقرير خطة الزحف ، فاقترح بطرس كونت بريتاني و معه غالبية البارونات أن يكون المسير نحو الإسكندرية و منها إلى القاهرة [3]، و كانت حجتهم معقولة و صحيحة من الناحية العسكرية ، لأن ميناء الإسكندرية أكبر حجماً من ميناء دمياط و يستطيع أن يأوي عدداً كبيراً من سفنهم ، كما أن ميناء الإسكندرية أقرب إلى أوروبا و موانى فرنسا من ميناء دمياط و لذلك يمكنهم الحصول بسرعة و بسهولة على الإمدادات من أوروبا و فرنسا [4] .

و لكن روبرت كونت أرتوا أخو الملك لويس التاسع رفض هذا الاقتراح و فضل المسير إلى القاهرة مباشرة و الاستيلاء عليها إذ أن سقوط القاهرة سيتبعه سقوط بقية المدن المصرية بحكم أنها حاضرة الدولة الأيوبية، وانضم لويس التاسع إلى هذا الرأي ، و قرر المسير إلى القاهرة [5] .

و بالفعل انتقل الصليبيون إلى الضفة الشرقية للنيل ، و بدأوا زحفهم نحو القاهرة في 12 شعبان 647 هـ / 20 نوفمبر 1249م [6] .

---

[1] جوانفيل، مذكرات، ص101-103. جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص127 . العسلي ، بسام، فن الحرب الإسلامي ، مج 4، ص218 . العريني، مصر في عصر الأيوبيين ، ص141. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص455. الحميدة ، سالم، الحروب الصليبية، ج4، ص273.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص186. رنسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص455 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص65 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص116 .

[3] جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر ، ص130-131 .

[4] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص130 – 131 . الشيال ، جمال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ج2 ، ص97 . العبادي ، أحمد ، التاريخ الأيوبي و المملوكي ، ص91 -92 .

[5] جوانفيل، مذكرات، ص105.

[6] المقريزي، السلوك ، ج1، ص446.

- وفاة نجم الدين و دور شجر الدر في مواصلة مواجهة الصليبيين :

لم يكد يبدأ الصليبيون زحفهم من مدينة دمياط في اتجاه مدينة القاهرة حتى توفى الـصالح نجم الدين بالمنصورة في يوم الاثنين ليلة النصف من شعبان 647 هـ / 22 نوفمبر 1249م [1]،

و قال ابن تغري بردي " و لو لم يكن من محاسنه إلا تجلد على مقابلة العدو بالمنـصورة ، و هو بتلك الأمراض المزمنة المذكورة ، و موته على الجهاد ، و الـذب عـن المـسلمين – و ا يرحمه – ما كان أصبره و أغزر مروءته " [2] .

كانت وفاة الصالح نجم الدين في هذه الظروف الصعبة خسارة كبرى ، لعدم وجود من يحل محله بسرعة في حكم البلاد ، و في مواجهة الخطر الناجم عن الغزو الصليبي ، فابنه توران شاه ، كان في حصن كيفا بديار بكر ، فضلاً عن أنه كان شاباً قليل الخبرة [3] .

و في تلك الظروف الصعبة برزت زوجة السلطان الصالح نجم الدين شجر الدر ، وكانـت الظروف لا تسمح بإعلان وفاته ، حتى لا يتجرأ العدو على مهاجمة البلاد ، فقد أخفت شجر الـدر خبر وفاة السلطان الصالح نجم الدين ، حتى عاد ابنه توران شاه من حصن كيفا [4] ، و لم تطلـع عليه سوى الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ والطواشي جمال الدين محـسن اللـذان كانـا موضع ثقة شجر الدر ، و اتفقت معهما على كتمان خبر وفاة السلطان حرصاً على وحدة المسلمين

---

[1] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص774. ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص37 . ابن كثير ، البداية و النهاية، ج13، ص160.المقريزي، السلوك، ج1، ص441 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص295.

[2] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص298 .

[3] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص322 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص841 .

[4] ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص160 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص441. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص322 . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص35 . أبو عليان ، عزمي ، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص12 -13 .

و كي لا يستغل الصليبيون الخبر فيهاجموا المسلمين [1]. ثم جمعت الأمـراء و القـواد و قالـت لهم :" أن السلطان قد رسم بأن تحلفوا له و لابنه الملك المعظم غياث الدين توران شـاه صـاحب حصن كيفا أن يكون سلطاناً بعده ، و للأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الـشيوخ بالتقدمـة علـى العساكر و القيام بالأتابكية وتدبير المملكة " فقالوا كلهم سمعاً و طاعة ؛ ظناً منهم أن السلطان حي ، و حلفوا بأسرهم و حاف سائر الأجناد و المماليك السلطانية " [2] .

كما أرسلت شجر الدر مرسوماً إلى الأمير حسام الدين نائب السلطنة في القاهرة لشرح مـا تم من تحليف أمراء الجيش ، و زعماء المماليك ، فقام الأمير حسام الدين بتحليف أكـابر رجـال الدولة بالقاهرة [3] ، و أصبح يخطب للمعظم توران شاه بعد أبيه على المنابر ، كما نقـش أسـمه على الدراهم و الدنانير بعد اسم أبيه [4] .

أرسلت شجر الدر الأمير فارس الدين أقطاي لإحضار الملك المعظم توران شاه من حصن كيفا ، كما بعث الأمير حسام الدين نائب السلطة بالقاهرة رسولاً أخر لإحضار توران شاه ، ووصل رسول الأمير حسام الدين إلى حصن كيفا ، و أخبر توران شاه بأن المصلحة العليا تتطلـب سرعة عودته إلى مصر ، لأن الأمير فخر الدين طامعاً في الاستيلاء على السلطنة، ثم وصل إليـه بعد ذلك رسول شجر الدر،فخرج المعظم توران شاه من حصن كيفا فـي 11رمـضان سـنة647 هـ/أواخر1249،وكاد يهلك من العطش أثناء الطريق،وشجر الدر تدبر الأمور كـأن لـم يحـدث شئ[5].

---

[1] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص218 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص842.
[2] ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص101-105. ابو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص218.
[3] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص218 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص444 .
[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص445 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص135.
[5] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص774 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص445 .

على الرغم من حسن تدبير شجر الدر و الأمير فخر الدين و إخفاء خبـر وفـاة الـسلطان الصالح نجم الدين ، إلا أن الصليبيين عرفوا بوفاة السلطان ، فقرر لويس التاسع أن يـستغل هـذه الفرصة قبل وصول توران شاه ، فقام بالزحف جنوباً فوصل إلى فارسكور [1] ، في 24 شـعبان سنة 647 هـ / 2 ديسمبر 1249م [2] ، دون أن يلقوا في طريقهم أي مقاومة عسكرية ، و ظلت جيوش الصليبيين تواصل الزحف ، حتى اصطدمت مع المسلمين في معركة حامية فـي أول أيـام شهر رمضان سنة 647 هـ / 8 ديسمبر 1249 م ، و جرى القتال بين الطرفين فيما بين فارسكو و شارمساح [3] ، فأستشهد من المسلمين أحد الأمراء الكبار و جماعة من العسكر ، و قتـل مـن العدو جماعة ، و لكن الصليبيين تمكنوا من أخذ شارمساح في نفس اليوم [4] ، و في يوم الاثنـين في 7 رمضان سنة 647 هـ / 14 ديسمبر 1249 م وصل الصليبيون إلى قرية البرامـون [5] ، فاضطرب الناس و زلزلوا زلزالاً شديداً ، ثم واصل الصليبيون سيرهم حتى نزلوا قبالـة الجـيش الإسلامي في يوم الثلاثاء 14 رمضان سنة 647 هـ / 21 ديسمبر 1249 م بحيث لم يكن يفصل بين الجيشين الإسلامي و الصليبي سوى بحر أشموم طناح [6] ، و قد استقر الصليبيون في هـذه المنطقة و أقاموا معسكرهم فيها و حصنوه ، و قاموا ببنـاء المتـاريس و الـسواتر ، و اسـتعدوا

---

[1] قرية من قرى مصر تقع قرب دمياط من كورة الدقهلية ، و هي الآن من مراكز محافظة الدقهلية : الحموى ، معجم البلدان ، ج4 ، ص228 .

[2] ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص107. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج6،ص22-23. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص446 .

[3] قرية كبيرة بمصر ، بينها وبين بورة أربعة فراسخ ، وبينها و بين دمياط خمسة فراسخ من كورة الدقهلية : المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص446 .

[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص218 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص147 .

[5] تسمى أيضاً البرمونين و البيرمون ، و هي قرية من أعمال مديرية الدقهلية بمركز فارسكور ، و تقع على الجانب الشرقي للنيل الى الجنوب من فارسكور : جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص147 .

[6] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص446 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص458 .

لمواجهة المسلمين [1] . و سرعان ما بدأت المناوشات و الاشتباكات بين الطرفين، و منها ما حدث يوم الجمعة أول شوال 647 هـ / 7 يناير 1250 م و قد عاد جنود المناوشة بأحد الكونتات الفرنسيين أسيراً إلى المعسكر الإسلامي [2] ، و يصف المقريزي هذه المناوشات فيقول: " و ما من يوم إلا ويقتل من الفرنج و يؤسر ، وقد لقوا من عامة المسلمين و سوالهم نكاية عظيمة و تخطفوا منهم و قتلوا كثيراً و كانوا إذ شعروا بالفرنج ألقوا أنفسهم في الماء و سبحوا إلى أن يصيروا في بر المسلمين [3] .

و في يوم الخميس 7 شوال سنة 647 هـ / 13 يناير 1250م استولى المسلمون على قطعة بحرية صليبية فيها حوالي مائتي رجل من الصليبيين على رأسهم كونت كبير [4] .

أدرك الملك لويس التاسع استحالة استمرار تلك المناوشات التي فقد فيها الكثير من رجاله ، ورأى أنه لا بد من الالتحام مع المسلمين في معركة حاسمة ، تحدد مصير الحملة ، فقرر بناء جسر على بحر أشموم كي تعبر عليه قواته الى المعسكر الإسلامي في المنصورة ، و بدأ بالفعل في بناء الجسر ، ولكن الفرنج لم يكادوا يتمون بضعة أمتار من الجسر إلا و تعرضوا لوابل من قذائف المجانيق بالإضافة إلى قذائف النار الإغريقية التي أنزلت الرعب في قلوب الصليبيين [5].

استدعى الملك لويس التاسع بارونات الجيش و قادته، و عقد مجلساً حربياً للبحث فيما ينبغي اتخاذه من خطة جديدة بعد أن اتضحت استحالة بناء جسر للعبور إلى معسكر المنصورة ، و بينما

---

(1) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص446 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص151.

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص138.

(3) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 .

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص138 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص28 – 29 .

(5) المقريزي، السلوك، ج1، ص447. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص458 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص70.

المناقشة تجرى ، حضر أحد الخونة من الأعراب ودل الصليبيين على مخاضة سـرية يـستطيعون عبور بحر أشموم ، مقابل مبلغ من المال [1] .

و قد رحب الصليبيون بهذا العرض و بالفعل اتفقوا على خوضها ، و كانت أول فرقة من الفرسان تخوض تلك المخاضة و تصل إلى معسكر المسلمين في يوم الثلاثاء 4 ذي العقـدة سـنة 647 هـ / 8 فبراير 1250 م [2] ، و لم يشعر المسلمون بهم إلا و هم داخل المعـسكر بيـنهم ، و كان الأمير فخر الدين في الحمام فأتاه الصريخ بأن الفرنج قد هجموا على المعـسكر ، فخـرج مدهوشاً و ركب فرسه من غير عتاد و لا تحفظ ، ليأمر الجنود المصريين للقتال ، و لـيس معـه سوى بعض مماليكه ، غير أن الفرسان الداوية أحاطوا به ففر من كان معه ، و تركوه و هو يدافع عن نفسه ، فطعنه أحدهم برمح في جنبه ، فسقط عن فرسه ، و تكاثرت عليه سيوف الباقين حتـى سقط شهيداً [3] ، و استولى الصليبيون على جديلة [4] ، و كان على رأس المهاجمين الكونت أرتوا شقيق الملك لويس التاسع [5] .

أراد الصليبيون استثمار ذلك الانتصار و اللحاق بالفارين رغم تعليمات الملك لويس التاسع انتظار عبور القوة الرئيسية بقيادته [6] ، إلا أن الكونت أرتوا ، قرر اقتحام مدنية المنصورة مـن

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص111. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص26. المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 . مجهول، تتمة وليم الصوري، ص173-174.جوانفيل، مذكرات، ص113.

(2) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص139 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص120 . السيد ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص175 .

(3) ابن كثير ، البداية و النهاية ، ج13 ، ص160 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص72 .

(4) و هي تل مرتفع على الشاطئ الجنوبي لبحر أشموم حيث كان المصريون قد أقاموا عليه مجانيقهم و أبراجهم : الحموي،معجم البلدان،ج1،ص200 .

(5) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص447 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص30 . عاشور ، فايد . الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص383 .

(6) جو انفيل ، مذكرات ، ص114 . الحروب ، محمد ، دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي ، ص56 .

ناحية القصر السلطاني ، رغم تحذيرات قائد فرسان الداوية [1] ، و لم يكد الكونت أرتوا يقترب من القصر حتى صدرت أوامر الأمير بيبرس البندقداري قائد فرقة المماليك البحرية بتطويـق الجـيش الصليبي و تدميره ، و مطاردة فلوله في كل أنحاء المنصورة [2] ، و قد أسهم أهل المنصورة في هزيمة الصليبيين فقد تعقبوا فلول الصليبيين في الشوارع و الأزقة و أخذوا يرمـونهم بالقـذائف و الأحجار و الطوب من الأسطح و النوافذ [3] ، حيث قتل من الفرنج ما يقرب من ألف و خمـسمائة فارس و في مقدمتهم الكونت أرتوا و معه ثلاثمائة من فرسانه[4] ، و قتل معظم فرسان الداويـة، و لم يسلم منهم إلا أربعة أو خمسة فقط [5] .وهكذا كانت المنصورة مقبرة للجيش الـصليبي،"وأول ابتداء النصر على الفرنج"[6].واعتبر ابن واصل هذه الواقعة بأنها"مقدمة النـصرومفتاح الظفـر"[7]. جزع لويس التاسع لتلك الصدمة، ولكنه تمالك نفسه ، فأقام جسراً عظيماً من خشب الصنوبر عبـر عليه النيل مع رجاله ليتدارك الموقف[8]، ولكن المماليك استبسلوا بعد انتصارهم على مقدمة الجيش الصليبي ، فقاموا يوم الجمعة7ذي العقدة سنة 647 هـ / 11فبراير 1250م بهجوم على المعسكر الصليبي واشترك معهم المشاة المسلمين فضلاً عن جموع العربان ، وقاد الملـك لـويس التاسـع المعركة بنفسه،و أظهر شجاعة كبيرة وعزيمة قوية، فنظم جيشه تنظيماً دقيقاً، وثبت في المعركـة حتى اضطر المسلمون إلى التراجع نحو المنصورة[9].

---

[1] مجهول، تتمة وليم الصوري، ص177-178. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص459 .

[2] ابن أيبك ، كنز الدر ، ج7 ، ص376 . ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص280 .

[3] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص226-227. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص27.جو انفيل ، مذكرات ، ص115 . مجهول، تتمة وليم الصوري، ص178.

[4] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص448 .عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص384 .

[5] مجهول، تتمة وليم الصوري، ص179. عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص845 .

[6] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص448 .

[7] ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص112 .

[8] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص323.

[9] المقريزي،السلوك،ج1،ص448. جوانفيل، مذكرات، ص131-137. ملحق(5).

- فشل الحملة و انسحابها :

على الرغم من شجاعة الملك لويس التاسع و ثباته ، إلا أن موقف الصليبيين أخذ يزداد سوءاً بسرعة واضحة ، بعد أن قلت المؤن و فقدوا أعداداً كبيرة من فرسانهم في معركة المنصورة، وانتشار الأمراض في معسكرهم ، و زاد الطين بلة وصول المعظم توران شاه إلى المنصورة في 21 ذي العقدة سنة 647 هـ / 25 فبراير 1250 [1] ، بعد أن أعلن سلطاناً في دمشق و هو في طريقه إلى مصر ، فأعلن عندئذ وفاة الصالح نجم الدين ، وسلمته شجر الدر مقاليد الأمور ، فأدى وصوله إلى ارتفاع الروح المعنوية عند المصريين " و تيمن الناس بطلعته " [2] .

أخذ توران شاه يستعد لتوجيه الضربة القاضية للصليبيين ، فأمر بإنشاء عدة سفن و حملت هذه السفن مفككة على الجمال إلى بحر المحلة ، حيث أعيد تركيبها و شحنها بالمقاتلة و سارت شمالاً ، حيث كمنت بالمرصاد للسفن الصليبية التموينية التي يعتمد الصليبيون على وصولها إليهم من دمياط [3] ، فلما جاءت سفن الصليبيين تحمل المؤن من دمياط خرجت عليها السفن الإسلامية و قاتلتها و استولت على اثنين و خمسين سفينة صليبية و بلغ عدد القتلى و الأسرى حوالي ألف صليبي و غنم المسلمون ما فيها من المؤن و السلاح ، بينما نقل الأسرى على الجمال إلى المعسكر الإسلامي " [4] . ثم دارت معركة ثانية بين المراكب الإسلامية و الصليبية يوم الاثنين غرة ذي

---

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص777 . ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص38 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص449. عاشور ، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص386 . الحروب ، محمد ، دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي ، ص57 . عاشور ، سعيد ، الحركة الصليبية ، ج2 ، ص846 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص322 . عاشور ، سعيد ، الأيوبيون و المماليك ، ص133 . عاشور، سعيد، العصر المماليكي ، ص9 .

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص120-121. ابن أيبك، كنز الدرر، ص7، ص337-338. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص32.

(4) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص450 . حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص142 . غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية و الصليبيون ، ص123 .

الحجة سنة 647 هـ / 7 مارس 1250 ، استولى فيها الصليبيون على سبع مراكب إسلامية كانت موجودة في بحر المحلة ، و لكن نجا من كان فيها من المسلمين ، و في يوم الثلاثاء 9 ذي الحجـة سنة 647 هـ / 15 مارس 1250 م ، استولى المسلمون على اثنين و ثلاثين مركباً صليبية محملة بالحبوب و الأعلاف و المؤن ، فاشتد الغلاء عند الصليبيين [(1)] ، فأخذوا في مراسلة المعظم توران شاه يطلبون الهدنة فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين أمير جاندار ، و قاضي القـضاة بـدر الـدين السنجاري و عرض رسل الملك لويس التاسع أن يسلموا دمياط للمسلمين و يأخذوا عوضـاً عنهـا مدينة بيت المقدس و بعض المدن الساحلية بالشام ، ولكن توران شاه رفض هذا العرض لأنه يعلـم بسوء حالة الصليبيين [(2)] .

أدرك الملك أن حملته على مصر فشلت ولابد له من إنقاذ جيشه من الفناء فقرر الانسحاب إلى دمياط [(3)] ، وعقد مجلساً لوضع خطة الانسحاب و طلب منه المجتمعون التسلل بحرسـه إلـى دمياط غير أنه رفض التخلي عن رجاله ، و قرر نقل المرضى و سفير البابا و النساء و الأطفـال بالسفن عبر النيل و بقية الجيش عبر الطريق الذي سلكه عند قدومه [(4)] ، وقد حرص الـصليبيون على إشعال النار فيما لديهم من أخشاب ومراكب كي لا ينتفع بها المسلمون ، ثم شرع الـصليبيون في الانسحاب ليلة الإربعاء 3 محرم سنة 648هـ / 11 أبريل 1250م إلى دمياط[(5)] ، وغير أنهم ارتكبوا خطئاً كبيراً عندما نسوا تدمير الجسر العائم الذي صنعوه على بحر أشموم طناح ، فـاغتنم

[(1)] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص450 – 451 . جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص192 .

[(2)] ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص122. أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص218 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص415 . مجهول، تتمة وليم الصوري، ص186-187 .

[(3)] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص323 . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج3 ، ص464.

[(4)] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص323. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج3 ، ص464 – 465 . نصر ا ، سعدون ، رحيل الصليبيين عن الشرق ، ص34.

[(5)] ابن واصل،مفرج الكروب،ج6،ص122-125.ابن ايبك،كنز الدرر،ج7،ص378.المقريزي،السلوك،ج1،ص455.

المسلمون الفرصة ، و عبروا الجسر خلف الصليبيين و أمضوا فيهم قتلاً و أسراً [1] حتى وصلوا إلى قرية فارسكور حيث حلت بالصليبيين الكارثة الأخيرة التي يصفها المقريزي بقوله " فطلع صباح نهار يوم الأربعاء ، و قد أحاط بهم المسلمون ، و بذلوا فيهم سيوفهم ، و استولوا عليهم قتلاً و أسراً فبلغت عدة القتلى عشرة آلاف في قول المقل ، و ثلاثين ألفاً في القول المكثر و أسر من خيالة الفرنج و رجالتهم المقاتلة ، و صناعهم و سوقتهم ما يناهز مائة ألف إنسان ، و غنم المسلمون من الخيل و البغال و الأموال ما لا يحصى كثرة ، و استشهد من المسلمين نحو مائة رجل " [2] .

بعد تلك الكارثة التي حلت بالصليبيين فر الملك لويس التاسع و عدد من أكابر قواده إلى قرية منية أبو عبد ا [3] ، فحاصرها المسلمون ، و سرعان ما طلب الملك لويس التاسع و قواده الأمان ، فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي [4] ، في حين سيق الملك لويس مكبلاً إلى المنصورة ، و سجن في دار فخر الدين إبراهيم بن لقمان ، و عهد إلى الطواشي صبيح المعظمى بحراسته ، و خصص له من يقوم بخدمته [5] .

بدأت المفاوضات بين المعظم توران شاه و الملك الفرنسي لويس التاسع على تسليم دمياط

---

[1] ابن أيبك ، كنز الدرر . ج7 ، ص381 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص455 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص323.

[2] المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص455 . للمزيد انظر:حسين ، حمدي ، تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص143 – 144 . عاشور، فايد ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ، ص389 . أمين ، حسين ، الحروب الصليبية ، ص316 .

[3] قرية لا تزال موجودة إلى اليوم على الشاطئ الشرقي لفرع دمياط ، و هي التي تعرف اليوم باسم ميت الخولي عبد ا ، أحدى قرى مركز فارسكور بمديرية الدقهلية : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص323.

[4] أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص219 . الكتبي، عيون التواريخ، ج20، ص37. ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص379 . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص323 .

[5] النويري ، نهاية الأرب ، ج29 ، ص356 . المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص455 . جوا نفيل ، مذكرات ، ص147 . ملحق(6).

و بعض المناطق التابعة للصليبيين في بلاد الشام ، حيث استغل المسلمون وجـود لـويس التاسع في الأسر لتحقيق هذه الغاية ، لكن لويس التاسع رفض ذلك ، معتبراً أنه لـيس مـن حقـه التنازل عنها،لأن هذه البلاد ليست في أملاكه،بل تخص الملك كونراد ابن الإمبراطور فردريك[1] ، و في النهاية تم الاتفاق على معاهدة الصلح لمدة عشرة سنوات ، يسلم الملك لويس التاسـع مدينـة دمياط فدية عن نفسه ، لأنه يرى أنه ليس من اللياقة أن يقايض عن نفسه بالمال [2] ، و أن يـدفع الملك لويس التاسع مبلغ ثمانمائة ألف بيزنط [3] ، فدية عن باقي أسرى الفرنجة و تعويـضاً عـن الخسائر و المصاريف التي تكبدها المسلمون منذ سيطرة الفرنج على دمياط ، و إطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين القدامى و الجدد في دمياط أو في مملكة بيت المقدس [4] ، في حين يتعهد المعظم توران شاه بإطلاق سراح الأسرى الفرنج القدامى و الجدد ، و أن يتعهد بحماية عتاد الـصليبيين و أثقالهم في دمياط لحين نقلها الى بلادهم ، و يمنح المرضى الصليبيين في دمياط حرية بيع متعلقاتهم و الرحيل بأمان، و يتعهد الملك لويس التاسع بدفع نصف الفدية و مقدارها أربعمائة ألف بيزنط [5] .

و بعد أن أقسم الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة رحـل المعظـم تـوران شـاه مـن المنصورة إلى فارسكور وكانت وجهته مدينة دمياط لتسلمها إلا أنه قتل على أيدي المماليك في يوم الاثنين 28 محرم سنة 648هـ/ 2مايو 1250م[6]، واتفق الأمراء المماليك من البحرية على أن

---

[1] ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص32-33. جو انفيل ، مذكرات ، ص157 – 159.

[2] جوانفيل، مذكرات، ص161 .

[3] و هي عملة ذهبية بيزنطية و هذا المبلغ يساوي (360.000 جنية مصري) : غنيم ، اسمت ، الدولة الأيوبية والصليبيون ، ص125 .

[4] المقريزي، السلوك ، ج1، ص460. مجهول، تتمة وليم الصوري، ص200-202.

[5] العمري، مسالك الإبصار، ج27، ص341-344.المقريزي، السلوك،ج1،ص460. جو انفيل، مذكرات، ص159– 161 .

[6] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج8 ، ص779 . أبو الفداء ، المختصر ، ج3 ، ص219 .

تكون شجر الدر هي القائمة بأمر السلطنة، وأن يكون عز الدين أيبـك التركمـاني فـي الأتابكيـة ومستلماً لأمور العسكر[1]،فسارعت شجر الدر لحل المعضلة واستكمال الاتفاقية لخطورة الموقف ، و لا سيما إذا ما تحرك الغرب الأوروبي بحملة صليبية جديدة، فأرسلت الأمير حسام الـدين بـن على الهذباني، لرجاحة عقله و مشورته، و اعتماد السلطان الصالح نجم الدين عليه[2]، وتم الاتفاق على نفس الشروط التي تم الاتفاق عليها مع المعظم توران شاه قبل مقتلـه[3]، وتـسلم المـسلمون دمياط يوم الجمعة 3 صفر 648هـ / 7 مايو 1250 م ، فرفعت عليها أعلام السلطان وارتفع فيها صوت التهليل و التكبير [4] ، بعد أن استولى عليها الصليبيون أحد عشر شهراً و تسعة أيام[5] ، و غادر لويس التاسع ومن معه إلى عكا في4 صفر 648هـ / 8مايو1250م [6] .

و هكذا باءت الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا بالفشل الذريع دون أن تحقق أي هدف من أهدافها، وكذلك انتهت الدولة الأيوبية بعد أن قامت بالجهاد ضد أعداء الإسلام ، و قامت دولة المماليك التي رفعت راية الجهاد لتواصل القتال ضد أعداء الإسلام و المسلمين .

أما فيما يتعلق بأسباب فشل الحملة الصليبية السابعة فهناك عدة عوامل أدت في النهاية إلـى فشلها و من أهمها :

1- جهل الفرنجة بجغرافية البلاد المصرية و بطبوغرافية الطريق الذي اتخذوه للتوجه

---

(1) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص39 . النويرى ، نهاية الأرب ، ج29 ، ص362 – 364 ، ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص383.

(2) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج6 ، ص133 . ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص383.

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج6 ، ص128 .

(4) النويري ، نهارية الأرب ، ج29 ، ص363 . ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص384 .

(5) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص39 .المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ص460 .

(6) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج6 ، ص134 . ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج7 ، ص384 . جوزيف، نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص87 .ملحق(7).

نحو القاهرة بعد الاستيلاء على دمياط [1] .

2- عامل الزمن كان له أكبر الأثر في فشل الحملة ، فالوقت الذي أضاعه الصليبيون في قبرص كان سبباً في تسرب أنباء تحرك الحملة ، و الوقت الذي أضاعوه في دمياط كان سبباً في إعطاء الفرصة للقوات الإسلامية من التقاط أنفاسهم و إعادة تنظيم قواتها [2] .

3- تفوق القوات الإسلامية من الناحية العسكرية على القوات الصليبية ، و تميز القواد المسلمون بوضع الخطط الحربية الممزوجة بالمكر و الخدع الحربية [3] .

4- الانحلال و التدهور الخلقي الذي كان متفشياً في نفوس الصليبيين مما أدى إلى أنهاك قواهم و ضعف الروح المعنوية عندهم ، فقد انغمسوا في الملذات وحياة الفجور بدلاً من السعي إلى تنظيم صفوفهم وأعداد خططهم و إحكامها [4] .

5- دور الصالح نجم الدين و زوجته شجر الدر في صد العدوان الصليبي على مصر ، فالصالح نجم الدين تصدى للصليبيين رغم مرضه ، وأبى إلا أن يساهم بنفسه في قتالهم ، و كذلك شجر الدر فقد قامت بدور مجيد في هذه المرحلة ، و العمل الجليل الذي قامت به وهو كتمان خبر موت زوجها و تحملها الموقف بكل صلابة و سارت الأمور كأن شيئاً لم يحدث و دارت العمليات العسكرية كأن السلطان لم يمت حتى وصل توران شاه الذي تولى القيادة في مصر [5] .

---

[1] الحنبلي، شفاء القلوب، ص339. العبادى ، أحمد ، التاريخ الأيوبي و المملوكي ، ص97 –98 .

[2] عمران ، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص316 .

[3] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص252. عمران، محمود ، تاريخ الحروب الصليبية، ص317 .

[4] جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ، ص254 .

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص160. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص322. ابن اياس، جواهر السلوك، ص105.

الخـــــاتـمة

يمكن إيجاز أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة بما يلي :

1 ـ سلكت الدولة الأيوبية في حكمها النظام الملكي الوراثي شأنها في ذلك شأن من سبقها من الدول ،كالدولة السلجوقية و الزنكية .

2 ـ أظهرت الدراسة مدى تفكك الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ،والـصراع الشديد بين خلفائه سواء كانوا أبناءه أو إخوته .

3 ـ أظهرت الدراسة افتقار خلفاء صلاح الدين الأيوبي إلى الكثير من مقومـات القيـادة العسكرية والسياسية التي أشتهر بها صلاح الدين الأيوبي .

4 ـ أثبتت الدراسة أن الملك العادل استطاع توحيد الجبهة الإسلامية مرة أخـرى بعـد أن مزقها الصراع و الانقسام .

5 ـ أظهرت الدراسة مدى تأثير المنازعات بين أبناء البيت الأيوبي ،و استغلال الصليبيون لهذه المنازعات في استرداد كثير من المناطق التي فتحها صلاح الدين الأيوبي ،و خاصـة المـدن الساحلية ،و بعض المناطق الداخلية .

6 ـ كشفت الدراسة عن تقديم بعض ملوك و أمراء بني أيوب مصالحهم الشخصية علـى المصلحة العامة للدولة الإسلامية و تجلى ذلك من موقف الصالح إسماعيل و تحالفه مع الـصليبيين ضد الصالح نجم الدين .

7ـ أثبتت الدراسة أن الصالح نجم الدين استطاع إعادة توحيد الدولة الأيوبية تحت سلطانه، وفرض سيطرته على معظم بلاد الشام ومصر.

8 ـ أظهرت الدراسة علاقة الصالح نجم الدين بالخوارزمية منذ عهد أبيه الكامل و اعتماده عليهم في محاربة الحلف الأيوبي المعادي له و لأبيه الكامل .

9 ـ كشفت الدراسة عن مدى الصراع بين الصليبين و سوء و اضطراب أحـوالهم فـي الشرق الأدنى ، سواء في قبرص و بيت المقدس أو في إماراتي أنطاكيا و طرابلس .

10 ـ أظهرت الدراسة الصراع الشديد بين البابوية و الإمبراطورية و تجلي ذلك في عدم مشاركة كلاً من ألمانيا و إيطاليا و انجلترا في الحملة الصليبية السابعة .

11 ـ أثبتت الدراسة أن الحملة الصليبية السابعة حملة فرنسية بحتـة ، فزعيمهـا لـويس التاسع فرنسي ، و أغلب المشاركون فيها من الفرنسيين كذلك اتخذت الطابع الاستعماري الفرنسي .

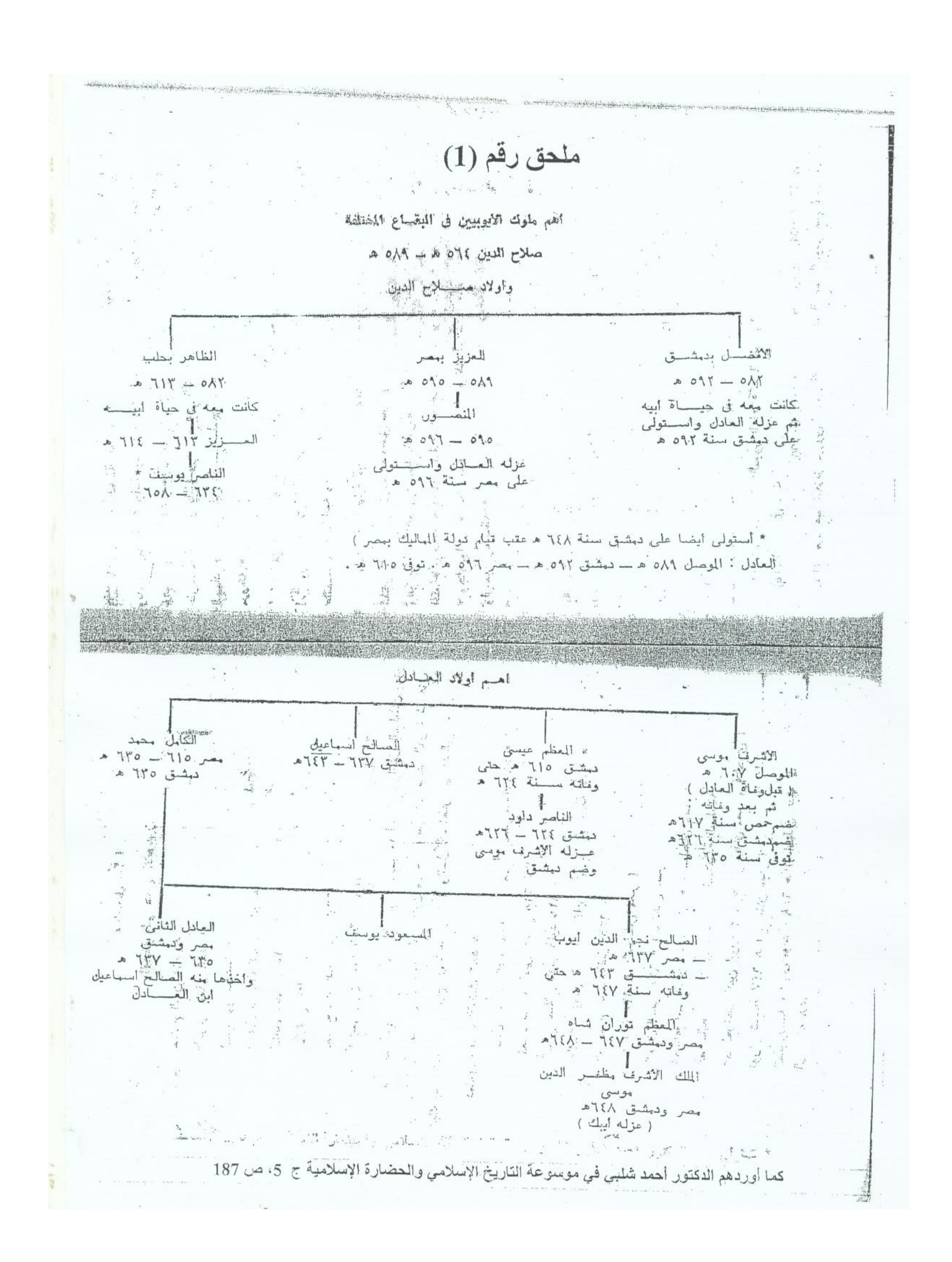
12 ـ أثبتت الدراسة أن الصالح نجم الدين كان يتمتع بحنكة سياسـية و عـسكرية رغـم الظروف الصعبة التي أحاطت به من سقوط دمياط و مرضه الشديد ، و تجلى ذلك في إعازه لقواته بدمشق بمهاجمة بعض المناطق الصليبية في فلسطين لتخفيف الضغط عن مدينة دمياط .

13 ـ أظهرت الدراسة مدى حب الصالح نجم الدين للجهاد و تفضيله لسياسة المواجهة مع الصليبين رغم مرضه الشديد .

14- أثبتت الدراسة عن دور شجر الدر في إفشال الحملة الصليبية السابعة، وتجلى ذلك في كتمان خبر وفاة زوجها الصالح نجم الدين وتحملها الموقف بكل صلابة وإدارتها للعمليات العسكرية حتى وصول توران شاه وتوليه القيادة.

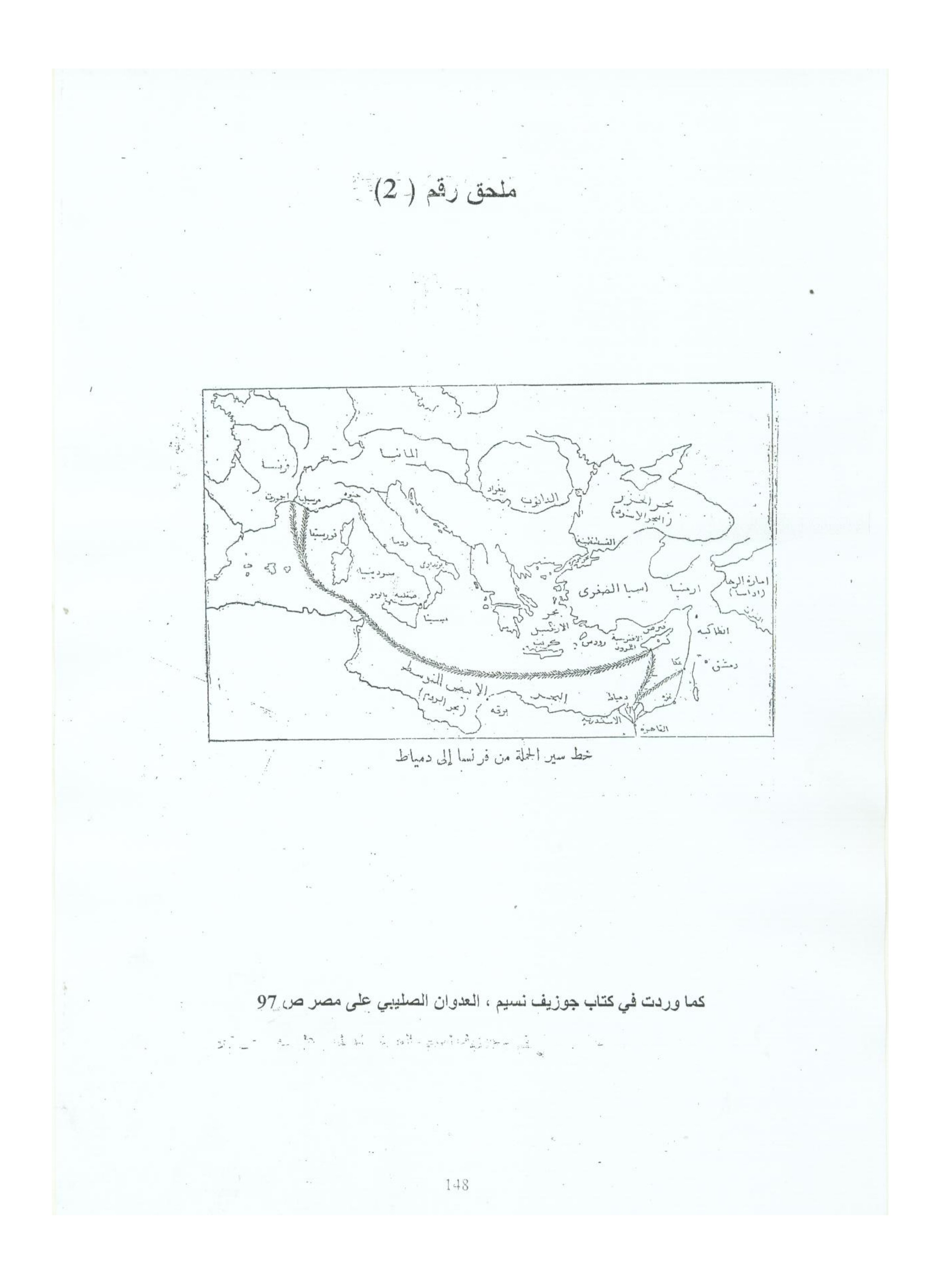
15 ـ أثبتت الدراسة فشل الحملة الصليبية السابعة دون أن تحقق أي هدف من أهدافها.

ملاحق البحث



كما أوردهم الدكتور أحمد شلبي في موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج 5، ص 187

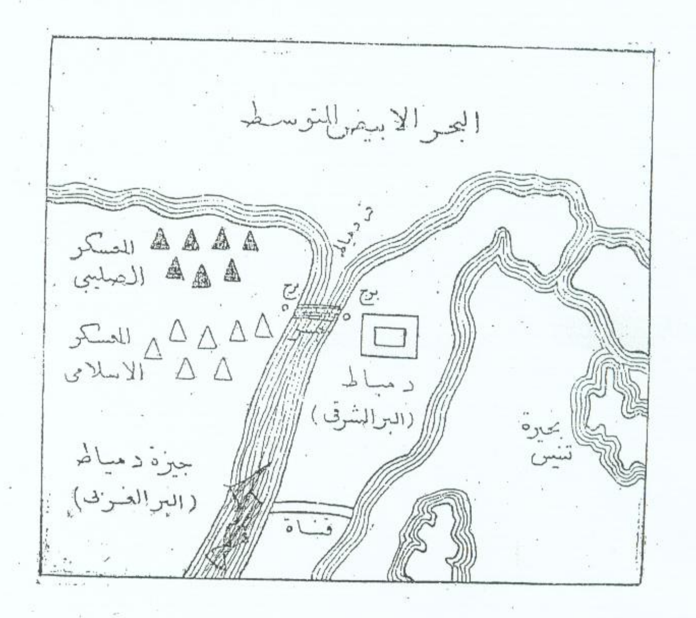
ملحق رقم (2)



خط سير الحملة من فرنسا إلى دمياط

كما وردت في كتاب جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ص 97

ملحق رقم (3)



نزول الصليبيين إلى البر الغربى لدمياط

(رسم تخطيطى)

كما وردت في كتاب جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ص 98

149

ملحق رقم (4)

الكتابان المتبادلان بين لويس التاسع والصالح نجم الدين أيوب قبل نزول الفرنج إلي البر الغربي لدمياط

نص كتاب لويس التاسع إلي الصالح نجم الدين

بسم الله الفصيح صاحب الدين الصحيح عيسى بن مريم المسيح .أما بعد : فإنه لم يخف عليك ولا على كل ذي عقل ثاقب أنك أمين هذه الملة الحنيفية ، وأنا أمين هذه الملة النصرانية . وليس خفي عنك ما فتحنا من بلاد الأندلس ؛ وأخذنا النساء والعذارى وفرقناهم على ملة النصارى ، وجعلنا رجالهم أساري ، ونساءهم عليهم حيارى . وقد علمت ما نحن فيه من حق الرعية لما فتحنا بلاد المهدية وعتونا على ثغر الإسكندرية ، فلا تلجئ العالم إلي العسف ولا تسمهم بسيماء الخسف ؛ نقتل العباد ، وندوس البلاد ، ونطهر الأرض من الفساد .فان قابلتنا بالقتال فقد أوجبت على نفسك ورعيتك النكال ، ورميتهم في أسر الوبال ويكثر فيهم العويل ولا يرحم عزيز ولا ذليل ، ولا تجد إلي نصرتهم من سبيل .

ونحن شرحنا لك ما فيه الكفاية ، وبذلنا لك غاية النصيحة والهداية ، أن تنقل إلي عندنا ما عندك من الرهبان ، وتحلف لنا بعظائم الإيمان أن تكون لنا نائبا على ممر الأزمان . وتجعل لنا بما عندك من مراكب وطرائد وشوان ، ولا تكون فيك فترة ولا توان ، لتكون قلوبنا راضية عليك ، ولا تسوق حتفك إليك ، وتكون على نفسك وجيشك قد جنيت ، وتعود تقول يا ليت . وتضع الحرب أوزارها ،وتشعل نارها ، ويتعالى شرارها ، ويقيم فنارها ، وتأخذ منكم بنارها . فسيوفنا حداد ، ورماحنا مداد ، وقلوبنا شداد ، ويحكم بيننا وبينكم رب العباد . فان كانت (البلاد)لك فهدية ألقيت بين يديك ، وإن كانت لنا فيدنا العليا عليك ، إذ استحققنا إمارة الملتين وحكم الشريعتين ، وبيد الله تعالى السعادة وهو الموفق للإرادة " .

كما ورد في كتاب جوزيف نسيم (العدوان الصليبي على مصر) ص 293-296

نص رد الصالح أيوب على كتاب الملك الفرنسي

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على القوم الظالمين ، من عند الذائد عن حرم المسلمين والقارئ كتاب رب العالمين ، المنزل على خير المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله الطاهرين ،وأصحابه الأنصار والمهاجرين ، صلاة دائمة إلي يوم الدين .

أما بعد ،،،

فقد وصل كتابك وفهمنا لفظك وخطابك . وها أنا قد أتيتك بالخيل والرجال، والخزائن والأموال والعساكر والأثقال ،والقيود والأغلال ؛ فإن كانت لك فأنت الساعي وقد أمنت الناعي ، وإن كانت عليك فأنت الباغي لحتفك والجادع أنفك بظلفك ، فإن رأيت أن لا تقيم بين الفئتين ضغنا ، فلذلك من الله علينا وعليكم مننا ، وإن غير ذلك فقد قال تعالى : "أفمن زين له سوء عمله فراه حسنا ". ولما وصل إلينا كتابك أعطيناك جوابك ، ومن يهديه الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وفي كتابك تهددنا بجيوشك وأبطالك وخيلك ورجالك ، أو ما تعلم أنا نحن أرباب الحتوف وفضلات السيوف ، ما نزلنا على حصن إلا هدمناه ، ولا عدم منا فارس إلا جددناه ، ولا طغى علينا طاغ إلا دمرناه . فلو نظرت _أيها المغرور_ حد قلوبنا ، وجد حروبنا ، لرأيت فرسانا أسنتهم لا تمل وسيوفهم لا تكل وقلوبهم لا تذل ، ولعضيت على يدك بسن الندم ولأخرت تحريك قدم عن قدم ، فلا تعجبك العساكر التي بين يديك ، فهو يوم أوله لنا وأخره عليك . إذا أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالمرصاد على أول سورة النحل وأخر سورة ص : "أتى أمر الله فلا تستعجلوه " ،"ولتعلمن نبأه بعد حين " . هنالك تتطاول نحوك الأعناق وتشخص صوبك العيون ، ويشوبك الويل ، وتسوء بك الظنون ، "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ").



معركة يوم الجمعة الموافق ١١ فبراير ١٢٥٠ م

(رسم تخطيطى)

١ ــ فرقة شارل كونت انجو

٢ ــ الفرقة الملكية

٣ ــ فرقة جى دبلين

٤ ــ فرقة جوتييه صاحب الكرك

٥ ــ فرقة غليوم دى سوناك

٦ ــ فرقة جى دى موفوزان

٧ ــ فرقة جوانفيل

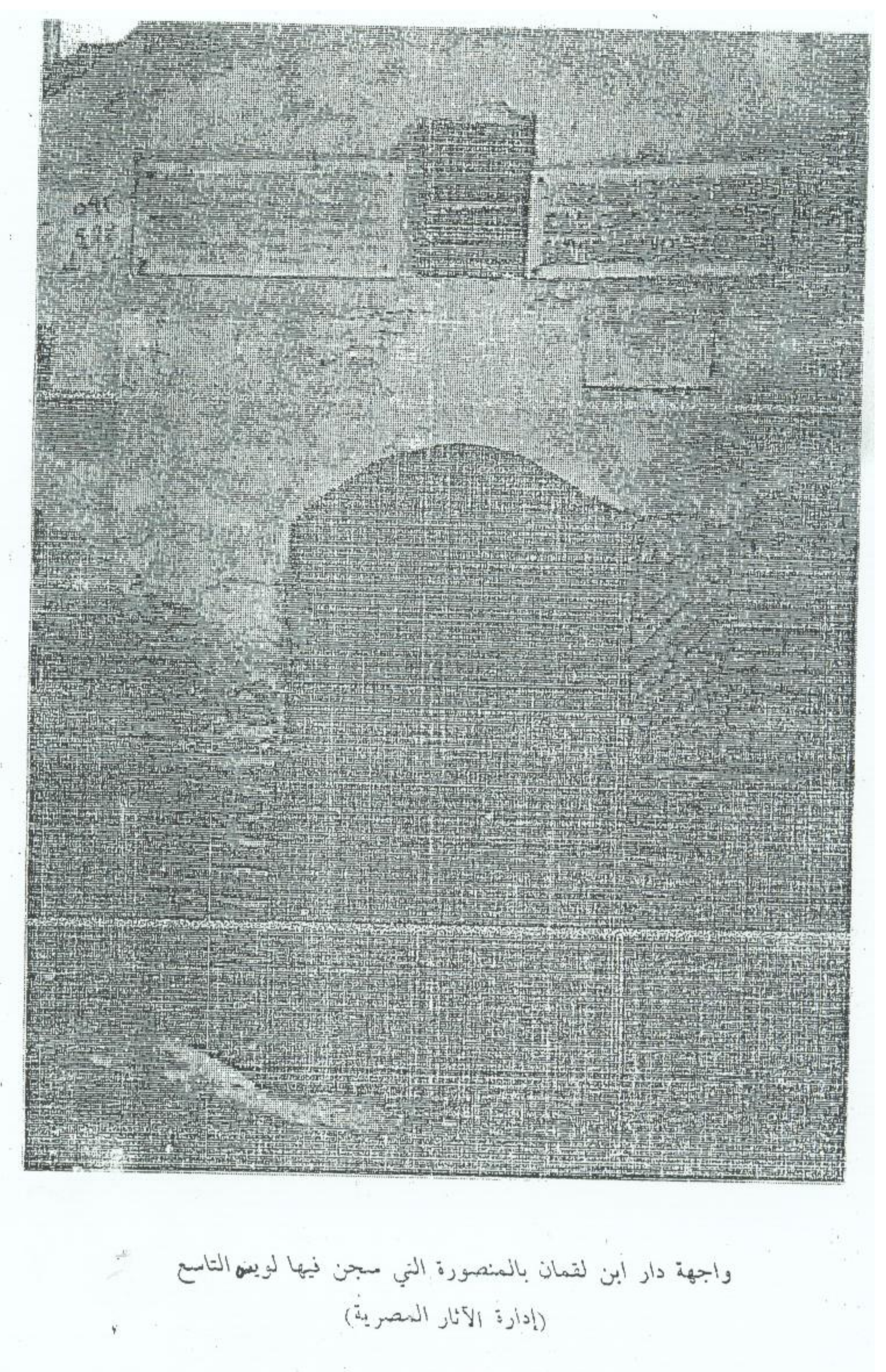
٨ ــ فرقة غليوم أمير الأراضى الواطئة

٩ ــ فرقة الفونس كونت بواتييه

١٠ ــ فرقة جوسران دى برانسيون

١١ ــ فرقة هنرى دى كون

كما وردت في كتاب جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ص 182



واجهة دار ابن لقمان بالمنصورة التي سجن فيها لويس التاسع

(إدارة الآثار المصرية)

كما وردت في كتاب محمد العروسي المطوي ، الحروب في المشرق والمغرب ص 121

ملحق رقم (7)

جدول تواريخ الحملة الصليبية السابعة

هذا الملحق يعرض تواريخ الحملة مرتبة ترتيبا زمنيا منذ قيامها من فرنسا إلي حين مغادرة فلول قواتها الأراضي المصرية متجهة صوب عكا .

اليوم	التاريخ الهجري	ما يقابله بالميلادي	المناسبة
الثلاثاء	٤ جمادي الأولى ٦٤٦	٢٥ أغسطس ١٢٤٨	إبحار لويس التاسع والصليبيين من ميناء اجمورت بفرنسا إلي الشرق .
الخميس	٢٧ " " ٦٤٦	١٧ سبتمبر ١٢٤٨	وصول الفرنج إلي ميناء النمسون بقبرص.
الاثنين	٤ محرم ٦٤٧	١٩ ابريل ١٢٤٩	مغادرة الصلح أيوب دمشق إلي الديار المصرية عندما بلغته حركة الفرنج .
الأربعاء	٢٧ محرم ٦٤٧	١٢ مايو ١٢٤٩	دخول حسام الدين القاهرة نائبا بها عن الصالح أيوب .

كما وردت في كتاب جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر ص 317-326

اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
الثلاثاء [٣]	٣ صفر ٦٤٧ [٤]	١٨ مايو ١٢٤٩	نزول الصالح أيوب بأشموم طناح ليكون قبالة الفرنج عند وصولهم إلى الشاطىء المصرى.
الجمعة	٦ صفر ٦٤٧	٢١ مايو ١٢٤٩	إستعداد الملك الفرنسى ورجاله للرحيل من قبرص إلى مصر .
السبت	٧ صفر ٦٤٧	٢٢ مايو ١٢٤٩ (٥)	إبحار الفرنج من ميناء النمسون بقبرص قاصدين مصر .
الخميس السبت	٢٧ جمادى الأولى ٦٤٦-٧صفر٦٤٧	١٧ سبتمبر ١٢٤٨ - ٢٢ مايو ١٢٤٩	فترة إقامة الجيش الصليبى بقبرص .
الجمعة (٦)	٢٠ صفر ٦٤٧ (٧)	٤ يونيو ١٢٤٩	وصول الأسطول الصليبى قبالة البر الغربى لدمياط .
السبت	٢١ صفر ٦٤٧ (٨)	٥ يونيو ١٢٤٩	- نزول الفرنج إلى البر الغربى لدمياط . - وقوع مناوشات طفيفة بين المصريين والفرنج فى هذا البر الغربى. - مغادرة فخر الدين والعسكر البر الغربى إلى البر الشرقى .
الأحد	٢٢ صفر ٦٤٧	٦ يونيو ١٢٤٩	- فرار الأهالى من دمياط . - استيلاء الفرنج على المدينة [٩] . - ورود بطاقة إلى حسام الدين نائب

اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
			السلطنة بالقاهرة بخبر استيلاء الفرنج على المدينة .
الثلاثاء	٢٤ صفر ٦٤٧	٨ يونيو ١٢٤٩	نزول الصالح أيوب والعساكر الاسلامية مدينة المنصورة .
الأربعاء	١٠ ربيع الأول ٦٤٧	٢٣ يونيو ١٢٤٩	دخول جمال الدين بن يغمور دمشق نائبا بها عن الصالح أيوب.
الخميس	١١ ربيع الأول ٦٤٧	٢٤ يونيو ١٢٤٩	ورود كتاب من مصر إلى بعض رفاق المؤرخ ابن أبى شامة بدمشق عن استيلاء الفرنج على دمياط (١٠).
الجمعة	١٢ ربيع الأول ٦٤٧	٢٥ يونيو ١٢٤٩	خطاب بعث به أحد الصليبيين ، ويدعى جان دى بومون ، من دمياط إلى صديق له بفرنسا حول استيلاء الفرنج على المدينة .
الثلاثاء	٣٠ ربيع الأول ٦٤٧	١٣ يوليو ١٢٤٩	وصول ٤٦ من أسرى الفرنج إلى القاهرة.
الأحد (١١)	٥ ربيع الثانى ٦٤٧	١٨ يوليو ١٢٤٩	وصول ٣٩ من أسرى الفرنج إلى القاهرة.
الثلاثا (١٢)	٧ ربيع الثانى ٦٤٧	٢٠ يوليو ١٢٤٩	وصول ٢٢ من أسرى الفرنج إلى القاهرة .
الأربعاء	١٥ » » »	٢٨ » »	وصول ٣٥ من أسرى الفرنج إلى القاهرة .
الخميس	١٦ » » »	٢٩ » »	وصول ٤٥ من أسرى الفرنج إلى القاهرة .

اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
الجمعة	٢٤ ربيع الثانى ٦٤٧	٦ أغسطس ١٢٤٩	ورود الخبر إلى مصر باستيلاء جند دمشق على صيدا من الفرنج .
الأحد	١٨ جمادى الأولى ٦٤٧	٢٩ » »	وصول ٥٠ من أسرى الفرنج إلى القاهرة.
الثلاثاء	١١ جمادى الثانى ٦٤٧	٢١ سبتمبر »	وصول بونيفاس رئيس أساقفة كانتربرى إلى انجلترا معلنا خبر امتلاك الفرنج دمياط.
الأربعاء	١٩ » »	٢٩ » »	انتشار خبر استيلاء الفرنج على دمياط فى الغرب الأوروبى (عيد القديس ميشيل).
الجمعة	١٣ رجب ٦٤٧	٢٢ أكتوبر »	وصول ٥٨ من أسرى الفرنج إلى القاهرة.
الأحد	١٥ » »	٢٤ » »	وصول الفونس كونت بواتييه على رأس نجدة إلى دمياط قادما من فرنسا .
السبت	١٢ شعبان ٦٤٧ (١٣)	٢٠ نوفمبر ١٢٤٩	زحف الفرنج من دمياط جنوبا صوب العاصمة .
الأحد - السبت	٢٢ صفر - ١٢ شعبان ٦٤٧	٦ يونيو - ٢٠ نوفمبر ١٢٤٩	فترة إقامة الفرنج بدمياط منذ استيلائهم عليها إلى حين زحفهم جنوبا صوب العاصمة.
الاثنين (١٤)	١٤ شعبان ٦٤٧	٢٢ نوفمبر ١٢٤٩	وفاة الملك الصالح ايوب بالمنصورة .
الخميس	١٧ » »	٢٥ » »	تحليف العسكر بالقاهرة عند الأمير حسام الدين للمعظم توران شاه .
الاثنين	٢١ » »	٢٩ » »	ورود الأمر إلى القاهرة من المعسكر بالمنصورة بدعاء الخطباء فى الجمعة التالية (٢٥ شعبان) للمعظم بعد الدعاء لأبيه ، وبنقش إسمه على سكة الدراهم والدنانير بعد إسم أبيه .

157

اليوم	التاريخ الهجرى	مايقابله بالميلادى	المناسبة
الخميس	٢٤ شعبان ٦٤٧ [١٥]	٢ ديسمبر ١٢٤٩	وصول الفرنج فارسكور .
الجمعة	٢٥ شعبان ٦٤٧	٣ ديسمبر ١٢٤٩	ورود كتاب إلى القاهرة من المعسكر الاسلامى بالمنصورة حاثا الناس على الجهاد ضد الغزاة .
الأربعاء [١٦]	١ رمضان ٦٤٧ [١٧]	٨ ديسمبر ١٢٤٩	- معركة بين المصريين والفرنج فيما بين فارسكور وشارمساح. - نزول الفرنج على شارمساح .
الثلاثاء	٧ رمضان ٦٤٧	١٤ ديسمبر ١٢٤٩	وصول الفرنج البرمون .
السبت	١١ رمضان ٦٤٧ [١٨]	١٨ ديسمبر ١٢٤٩	- قيام توران شاه من كيفا قاصداً مصر .
الثلاثاء	١٤ رمضان ٦٤٧	٢١ ديسمبر ١٢٤٩	- وصول الفرنج شمالى بحر أشموم (١٩) . - الجيش المصرى يشن هجوما على الفرنج شمالى بحر أشموم .
الخميس	١٦ رمضان ٦٤٧	٢٣ ديسمبر ١٢٤٩	ذهاب ٦ من خيالة الفرنج إلى البر الذى فيه المسلمون ، وإخبارهم إياهم بضائقة الفرنج لنفاد مؤونتهم .
الجمعة	١٧ رمضان ٦٤٧	٢٤ ديسمبر ١٢٤٩	وصول المعظم عانة فى طريقه إلى مصر .

اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
السبت	١٨ رمضان ٦٤٧	٢٥ ديسمبر ١٢٤٩	هجوم آخر قام به المسلمون على الفرنج شمالى بحر أشموم .
الاثنين	٢٠ « ٦٤٧	٢٧ ديسمبر ١٢٤٩	مغادرة توران شاه عانة قاصدا دمشق.
الثلاثاء	٢٨ « ٦٤٧	٤ يناير ١٢٥٠	وصول توران شاه القصير.
الأربعاء	٢٩ « ٦٤٧	٥ يناير ١٢٥٠	ـ المصريون يأسرون أحد كبار الفرنج من أقارب الملك لويس، لعله شارل كونت انجو. ـ وصول توران شاه دمشق [٢٠].
الاثنين [٢١]	٤ شوال ٦٤٧	١٠ يناير ١٢٥٠	سقوط الطائر فى مصر بوصول المعظم دمشق .
الخميس [٢١]	٧ « ٦٤٧	١٣ يناير ١٢٥٠	استيلاء المسلمين على سفينة حربية للفرنج فيها ٢٠٠ رجل .
الخميس	١٤ « ٦٤٧	٢٠ يناير ١٢٥٠	نشوب معركة بين المسلمين والصليبيين شمالى بحر أشموم .
الجمعة	١٥ « ٦٤٧	٢١ يناير ١٢٥٠	وصول ٦٧ من أسرى الفرنج إلى القاهرة .
الخميس	٢١ « ٦٤٧ [٢٢]	٢٧ يناير ١٢٥٠	معركة بين المسلمين والمسيحيين انتهت بانتصار المسلمين وحرقهم

159

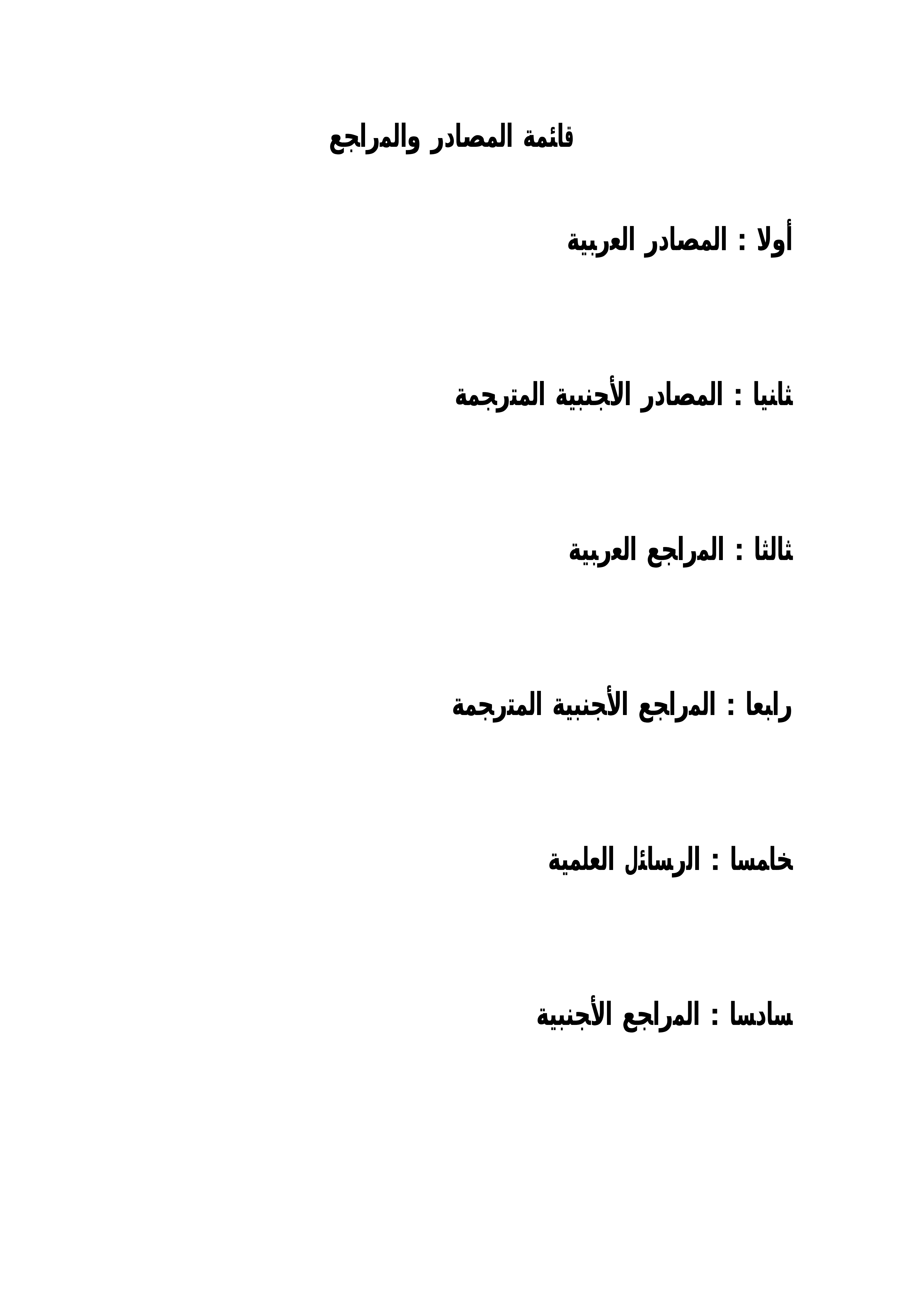
اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
			مريمة (٢٣) للعدو .
الثلاثاء	٢٦ شوال ٦٤٧ (٢٤)	١ فبراير ١٢٥٠	مغادرة توران شاه دمشق قاصدا مصر .
الاثنين	٣ ذو القعدة ٦٤٧	٧ فبراير ١٢٥٠	اجتماع عقـــده الملك الفرنسى وكبـار رجال جيشه تقرر فيه عبـــور الفرنج بحر أشموم فى صبيحة اليوم التالى .
الثلاثاء	٤ ذو القعدة ٦٤٧ (٢٥)	٨ فبراير ١٢٥٠	ـ عبـــور الفرنج بحر أشموم (فجر الثلاثاء) . ـ موقعة المنصورة الأولى (من الصباح الباكر حتى المساء). ـ ورود بطاقة إلى القاهرة عن اشتـداد القتـال بين المسلمين والفرنج (مساء الثلاثاء) . ـ باب النصــر بالقاهرة يظل مفتوحا طيلة ليل الثـــلاثاء لدخول المنهزمين فى الوقعـة المـذكورة .
الأربعاء	٥ ذو القعدة ٦٤٧	٩ فبراير ١٢٥٠	ـ ورود البشرى إلى القاهرة بالنصر على الفرنج فى وقعة الثلاثاء .

160

المناسبة	ما يقابله بالميلادى	التاريخ الهجرى	اليوم
- تجدد القتال بين الفريقين جنوبى بحر أشموم .			
موقعة الجمعة الشهيرة .	١١ فبراير ١٢٥٠	٧ ذو القعدة ٦٤٧	الجمعة
- وصول توران شاه الصالحية . - إعلان موت الصالح أيوب رسميا . (٢٦)	٢٠ فبراير ١٢٥٠	١٦ ذو القعدة ٦٤٧	الأحد
تولى توران شاه ملك مصر .	٢٣ فبراير ١٢٥٠	٩ ذو القعدة ٦٤٧ (٢٧)	الأربعاء
وصول توران شاه المنصورة .	٢٥ فبراير ١٢٥٠	٢١ ذو القعدة ٦٤٧ (٢٨)	الجمعة
نشوب معركة بحرية بين المسلمين والفرنج انتهت بانتصار الفرنج .	٧ مارس ١٢٥٠	١ ذو الحجة ٦٤٧	الاثنين
إقرار توران شاه لحسام الدين فى نيابة السلطنة بالقاهرة .	٨ مارس ١٢٥٠	٢ ذو الحجة ٦٤٧	الثلاثاء
نشوب معركة بحرية أخرى بين المسلمين والفرنج انتصر فيها المسلمون .	١٥ مارس ١٢٥٠	٩ ذو الحجة ٦٤٧ (٣٠)	الثلاثاء (٢٩)
الفرنج يعدون العدة للتراجع العام من المنصورة إلى قاعدتهم بدمياط .	١ أبريل ١٢٥٠	٢٦ ذو الحجة ٦٤٧	الجمعة
تراجع الفرنج من المنصورة إلى دمياط .	٥ أبريل ١٢٥٠	١ محرم ٦٤٨ (٣١)	الثلاثاء

اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
الأربعاء	٢ محرم ٦٤٨	٦ أبريل ١٢٥٠	ـ كارثة فارسكور (صباح الأربعاء). ـ أسر الملك الفرنسى لويس التاسع.
السبت	٥ محرم ٦٤٨	٩ أبريل ١٢٥٠	المعظم يعزل حسام الدين عن نيابة القاهرة ، ويحل محله الأمير جمال الدين أقوش النجمى .
الأربعاء	١٦ محرم ٦٤٨	٢٠ أبريل ١٢٥٠	وصول غفارة لويس التاسع إلى دمشق ، وهى التى أرسلها المعظم مع كتاب له إلى نائبه ابن يغمور يبشره فيه بالنصر على الفرنج .
الأحد	٢٠ محرم ٦٤٨	٢٤ أبريل ١٢٥٠	دخول عامة الناس بدمشق كنيسة مريم بقصد هدمها عندما ذاع خبر انتصار المصريين على الفرنج.
الخميس	٢٤ محرم ٦٤٨	٢٨ أبريل ١٢٥٠	وصول السفينة التى كانت تقل بعض أسرى الفرنج ومن بينهم جوانفيل إلى فارسكور .
الاثنين	٢٨ محرم ٦٤٨	٢ مايو ١٢٥٠	ـ توجه جمال الدين بن واصل من القاهرة إلى المعسكر بالمنصورة لمشاهدة استرداد المصريين لمدينة دمياط . ـ ثورة المماليك البحرية واغتيال المعظم توران شاه . (٣٢)

اليوم	التاريخ الهجرى	ما يقابله بالميلادى	المناسبة
الخميس	١ صفر ٦٤٨	٥ مايو ١٢٥٠	وصول نبأ مقتل المعظم إلى دمشق.
السبت (٣٣)	٣ صفر ٦٤٨	٧ مايو ١٢٥٠	- إسترداد المصريين مدينة دمياط. - إخلاء سبيل الملك الفرنسى وبعض كبار الأسرى من الفرنج.
الأحد (٣٣)	٤ صفر ٦٤٨	٨ مايو ١٢٥٠	إبحار لويس وفلول قواته من دمياط إلى عكا.
الجمعة (٣٣)	٩ صفر ٦٤٨	١٣ مايو ١٢٥٠	- وصول القوات المصرية المظفرة إلى القاهرة عائدة من دمياط. - وصول الجيش الصليبى منهزما إلى عكا.



قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية

ثانيا : المصادر الأجنبية المترجمة

ثالثا : المراجع العربية

رابعا : المراجع الأجنبية المترجمة

خامسا : الرسائل العلمية

سادسا : المراجع الأجنبية

أولا :المصادر العربية :

- ابن الأثير ، أبو الحسن على بن محمد بن محمد عبد الكريم بـن عبـد الواحـد الـشيباني (ت 630 هـ/ 1233م):

1- الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، ط1 ،دار الكتب العلميـة ، بيروت ، لبنان،1407هـ / 1987 م .

- الاصطخري ، إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشرة الميلادي) :

2-المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مصر ، 1381هـ / 1961 م.

- ابن أيبك ،أبو بكر عبد ا (ت 734 هـ/1332 م) :

3- كنز الدرر وجامع الغرر (الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب) تحقيـق سـعيد عاشور ، القاهرة ،1972 م.

- ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت 930 هـ/ 1533 م) :

4- جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر،د.ت.

5- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققها وكتب لها المقدمة محمد مـصطفى ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1402 هـ/ 1982 م .

- ابن بطوطة ، محمد بن عبد ا بن محمد اللواتي (ت 779 هـ/ 1377 م) :

6- الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسـفار ، تحقيـق علـى المنتصر الكتاني ، ط 4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1984 م .

- البكري ، أبو عبيد عبد ا بن عبد العزيز بن محمد (ت 487 هـ/ 1094 م):

7-معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى الـسقا ، ط 3 ، عـالم الكتب ، بيروت ، 1982 م .

- بيبرس المنصوري ، نائب السلطة في مصر (ت 725هـ / 1324 م) :

8- مختار الأخبار ، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان ، ط 1 ، الـدار المـصرية اللبنانيـة ، 1413 هـ/ 1993 م.

- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت 440 هـ/ 1048 م) :

9- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، برلين ، 1878 م .

- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت 874هـ/ 1469 م) :

10- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط 1 ، لدار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1413 هـ/ 1992 م .

- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429 هـ/ 1037 م) :

11- يتيمة الدهر ، تحقيق مفيد محمد قمحية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان، 1983 م .

- حاجي خليفة ، حاجي مصطفى بن عبد ا القسطنطيني (ت 1067 هـ/ 1656 م) :

12- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1992 م .

- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد (ت 852 هـ/1448 م) :

13-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، بيروت ، د. ت .

- الحموي ، شهاب الدين أبي عبد ا ياقوت بن عبد ا (ت 626 هـ/1228 م) :

14-معجم البلدان ، ج 5 ، د.ط ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت .

- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت 876 هـ /1471 م) :

15- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تقديم وتحقيق وتعليق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 1415هـ /1996 م .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808 هـ/1405 م) :

16- تاريخ ابن خلدون المسمي بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط 5 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1984 م .

- ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681 هـ /1282م) :

17-وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،1968م .

- ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت 809 هـ/ 1406 م) :

18- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تحقيق سمير طباره ، ط 1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1420 هـ/1990 م .

- الذهبي ، أبو عبد ا شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ/ 1348 م) :

19- دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت و محمد مصطفى ، القاهرة ، 1974 م .

- سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت 654 /1256 م) :

20- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط 1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، 1371 هـ/1952 م .

- السبكي ، أبي نصر عبد الوهاب بن علي (ت 771 هـ/1369 م) :

21- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطنـاحي ، ط 2 ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الجيزة ، القاهرة ، 1992 م .

- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ/1496 م) .

22- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ، 1934 /1936 م .

- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505 م) :

23- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1998 م .

- أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن إسماعيل (ت 665هـ /1268 م) :

24- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف ، بالذيل على الروضـتين ، ط 2 ، دار الجليل ، بيروت ، 1974 م .

25- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمي ، المؤسـسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1962 م .

- ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت 632هـ /1234 م) :

26- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الـدين الـشيال ، ط 1 ، الـدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1964 م .

- ابن شداد الحلبي ، عز الدين أبو عبد ا محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1285م) :

27-الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والأردن وفلـسطين) ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1962 م .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ/1071 م) :

28-الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الارناؤوطي وتركي مصطفى ، دار إحيـاء التـراث ، بيروت ، 1420هـ/2000م .

- ابن العبري،عزيغريرس، أبو الفرج جمال الدين ابن توما الملطي(ت 685 هـ/1286 م) :

29- تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل منصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ /1997 م.

- ابن العديم ، كمال الدين أبي القاسم عمر أحمد بن وهبه ا (ت 660 هـ/ 1261 م) :

30- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، المعهـد الفرنـسي للدراسـات العربية ، دمشق ، 1954 /1958 م.

- العليمي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحنبلي(ت928 هـ/1521م) :

31- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مكتبة المحتسب ، عمان ، 1973 م .

- ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت 1089 / 1678 م) :
32- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، ط1، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، 1399 هـ/1979 م .
- العمري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 749 هـ/1349 م) :
33- مسالك الإبصار في ممالك الأمصار (تاريخ الحروب الصليبية والدول المتأخرة)، تحقيق حمزة أحمد عباس ، المجتمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1425 هـ/2004 م .
- ابن العميد ، الشيخ المكين جرجس بن العميد ، (ت 672 هـ/1273 م) :
34- أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، جمهورية مصر العربية ، د . ت .
- العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت 855 هـ/1451 م) :
35- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، عصر السلاطين والملوك حوادث وتراجم 648 - 664 هـ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م .
- أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن عمر بن أيوب (ت 732 هـ/1331 م) :
36- المختصر في أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم محمد عزم ، يحيى سيد حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
- ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 807 هـ/1405 م) :
37- تاريخ الدول والملوك ، أو تاريخ ابن الفرات ، المعروف باسم الطريق الواضح المسلوك إلي معرفة تراجم الخلفاء والملوك ، طبعة كامبردج ، 1971 م .
- القرماني ، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت 939 هـ/1532 م) :
38- أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد،ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1412هـ/1992 م .
- القلقشندي ، أحمد بن عبد ا (ت 821 هـ/1418 م) :
39- صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، وشرحه وعلق عليه وقابل نصوصه نبيل الخطيب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407هـ/1987 م .
- الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764 هـ/ 1362 م) :
40- فوات الوفيات ،تحقيق على محمد بن يعوض ا وعادل بن عبد الموجود ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 م .

41-عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ، ونبيلة عبـد المـنعم داود ، دار الرشـيد ، الجمهورية العراقية ، 1980 م .

- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (ت 774 هـ/ 1372 م) :

42-البداية والنهاية ، تحقيق أحمد جاد ، دار الحديث ، القاهرة ، 1427هـ/2006 م .

- المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت 507 هـ/1113 م) :

43-البدء والتاريخ ، ج6، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ، بورسعيد، د.ت .

- المقريزي ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت 845 هـ/1441 م) :

44-السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م .

45- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تحقيق محمد زينهم ، ومديحة الشرقاوي ، ط 1 ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1997 م .

- ابن نظيف الحموي ، محمد بن علي (ت 644 هـ/1246 م) :

46- التاريخ المنصوري المعروف بتلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيـق أبو العيد دودو ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1401 هـ/1981م.

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ/1331م) :

47-نهاية الأرب، في فنون الأدب ، تحقيق مفيد قمحية وآخرون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ/2004 م .

- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697 هـ/1298 م) :

48- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .

- الجزء 1-3 تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1960/1953 م .

- الجزء 4-5 ، تحقيق حسين محمد ربيع ، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعـة دار الكتب ، القاهرة ، 1972 -1977 م .

- ابن الوردي ، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت749 هـ/1349 م):

49- تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) القاهرة ، 1258هـ .

- ابن الوكيل ، يوسف الملواني (ت 1131 هـ/1719م):

50- تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق محمد الششتاوي ، ط1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 1419 هـ/1999م .

- اليافعي اليمني ، أبو محمد عبد ا بن أسعد بن علي بن سليمان(ت 768 هـ/1366 م) :

51- مرآة الجنان وعبرة اليقظـان فـي معرفـة حـوادث الزمـان ، ط 2، بيـروت ، 1390هـ/1970م .

- اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت 726 هـ/1326م) :

52- ذيل مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، 1954م.

ثانيا : المصادر الأجنبية المترجمة :

- جوانفيل ، جان دي :

1- مذكرات جوانفيل (القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام)، ترجمة حسن حبشي ، ط 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986 م

- مجهول :

2-تتمة كتاب وليم الصوري (1229-1261م)، ترجمة وتحليل وتعليق أسامة زكي زيد ، الإسكندرية ، 1989م .

ثالثا : المراجع العربية :

- أمين ، حسن أحمد :

1-الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1983م .

- برجاوي ، سعيد أحمد :

2- الحروب الصليبية في المشرق،ط1، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،1404هـ/1984م .

- البستاني ، كرم ، وآخرون :

3-المنجد في اللغة والإعلام ، ط40 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 2003 م.

- البيشاوي ، سعيد عبد ا :

4- نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، 1411 هـ/1991 م .

- بيطار ، أمينة :

5-تاريخ العصر الأيوبي ، دار الطباعة الحديثة ، دمشق ، 1402 هـ/1982م .

- التونجي ، محمد :

6- بلاد الشام إبان الغـزو المغـولي ، ط 1 ، دار الفكـر العربـي ، بيـروت ، 1419 هـ/1998م .

- الجوابرة ، فاطمة محمود :

7- موسوعة القدس ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، 1423هـ/2003 م .

- جوزيف نسيم ، يوسف :

8- العدوان الصليبي على مصر ، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور ،ط1،دار الكتب الجامعية ،1969م .

9- العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسـة) ، دار المعارف الجامعية ،الإسكندرية ،2006 م .

- حسين ، حمدي عبد المنعم :

10- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية ، السويس ، 1996 م .

- حمدي ، حافظ أحمد :

11-الدولة الخوارزمية والمغول ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1949 م .

- الحميدة ، سالم محمد :

12-الحروب الصليبية عهد النصر ، ط 1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،العـراق ، 1994م .

- الدباغ ، مصطفى مراد :

13-بلادنا فلسطين ، الجزء التاسع (في بيت المقدس) دار الهدى ، كفر قرع ، فلسطين ، 1991 م .

14- الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين ، ط 3 ، منـشورات اليسار ،1988م .

- دهمان ، محمد أحمد :

15- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ، دار الفكر ، دمشق ،1410 هـ/1990 م

- الدويكات ، فؤاد عبد الرحمن :

16- إقطاعية طبريا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (492 -690 هـ ـ/1099-1291 م) د.ت .

- زكار ،سهيل :

17-الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلي تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر ، دمشق ، 1416 هـ/1995 م .

- زيادة ، محمد مصطفى :

18-حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1961 م .

- زيان ، حامد زيان :

19-الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمـن الحـروب الـصليبية ، دار الثقافة ، القاهرة ،1403هـ /1983 م.

- زيدان ، جرجى :

20-تاريخ مصر الحديث ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1411هـ/1991 م .

- الزيدي ،مفيد :

21- موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي 648-923هـ/258-1517 م) دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، د. ت .

- سكيك ، إبراهيم خليل :

22-غزة عبر التاريخ الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني ، 1980 م .

- السيد ، محمود :

23-تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعـة ، الاسـكندرية ، 2002م .

- الشيال ، جمال الدين :

24-تاريخ مصر الإسلامية ، العصران الأيـوبي والممـلوكي ، ط 2 ، دار المعـارف ، القاهرة ، 2007 م .

- صالح ، محسن محمد :

25-الطريق إلي القدس ، ط 3 ، منشورات فلسطين المسلمة ، 1998م .

- الصياد ، فؤاد عبد المعطي :

26- المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980 م .

- طقوش ، محمد سهيل :

27- تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيـرة (569 -661هـ ـ /1174-1263 م) ط1 ، دار النقاش ، بيروت ، لبنان ، 1420 هـ/ 1999 م .

- العارف ، عارف باشا:

28- المفصل في تاريخ القدس ، ط 2 ، مكتبة الأندلس ، القدس ، 1406 هـ/1986 م .

- عاشور ،سعيد عبد الفتاح :

29- قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ، 1957م

30-الحركة الصليبية ، صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ط 4 ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1986 م .

31- أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ط 8 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1997 م .

32- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1996 م .

33-العصر المماليكي في مصر والشام ، ط 2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976م .

- عاشور ، فايد حماد محمد :

34- الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في العصر الأيوبي ،ط1 ،دار الاعتصام ، القاهرة ، 1403 هـ/1983م .

- العبادي ، أحمد مختار :

35- التاريخ الأيوبي والمملوكي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1982م .

36- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1982م .

- عبد القادر ،دريد :

37- سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة(570-589هـ/1174-1193م)،بغداد ،1979م ،د.ط.د.ت .

- عبد ا ،حمد أحمد :

38 - بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية ،1997م .

- عثمانة ، خليل :

39- فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (1187-1516م)ط1،بيروت ،2006م .

- العروسي ، محمد المطوي :

40- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، 1982 م .

- العريني ، السيد الباز :

41- المماليك ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .

42-مصر في عصر الأيوبيين ،إدارة الثقافة العامة ، الإسكندرية ، د . ت.

43-المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م .

- العسلي ، بسام :

44- فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية ،ط 1، دار الفكر ، بيـروت ، لبنـان ، 1408هـ / 1988م .

- علي ، وفاء محمد :

45- دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .

- أبو عليان ، عزمي عبد :

46-مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليـك (648-923هـ ـ/1250-1517م) ،ط 1، دار النفائس ، الأردن ، عمان ، 1415هـ /1995م .

- عمران ، محمود سعيد :

47- تاريخ الحروب الصليبية (1095-1291م) دار المعرفـة الجامعيـة ، الـسويس ، 1996م .

- الغامدي ، عبد ا سعيد محمد :

48-جهاد المماليك ضد المغول والصليبين،(في النصف الثامن من القرن السابع الهجري) مطابع جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 1410هـ .

- الغامدي ، علي محمد علي عودة :

49- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ،ط 1، مكتبة الطالب الجـامعي ، مكـة المكرمـة ، 1408هـ /1988م .

- غنيم ، اسمث :

50- الدولة الأيوبية والصليبيون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1987م .

- غوامة ، يوسف حسن درويش :

51- إمارة الكرك الأيوبية ، ط2 ،دار الفكر ، عمان ، 1402هـ /1982م .

52- معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ،ط 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيـع ، عمان ، الأردن ، 1415هـ /1995م.

- قاسم ، عبده قاسم :

53- في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنـسانية والاجتماعيـة ، القاهرة ، 2003 م .

54- ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة ، 1410هـ/1990 م .

- كاشف ، سيدة إسماعيل ، وآخرون :

55- موسوعة مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)،الهيئـة المـصرية العامـة للكتاب ، الإسكندرية ، 1993م .

- مصطفى ، شاكر :

56- التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفـة رجـال فـي الإسلام ، د.ط، بيروت ، 1979م .

- نصر ا ، سعدون عباس :

57- رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيـروت ، 1416هـ /1995م .

رابعا : المراجع الأجنبية المترجمة :

- بارتولد ، و :

1- تاريخ الترك في آسيا الوسطى ،ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، 1958م.

- باركر ،أرنست :

2- الحروب الصليبية، ترجمـة الـسيد البـاز العرينـي، ط2، دار النهـضة العربيـة، بيروت،1967م .

- جوناثان ،رايلي سميث :

3- الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، ترجمة صبحي الجابي،ط1، دار طلاس للدراسات والنشر ، دمشق ، 1989م .

- حتى ، فيليب :

4- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، أشرف على مراجعته وتحريره جبرائيل جبور ، ترجمة كمال اليازجي ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .

- رنسيمان ،ستيفن :

5- تـاريخ الحـروب الـصليبية، ترجمـة الـسيد البـاز العرينـي، ط3، دار الثقافـة، بيروت،1413هـ /1993م.

- كلود ، كاهن :

6- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الـشيخ ،ط1 ، سـينا للنـشر ، القاهرة ، 1995م .

- هايد ، ف :

7- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمـد رضـا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985م.

خامسا :الرسائل العلمية :

- الجزار ، هاني فخري :

1- النظام العسكري في دولة المماليك (648-923هـ/1250-1517م) ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 1428هـ /2007 م .

- جنيدي ، جمعة جمال :

2- الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية (567-648هـ/1171-1250م) ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، 1417هـ/1996م.

- الحروب ، محمد محمود :

3- دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي من فلسطين وبلاد الشام (648-690هـ/1250-1291م)،رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس ، 1430هـ ،2009م .

- حمد ، أسامة أحمد :

4- إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي من سنة (492-690هـ/1099-1291 م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ،1431هـ/2001م .

- خوري ، ميخائيل نجم :

5- سيرة الملك السلطان الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م)،رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان ، 1961م .

- شاهين ، رياض مصطفى :

6- الملك المعظم عيسى (576 -624هـ /1180-1227م) ،سياسته الداخلية والخارجية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1415هـ /1994م .

- عبد الهادي ، عادل بن محمد خضر :

7- عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية (359-669هـ/969-1270م)،رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،1421هـ /2000 م .

- عدوان ، فرج محمود :

8- الإمبراطور فريدريك الثاني وموقف البابوية من حملته على بلاد الشام (609-627هـ/1212-1230م) ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، جامعة الأقصى ، غزة ، 1425هـ /2004 م .

- عطا ا ، محمود علي :

9- نيابة غزة في العهد المملوكي ، رسالة ماجستير منشورة ، ط1 ، دار الأفاق الجديـدة ، بيروت ، 1406هـ /1986م .

- المسحال ، حسن إبراهيم :

10- عسقلان في فترة الحروب الـصليبية (492-690هـ ـ/1099-1291م)،رسـالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس – كلية التربية 1420هـ/1999م.

سادسا: المراجع الأجنبية :

- **Archer(T.) kingsford (c) :**
  1. **The crusades ,London,1894.**
- **Ercles:**
  2.L'Estoirede Eracles Empereuret lacoquettede laterre d'outremer , paris, 1859.
- **Hill(G.):**
  3. AHisrory of Cyprus. Cambridge,1940 .
- **King (E.J):**
  4.The knights Hospitallers in the Holy land , London , 1931.
- **Lorga :**
  5.L'Armenie cilicienne.paris,1924.
- **Richard:**
  6.leroyaume latinde Jerusalem.paris,1953.
- **setton(k,M.):**
  7.AHistory of the crusades,(svols),pensylvania,1958-1985.
- **Stevenson(w.B):**
  8.The crusders in the East. Cambridge,1907

ABSTRACT

This study concerned abut Al-Malik as-Salih Najm al-Din Ayyub and his efforts to unite Egypt and the Levant from 1240 - 1249 AC / 638 - 647 Hijri ever since the Ayyubid state after death of salah eddin el ayuobi , this country live an era of conflict and divisions. As a result of this conflict crusaders reoccupy the previously liberated areas . upon embarking the throne sultan Najm al-Din Ayyub was able to reunite the Islamic countries once again.

The study shed the light on the character of sultan Najm al-Din Ayyub , his reign , birth, qualities, death, conditions how the Ayyobian state looked like before sultan Najm al-Din Ayyub came to power , positions and the important elements that helped him.

It also dealt with the role of Najm al-Din Ayyub in uniting Egypt and the Levant , his efforts to stabilize his reign to Egypt and the Levant , his position over the Ayyubi crusade alliance, and how his relation with khwarizmians looked like.

It also traced with more focus the footsteps of jihad of sultan Najm al-Din Ayyub against crusaders in the Levant. It also concentrate on crusade city states at the time of Najm al-Din Ayyub reign and his liberation of Jerusalem and other Palestinian cities.

The study, also dealt with the seventh crusader campaigns and Najm al-Din's jihad against the campaigns , highlights Shajaret Al Durr contribution to the fights against crusaders.

The study concluded with a summary of findings and results that researcher found, in addition to presenting a list references appendices.

Islamic university-Gaza
Deanery of High Studies
Department of History Archaeology



Al-Malik as-Salih Najm al-Din Ayyub's jihad and his efforts to unite Egypt and the Levant (638 - 647 Hijri - 1240 - 1249 A.C.)

Prepared by:
Fared Waheed Sadum

Supervised by:
Full professor : Riyad Mustafa Shaheen

A Thesis submitted to the History and Archeology Department as parfial fulfillment for the requirement of the master degree in the Islamic University.

1432 Hijri – 2010 A.C